سلسلة حرب تشرين

١

الحرب العربية الأولى



مؤسسة تشرين للصحافة والنشر
دمشق

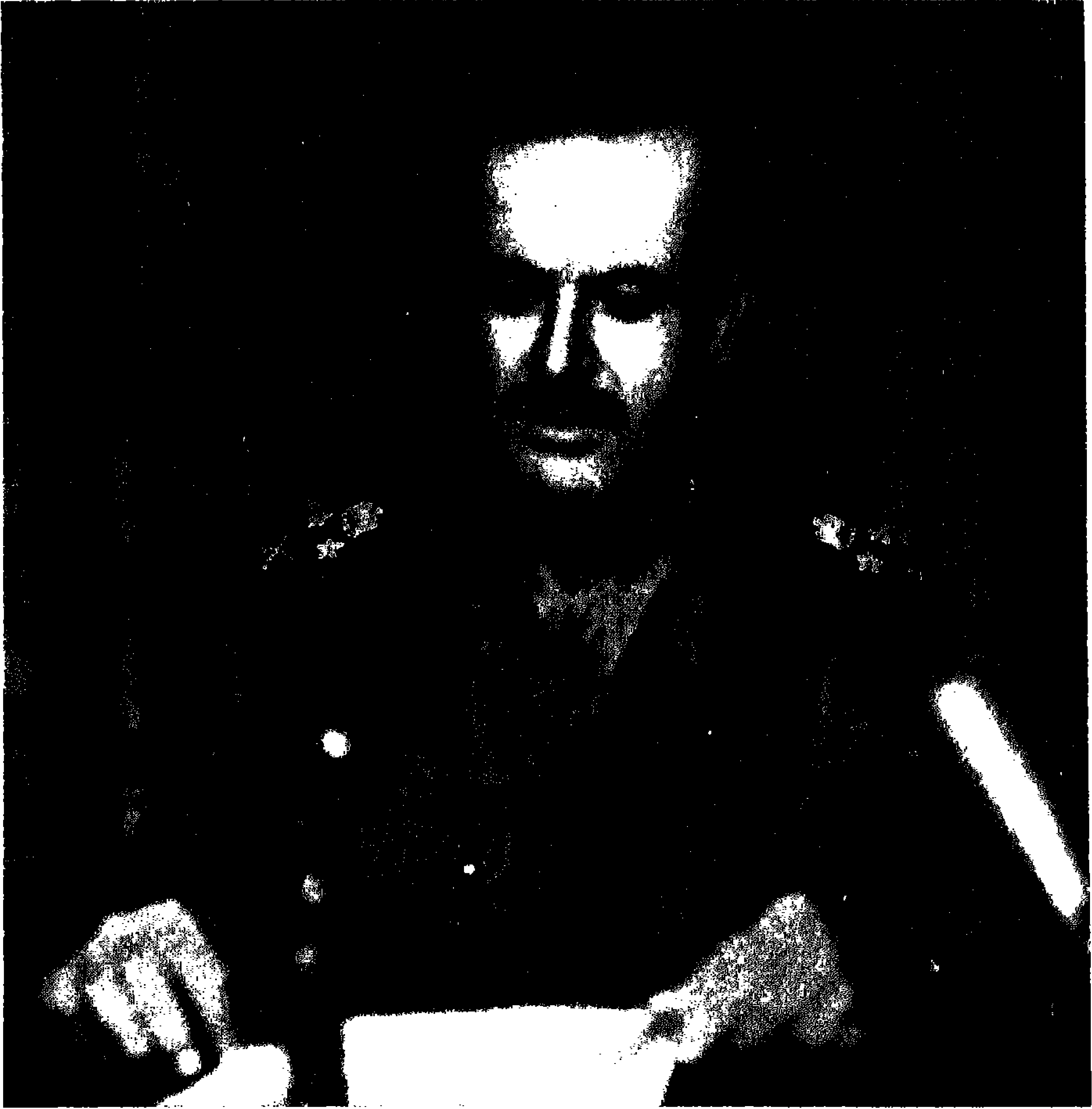
سلسلة حرب تشرين

١

الحرب العربية الأولى

مؤسسة تشرين للصحافة والنشر
دمشق

توزيع
دار القلم العربي
حلب - ص. ب ٧٨ ☎ ٢١٣١٢٩



قائد نضالنا القومي
ورمز صمود امتنا

يعلن القرار التاريخي في ٦/١٠/١٩٧٣

الإهداء

إلى قائد تشرين التصحيح
الذي صنع تشرين التحرير

إلى قوّاتنا المسلحة التي
حققت انتصارات تشرين

إلى الشهداء
«أكرم من في الدّنيا وأنبل بني البشر»

إلى شعبنا الصّامد الذي كان
قدوة في التضحية والعطاء

تشرين

كلمات للتاريخ

لسنا هواة قتل وتدمير، وإنما
ندفع عن انفسنا القتل والتدمير.

لسنا معتدين ولم نكن قط معتدين،
ولكننا كنا ومانزال ندفع عن أنفسنا العدوان

نحن لانريد الموت لأحد،
وإنما ندفع الموت عن شعبنا.
إننا نعشق الحريّة ونريدها لنا ولغيرنا،
وندافع اليوم كي ينعم شعبنا بالحريّة.

نحن دعاة سلام ونعمل من أجل
السلام لشعبنا ولكل شعوب العالم،
وندافع اليوم من أجل أن نعيش بسلام.

من خطاب القائد الأسد
في: ١٩٧٣/١٠/٦

تقديم

ستبقى حرب تشرين التحريرية التـي خاضتهـا القوات المسلحة العربية السورية والمصرية في السادس من تشرين الاول العام ١٩٧٣ ، اكبر انجاز في تاريخ امتنا المعاصر ، اذ وصلت تاريخ امتنا المجيد ، بعدتوقف عن الاشعاع مدة تزيد عن السبعة قرون ، بمستقبلها الحضاري الذي تطمح لان تلعبه في المسيرة الانسانية .

وستبقى انتصارات تشرين الرائعة امتدادا لبطولات المقاتل العربي التي عرف بها على مدى تاريخه البطولي وفي معاركه الكبرى التي خاضها ضد الغزاة .

كما ستظل حرب تشرين هذا الحدث العظيم مرتبطة بحافظ الاسد ، قرارا واعدادا واداء ونتائج ، فلولا حافظ الاسد هذا القائد التاريخي لما كان قرار تشرين التاريخي ، ولما كان تشرين التحرير في هــذا القــرن .

ونعتقد جازمين ان اية محاولة تاريخية لهذا الحدث الكبير الذي شكل انعطافة جذرية في تاريخ العرب ، ستعطي الرئيس الاسد هذا الدور المركزي في قرار ونتائج حرب تشرين العظيمة .

ولهذا فان المعاني العميقة التي جسدتها حرب تشريـــن التحريرية ، قرارا واداء ، ونتائج ، ستظل مادة ثرة للبحـــث والدراسة والاستقصاء تغني الفكر العسكري والسياسي الــــى مستقبل غير منظور .

وقد بدا هذا فعلا في مختلف الاكاديميات العسكرية ، وعلى مستويات تطبيقية متعددة مستندة الى معطيات ودروس تشريـن

العسكرية ، التكتيكية والاستراتيجية . وتقنياتها ، وخصائص المعارك التي خيضت خلالها ، وكذلك آلية العمليات واساليبها العملياتيـة .

ورغم كل ما كتب عن حرب تشرين ، فسيظل ذلك قاصرا عن الاحاطة بمعاني تلك الحرب ، واعطائها ابعادها الحقيقية وتجسيد مضامينها وانعكاساتها على المعادلات التي تحكم السياسة الدولية .

ذلك اننا نعتقد ان ما جرى في تشرين لا يمكن ان يستوعب بهذه السهولة ، وانما سيبقى الى فترة طويلة جدا مثار جدل ونقاش حادين . ومعينا لا ينضب من العبر والدروس والتجارب التي وفرتها هذه الحرب للعلم العسكري ، ولم تكن لتتوفر لولا حرب تشـريـن .

فحرب تشرين ما تزال تحتفظ باهم واخطر اسرارها ، وهي لهذا ما تزال صعبة التناول .

الا ان قلة المؤلفات والدراسات التي ظهرت حتى الان عن تشرين لا تعود في سببها الى ذلك وانما تعود في الواقع الى ان اي بحث جاد ومعمق يهدف بجدية لاعطاء حرب تشرين حجمها الموضوعي ، لا بد وان يظهر العبقرية العربية التي تجلت في التخطيط والاعداد لحرب تشرين ، ويؤكد الاداء الرائع للمقاتل العربي سواء من حيث استيعاب الدروس العسكرية واستخدام التقنيات المتقدمة من السلاح او من حيث قدرة المقاتل العربي على التضحية والصمود واهليته لتحقيق النصر عندما تتوفر له القيادة التاريخية

وهذا ما لا ترغب فيه بالطبع الصهيونية العالمية والدوائر الامبرياليـة .

حتى على الصعيد العربي ، ماتزال المكتبة العربية بحاجة ماسة الى بحوث جادة معمقة تعطي لهذا الحدث التاريخي بعض حقه ،

وبعض اهميته في التاريخ العربي المعاصر . و « تشرين » تطمح لان يكون هذ الجهد المتواضع « الحرب العربية الاولى » ، مساهمة في تقديم ما يلقي ضوءا خافتا على بعض جوانب هذا الحدث الكبير حرب تشرين التحريرية ، ويؤرخ له .

كما تطمح « تشرين » لان يكون كتابها الثاني الذي ستصدره قريبا ، جهدا ، متواضعا آخر يساهم بدور ما في التاريخ والتقويم لهذا الحدث .

ومع قناعة تشرين الكاملة بان اي عمل لا يمكن ان يكــــون بالشمول والتكامل الذي يرقى الى مستوى هذا الحدث،ولايستطيع ان يحيط بحرب تشرين بكل ماتعنيه من حقائق جديدة ، ومعادلات جديدة ، وتحولات جديدة في الواقع العربي وربما القاري والدولي .

فان الهدف الاساسي الذي انشئت من اجله مؤسسة تشرين، بل ان مبرر وجود « تشرين » اصلا ، وحملها هذا الرمز ــ الشرف، هو ان تسعى لتحقق مبرر وجودها ، وان تكون في مستوى هذه المهمة الشاقة لتضطلع ببعض الدور الذي اناطه بها الرئيس الاسد .

وهذا ما شجع « تشرين » في الواقع على البدء بهذه المحاولة المخاطرة عملا بالحديث الشريف : من اجتهد واخطا فله اجر ، ومن اجتهد واصاب فله اجران .

عميد خولي

حــــرب تشـــريـــن
بين التحــدي والاســتجابــة

للذين يرون في التاريخ عملية مستمرة لا تنقطع ، صيرورة . و « الواقعة » لحظة في سياقها المتصل لا موقع لها في حد ذاتها ، الا بقدر اتصالها بتحولات التاريخ وتتابع ايقاعاته كما يعبر عنه بصراع أطرافه وجدل الارادات .

وهكذا فما لحظة « الواقعة » الا حدث مصطنع ، مدبر ، من الفكر لاغراض الدراسة والتقييم فالاتصال من ثم ، في اللحظة ذاتها، بالحدث اللاحق من سلسلة « الاحـــداث » و « الوقائع » ليبلغ التاريخ ، في لحظة ما ، غايته النهائية ، والمؤقتة معا ، تطرح حرب تشرين الاول ـ اوكتوبر ـ حجة ويقينا ، والاهم املا بغبطـــة وعظمـة التاريـخ .

(مصير الغرب يتحدد في المنطقة بين الخليـــج ـ العربي ـ والمحيط الاطلسي) كولونيل ف ميكشه

التمهيـد للعدوان ـ حزيران ١٩٦٧

جاءت الستينات استمرارا للتطورات التي حملهـا العقدان السابقان في الوطن العربي بالرغم من نكسة الانفصال ـ ايلول ١٩٦٨ ـ التي أجهزت على وحدة القطرين سورية ومصر ، ومضاعفات حركة الانفصـال على حركة وحـــدة القومية العربية فاستمرت روح الوحـدة التقدمية وحافظت علـى توترهـا ، فكـانت الثـورة في اليمـن الشمالي ـ ١٩٦٢ ـ مقدمة الردود علـى المستويين القومي والاجتماعي ، ومعها مسارعة مصر عبد الناصر

لتدعيم هذا الرد ، بينما استمرت الثورة في الجنوب ضد الاستعمار البريطاني الذي بات مهددا بين الثورة في الداخل والمتغيرات الناشئة عن انتقال القوات المصرية الى الحدود الشمالية ، في حين كانت الثورة الجزائرية ترسخ استقلالها وهي ترنو بعينها إلى العمل الوحدوي الارحب ، وتلاحقت التطورات بالثورة في العراق — شباط ١٩٦٣ — لتلحق بها الثورة في سورية بعد شهر واحد — اذار ١٩٦٣ — ، لتستكملان معاالاستجابة لتحدي الانفصال.

ولكن نجاح هذه الاستجابة ظل قاصرا ، لاسباب ذاتية وموضوعية في آن واحد ، عن العمل المشترك ، مما سمح بوجود ثغرة ستكون المنفذ للضربة القادمة ذلك أن الولايات المتحدة اخذت تدخل المنطقة العربية في سلم الاولويات في اعقاب تصاعد التيار القومي في منتصف الخمسينات وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، ثم اتصال هذا التيار بحركات التحرر العالمي في العالم الثالث .

وهكذا اخذت الاتصالات تجري ، بعيد الوحدة — ١٩٥٨ — بين الاوساط الغربية مع مداخلات اسرائيلية ، لدراسة موضوع واحد متعدد البنود : « تصفية حركة التحرر الوحدوي العربي » . وبدأ الاعداد . وبدأ العد العكسي .

لقد انتهت حرب حزيران ، هجومية سياسيا دفاعية عسكريا على الجانب العربي ، دفاعية سياسيا هجومية عنيفة على الجانب الامريكي — الاسرائيلي ، باحتلال كامل ارض فلسطين ولم تتوقف ، في غضون ايامها الستة ، إلا عند خطوط وقف اطلاق النار على ضفة قناة السويس المصرية والجولان السورية ولكنها استمرت بتشريد سكان المناطق المحتلة .

ولقد اصبحت السمة الاساسية للجهود الاسرائيلية بعد وقف اطلاق النار لترجمة نتائج المعركة على الارض الى وقائع جغرافية

سياسية . اذ اتاح اختلال ميزان القوى امتلاك سلاح الجو الاسرائيلي مفاتيح غرب اسيا وشرق ووسط افريقيا ، وزاد من دلالات نتائج واقعة حزيران التنسيق بين الطائرات الاسرائيلية الامريكية الصنع واتصالها بالقواعد العسكرية الامريكية في المنطقة وخاصة في جنوب ايران وتركيا . وفي افريقيا كان التأثير اعظم ، بعدما اصبحت القوات الاسرائيلية قريبة جدا من الاقطار الغنية ، ومعظمها مستقل حديثا والتي تستضيف الاستثمارات الغربية وخاصة الامريكية بمساهمات فنية اسرائيلية . ولم تغب أيضا دلالة تبدل موازين القوى على الدول الافريقية الناهضة فعم قلق صامت من احتمال عودة الاستعمار الاستيطاني ، بل لقد امتد هذا القلق الى قلب اسيا ذاتها .

وكذلك نظرت مجموعة دول عدم الانحياز في حرب حزيران على انها هجوم غير مباشر تهدد نتائجه بتراجع غير مقبول عن التقدم الناجز منذ منتصف الخمسينات ، وعليه فقد كانت استجابتها سريعة لدعم صمود الاقطار العربية التي تعرضت العدوان واحتلت اراضيها . ولكن لئن كان احساس كتلة عدم الانحياز والاقطار الافريقية الحديثة الاستقلال شديدا بابعاد الوضع الجديد الناشيء عن العدوان بالرغم من اختلاف درجات التعبير ، فان الاحساس في المنطقة العربية ذاتها بمدلولات الحدث كان اقرب الى الارتباك من ان يسمح برد فعل قوي مناسب . اذ ان الاوضاع الجديدة وان دفعت التناقضات العربية الى الوراء اتاحت لبعض اقطار المنطقة فرصة لالتقاط الانفاس بعد متابعة طويلة يغلب عليها عدم الارتياح والمعارضة النشطة في معظم الاحيان ، لمنحى الاحداث في العقدين الماضيين ، فان الحقيقة المجردة هي ان الوضع العربي بات برمته معرضا بدون دروعه وتحت تهديد استمرار العدوان

بدون حماية . الا أن هذا الاحساس لم يجد لنفسه تعبيرا عمليا بعد مؤتمر الخرطوم .

سنوات التحدي

سارعت اسرائيل عشية وقف اطلاق النار للاعلان على لسان الوزير يغال الون بان « خريطة المنطقة لن تعود الى ما كانت عليه صباح الخامس من حزيران » وهكذا كان مسار العمل من جانب العدو على مستويين الضغط سياسيا لخلق « اوضاع جديدة » ، بالمعنى الذي رمى اليه كلاوزيفتز في قانونه « استثمار النصر العسكري لفرض الارادة على الخصم » وكان افتتاح الخط القديم بعد سقوط القدس اول مثال لما سيأتي بشكل مشروعات واسعة للاستيطان لاستيعاب المهاجرين الجدد في المناطق المحتلة ، مع ان هذه المشاريع لم تلق الا المعارضة والشجب في المنابر الدولية لتناقضها مع القانون الدولي ، وادى ذلك الى ازدياد عزلة اسرائيل في المحافل الدولية ، فان حلم تحقيق المشروع الصهيوني كان اقوى من ان يسمح للحكومات الاسرائيلية المتعاقبة حتى بمراجعة اثار سياسة التوسع على اوضاع المستقبل .

كان ثمة سؤال واحد يشغل بال الاسرائيليين بما يتعلق والوضع الدولي : « هل تتخلى الولايات المتحدة عن حليفتها ــ اسرائيل ــ في هذه المنطقة ؟ » فلما كان الدعم الامريكي مستمرا بالسلاح المتقدم وبالكميات المطلوبة ثم التاييد السياسي في الامم المتحدة الذي احبط جميع المحاولات المبذولة لتنفيذ القرارات الدولية ومنها القرار ٢٤٢ الذي شاركت الولايات المتحدة ذاتها في صياغته وظلت تؤيد المطلب الاسرائيلي بالمفاوضات المباشرة ، فقد ظلت اسرائيل كذلك مطمئنة للتاكيدات الامريكية باستمرار انتشار المظلة الامريكية ، ولئن كان حقا ايضا ان الولايات المتحدة عارضت

اسرائيل في مسألة المستوطنات وثار جدل بين الطرفين تسربت اخباره واتيح له ان يجد طريقه الى وسائل الاعلام الامريكية خاصة، في مطلع السبعينات ، حول تمييز امريكي بين « امن » اسرائيل و « التوسع » الاسرائيلي ، فانه ينبغي الملاحظة ان هذا التمييز الذي طرحه في مجلس الامن القومي الامريكي المستشار ، انذاك ، هنري كيسنجر جاء ليحافظ على القنوات المفتوحة مع مصر خاصة بعد قبول الرئيس عبد الناصر بمبادرة وزير الخارجية وليم روجرز، دون ان تمنع هذه المعارضة استمرار مشاريع الاستيطان الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة . بل ويمكن استخدامها ورقة ضغط تفتح الطريق امام ممارسة النفوذ الامريكي . ففي ذلك الحين حدد الدكتور هنري كيسنجر في احد لقاءاته السرية الدورية برؤساء تحرير كبريات الصحف الامريكية : « هدف السياسة الامريكية في الشرق الاوسط تنشيط الانظمة المعتدلة » ولم يدع ثمة مجالا للشك بأن معنى ذلك قبول العرب بعدم العودة الى حدود ما قبل ٥ حزيران وابعاد الاتحاد السوفييتي عن المنطقة، واحداث تغييرات اجتماعية في المنطقة العربية ، ولقد ادى الموقف الامريكي ، لشعور متزايد في الاوساط الاسرائيلية الحاكمة هو مزيج من الثقة نتيجة استمرار الدعم الامريكي والركون الى القوة العسكرية المجردة ، حتى ان وزير الخارجية انذاك ابا ايبان شكى من ان الحكومة عطلت وزارته عن العمل وأولت وزير الدفاع موشي ديان مكانة النجم .

ان الحكومة التي شكى ابا ايبان من اهمالها لدور وزارة الخارجية في عالم تزداد فيه عزلة اسرائيل لم تكن لديها اوهام حول حقائق العالم . فلقد كان لديها احد الخيارين : اما التوسع بالقوة واما الانكماش والفناء .

كانت المرحلة التالية لحرب حزيران تطبيقا عمليا لاستراتيجية التوسع الصهيوني اوسع نطاقا من اي وقت سبق ، وتنفيذا للسياسة الاستعمارية البريطانية ووريثتها الامبريالية الامريكية التين محورهما منع وحدة الامة العربية وعرقلة تطور وتقدم اقطارها . ولقد شجعت نتائج حرب حزيران الولايات المتحدة على تشجيع الدور الاسرائيلي بمحاولة استثمار النصر العسكري بالضغط بالاسلحة المتقدمة واطلاق يد اسرائيل العسكرية في المنطقة .

ولقد كان هذا وضعا مريحا لدرجة ان الحياة السياسية في اسرائيل اصبحت في صيف العام ١٩٧٣ تدور كلها حول المشاريع الاستيطانية في الاراضي العربية المحتلة . واهملت تماما سكان هذه المناطق اشارة ضمنية الى استمرار نهج « تفريغ » السكان الاصليين . وكان هذا محور المزايدات بين الكتل والاحزاب السياسية بينما اصبحت الانتخابات على الابواب واخذ كل حزب ينافس بقية الاحزاب على اصوات الناخبين بالتوسع في تقديم الوعود باقامة المزيد من المنشآت العمرانية والاستيطانية ، حتى كاد الامر يبلغ حدود الازمة السياسية . ولكن الموضوع حسم بعد مناقشات مطولة داخل الكواليس بحل وسط عرف بـ « وثيقة غاليلي » وقدمه الوزير اسرائيل غاليلي المقرب الى رئيسة الوزراء غولدا مائير . بيد أن هذا المشروع لم يكن اقل تطرفا من بقية المشاريع المطروحة وانما كان اكثر مرونة بحيث فتح باب الخيارات امام الحكومة وحسب .

وكان هذا بالنسبة لاقطار المواجهة العربية بالدرجة الاولى ، اكثر مما يحتمل ، وبداية الدورة الجديدة في الصراع العربي الاسرائيلي الصهيوني .

سنـوات الاستجابـة

سبق حرب تشرين الاول ــ اكتوبر ــ ١٩٧٣ ، اعداد مطول من العمل السياسي والعسكري ، وكان هناك دائمـا الاحسـاس الطاغي بحتمية المعركة مع العدو . ولكن عبء المعركة ظل علـى اقطار المواجهة ، وخاصة سورية ومصر ، بصورة اساسية ، ولم يكن ثمة رصيد ، سوى الصداقة التقليدية التي تربط القطرين والاتحاد السوفييتي ، والشعور المشترك بأهداف العدوان . فكان ان قام برنامج واسع لاعادة تسليح القوات المسلحة في القطرين اولا للصمود وثانيا لرد العدوان . وكان من النتائج الاولى والمبكرة ايضا لاعادة بناء القوات المسلحة السورية ان عادت وحدات المقاومة الفلسطينية الى ممارسة نشاطها عبر خطوط وقف اطلاق النار في الجولان ، تحت غطاء القوات الميدانية ، كذلك اصبح النشـاط الحزبي يتضمن عبور الاعضاء الحزبيين تلك الخطـوط ، وعاود الطيران جولاته في الاجواء السورية . وفي خريف العام ١٩٧٣ وصف موشي دايان ، اثناء جولة تفقدية في الجبهة الشماليـة ، شبكـة الدفاع الجوي السوري بانها احكم شبكة من نوعها في العالم ، خارج المنظومة الاشتراكية ، « وتغطي المنطقة الشمالية » .

وفي مصر قام الرئيس عبد الناصر بالاشراف شخصيا علـى اعادة بناء القوات المسلحة ، فتم تعويض المعدات المفقودة بالطائرات ــ من الاتحاد السوفياتي في اول الامر ، وكان التدريب في كافـة المجـالات .. واخـذت التشكيـلات تستعيـد قوتهـا ونشاطها بسرعة فائقة » وسرعان ما اثبتت القوات المسلحة المصرية وجودها اولا بتدمير المدمرة الاسرائيلية ايلات ــ ت اول ١٩٦٧ ــ وضرب ميناء ايلات وخزانات البترول فيه ردا على قصف معامل تكرير البترول في السويس ثم بشن حرب الاستنز'ف ــ اذار ،

مارس ، تموز ، يوليو ١٩٦٩ ــ وكانت هذه الحرب الاخيرة مشروعا طموحا ، باي مقياس ، هدفه الاحتفاظ برأس جسر على الضفة الاخرى من قناة السويس ولكن لم يكن له ان يتحقق الا عن طريق بناء نظام للدفاع الجوي ولذلك توقفت الحرب بعد قيام الطائرات الامريكية المتقدمة من طراز فانتوم وسكايهوك المقدمة حديثا من الولايات المتحدة بغارات واسعة النطاق لتدمير بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات ، الامر الذي حمل الرئيس عبد الناصر على قبول ما سمي بـ « مبادرة روجرز » وكان هدفه كسب فسحة من الوقت حتى يتم استكمال « بناء قواعد الصواريخ في وقت كان الجيش بحاجة لفترة راحة استعدادا لقفزته الكبرى » ويبدو ان الرئيس عبد الناصر كان يعد لاجتياز القناة في وقت قريب ، وتجلت هذه النية بغارات القوات الخاصة على نطاق واسع في سيناء وابقائها فترات طويلة بلغت في كثير من الاحيان اربع عشرة ساعة ، كما صرح الكاتب محمد حسنين هيكل الذي كان مقربا منه ، في مقابلة تلفزيونية ، بدمشق ــ ٧٤ ــ ان عبد الناصر رغب اليه ارجاء استقالته من منصب وزير الثقافة والارشاد معللا رغبته بقوله ان خدماته مطلوبة « لاننا حنخش » .

بيد ان عبد الناصر لم يعلم احدا بنواياه الحقيقية ، مما جعل قبوله بمبادرة روجرز تلقى تأويلات مختلفة ، ومعارضة شديدة ، وكان اقوى رد فعل الاحساس الشديد بالخوف من أن يكون هو قد وقع تحت تأثير اغراء المبادرة الامريكية ، وكانت سورية تناهض المبادرات الامريكية ادراكا منها لاهدافها التقليدية وهي عزل الجبهات العربية وتصفية حركة التحرر العربي وانهاء الصداقة التقليدية مع المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفييتي ، وقد ساد دمشق بطبيعة الحال شعور عميق بخطر التدهور الطارىء . الا انه

صادف ان اشتبكت القوات السورية والاسرائيلية في معارك ضارية طوال ايام على جبهة الجولان، وكانت الاعنف من نوعها حتى ذلك الحين، وامكن وقف تدهور الموقف وشد ازر الرئيس عبد الناصر لئلا يظل وحيدا أمام الولايات المتحدة بعد قبوله بمبادرة روجرز ، غير ان تلك الاشتباكات لم تكن وليدة الصدفة تماما ، اذ يبدو ان القوات المسلحة السورية اتخذت في وقت مابعيد العدوان قرارا بمنع العدو من الاستقرار ، فظلت تقوم بغارات جوية ، على فترات متقطعة ، على المستوطنات الاسرائيلية وضرب المشاريع الزراعية في الجولان ، كما اخذت الطائرات السورية المقاتلة في اختراق سماء تل ابيب في عدة مناسبات .

لقد كان يجري تلقيم العدو طعم المقاومة لقمة في الجنوب ولقمة في الشمال ، وعلى الاغلب بصورة عفوية . فليس هناك ما يشير الى وجود تنسيق بين الجبهتين الا في اعم الصور ، وفي حدود اتفاقية الدفاع المشترك الموقعة قبل حزيران ١٩٦٧ . ولعل من المستغرب ان يكون ثمة اتفاق بين الفريقين خارج الاطار السياسي العام ، فلو وجد لسارعت اسرائيل الى تصعيد الموقف العسكري قبل الانتهاء من اعداد القوات المسلحة العربية لتمنع الاتفاق والتقاء جناحي الجبهة الاوسع في الشمال والجنوب .

والحقيقة ان التعاون العربي لم يتحقق الا في وقت لاحق بعد رحيل عبد الناصر ، بالرغم من محاولاته الدائمة بعد مؤتمر القمة العربي السادس لاشراك اوسع عدد من الاقطار العربية في عمل مشترك ، الا ان مجموعة الاقطار التي اخذت في المساهمة الفعلية وعرفت باسم اقطار المواجهة اقتصرت ، الى حد بعيد ، على سورية ومصر والسودان وليبيا بعد ثورة الفاتح من ايلول . اما المساهمات المادية المقدمة الى مصر والاردن ، فكانت متواضعة

لا تتناسب وحجم تكاليف اعادة بناء القوات المسلحة في هذين القطرين ، فمصر لم تزد حصتها من المخصصات عن خسارتها المادية نتيجة اغلاق قناة السويس .

اما سورية فقد اخذت بسياسة التضامن العربي بعد الحركة التصحيحية التي وضعت شعار « لا صوت يعلو على صوت المعركة، كل شيء للمعركة » وانتقلت المشاركة في حشد الجهود العربية لهذه المعركة التي بدت حتمية الوقوع في وقت وشيك .

لقد كانت حصيلة العام ١٩٧٣ مناسبة تماما للقيام بعمل عسكري يعيد المبادرة للعرب . فقد بدت عزلة اسرائيل الدولية واضحة ، بسبب عدوانيتها ونزعتها التوسعية الاستيطانية وظهورها اداة التنفيذ بيد الامبريالية فكانت هذه مدعاة لضيق واسع في العالم الثالث وافريقيا خاصة لاقتراب القوات الاسرائيلية من حدودها القريبة ولتواطؤ اسرائيل مع النظامين العنصريين في روديسيا وجنوب افريقيا ، بل ان اوجه الشبه بين العنصرية الاسرائيلية ونظيرتها البيضاء في جنوب القارة الافريقية اقوى من ان يمكن تجاهلها . كذلك كان الغضب قد عم العالم الاسلامي ، حتى اقطاره النائية البعيدة عن الاحتكاك المباشر مع اسرائيل ، بعد حريق المسجد ، الاقصى في القدس ـ اب ١٩٦٩ وبسبب اجراءات سلطات الاحتلال لتغيير معالم المدينة المقدسة واصرارها على تهويدها . فلما عقد مؤتمر رؤساء الدول الافريقية ـ اديس ابابا ـ ايار ، مايو ، ١٩٧٣ ـ صدر اول قرار واضح عن المؤتمر بادانة اسرائيل لاستمرارها في احتلال الاراضي العربية ، وفي ذلك المؤتمر قطعت غالبية الدول المشاركة علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل وتبعتها دول اخرى في غضون ايام ، حتى بلغت نسبة هذه الدول

ثمانين بالمئة ، ومنها من كانت تربطها باسرائيل تقليديا علاقات قوية مثل اثيوبيا والكونغو .

ولقد تحقق للعرب نصر اخر ، في المؤتمر الرابع لرؤساء دول عدم الانحياز في ايلول ١٩٧٣ ، واتخذت فيه قرارات تؤيد شرعية نضال شعب فلسطين ضد الاستعمار والصهيونية والعنصرية ، وتندد ، بسياسة اسرائيل العدوانية التوسعية ولجوئها المستمر ، منذ وجودها ، لاساليب العنف والارهاب وتطالبها بالانسحاب غير المشروط من الاراضي العربية المحتلة ، وطالبت بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية معها »

وفي اوروبا الغربية كانت الاوضاع تميل باطراد لغير صالح اسرائيل ، خاصة في فرنسا الديغولية وبريطانية كانت تتطلع بكثير من القلق الى استمرار اغلاق قناة السويس باعتباره عملا عدائيا موجها ضدها لاثره على اختلال ميزان مدفوعاتها بل ولم تكن بقية البلدان الاخرى افضل حالا . ولذلك كانت تتطلع الى حل « قضية الشرق الاوسط » في اقرب فرصة ، خوفا من تفاقم الوضع وانعكاسه سلبيا عليها .

وبذلك كان الوضع الدولي مهيأ ، في الثلث الاخير من العام ١٩٧٣ ، لعمل هجومي عربي ، بعدما اصبحت اسرائيل في وضع دفاعي تماما ، وباتت الولايات المتحدة عاجزة عن تقديم الدعم السياسي والدبلوماسي التقليدي لاسرائيل ، بدون مواجهة حرج الموقف . بيد ان مثل هذا العمل ظل بانتظار المناسبة المحلية . ولقد وفرتها اسرائيل . اذ اشتدت في تلك الفترة الحملة الانتخابية بين المتنافسين الذين شرعوا يتبارون في طرح البيانات المتوسعة في عرض المشاريع الاستيطانية وكلها اشارات صريحة الى ان خطوط وقف اطلاق النار هي حدود الدولة ، كما ان بعضها

حملت انذارات باستخدام القوة العسكرية الاسرائيلية المتنامية بفضل تدفق الاسلحة المتطورة من الولايات المتحدة حتى ضد الاقطار البعيدة عن خطوط المواجهة وكانت ذروة المناسبات قيام مجموعة من الطائرات الحربية الاسرائيلية ـ ٦٥ طائرة ـ باختراق اجواء الساحل السوري فاشتبكت معها الطائرات السورية ، وكان اشتباكا واسعا واعتبر استفزازا لا يمكن الا الرد عليه ، فحتم ، على ما يبدو ، توقيت المعركة في وقت قريب .

لقد توفرت في ذلك الوقت كل العناصر اللازمة للحرب العادلة في عصرنا فكانت هناك الشرعية الدولية المنتهكة بالعدوانية الاسرائيلية الصهيونية ، وكان هناك تأييد العالم الثالث المهدد ببعث الاستعمار الاستيطاني واختلال موازين التعامل مع الولايات المتحدة خاصة . وكان هناك القدرة العسكرية .

ولقد كانت المسألة الوطنية شديدة الوطاة على الحياة العربية . فكان المسرح معدا تماما لعمل تاريخي .

الحرب :

كان ثمة شعور بالقلق سري، في اسرائيل ، منذ نهاية شهر ايلول ، بين كبار القادة العسكريين وانتقل الى الحكومة وكان مصدر هذا القلق ورود تقارير تفيد بانباء حشود عسكرية ضخمة على الجبهتين السورية في الشمال ، والمصرية في الجنوب ، بيد ان احدا لم ياخذ بهذه التقارير الى نتيجتها القصوى ، وهي احتمال شن هجوم عربي منسق على الجبهتين حتى وقت متاخر جدا ، اي في صبيحة يوم ٦ تشرين ـ اوكتوبر ـ ذاته .

اما على الجانب العربي فان تلك اللحظات كانت قبل الاخيرة في العد العكسي للحرب ، ونتيجة تفاهم ضمني سابق ، كما بدا

من اعادة بناء القوات المسلحة ، واتفاق لاحق بين القيادات السياسية والعسكرية في القطرين سورية ومصر ، وان يكن من العسير تحديد لحظة البدء في بدء التنسيق لخوض العمليات الحربية ، نظرا للافتقار للادبيات العربية الرسمية الخاصة بتاريخ هذه الحرب ، الا ان الكاتب محمد حسنين هيكل الوثيق الاطلاع يحدد يوم ٢٢ اب – اوغسطس ٩٧٣ تاريخا « لوضع اللمسات الاخيرة لخطة الهجوم في وقت واحد على القوات الاسرائيلية التي تحتل ارض سيناء المصرية والجولان السورية ، يتم خلال خريف تلك السنة . وكان التخطيط لمثل هذا الهجوم قد بدأ قبل ذلك بوقت طويل – ... – بصورةاو باخرى – ... – واتخذ بطبيعة الحال اشكالا متعددة ، ولم يتخذ شكله النهائي الا بعد ان تم اقامة القيادة العسكرية الموحدة في « ٣١ كانون الثاني يناير ١٩٧٣ » .

كان تحريك القوات على الجبهتين احدى اهم المشكلات السياسية العسكرية اذ لا بد من ايجاد هذا التحريك دون أن يستلفت انتباه العدو قبل الاوان . فالكثير كان يعتمد على المفاجأة العملياتية ، وان يكن من العسير امتلاك المفاجأة الاستراتيجية كاملة لفترة طويلة .

ولقد ثارت شكوكفي القيادة العسكرية الاسرائيلية على جبهة الجولان ، اذ بث الجنرال اسحاق حوفي مخاوفه الى الوزير موشي دايان من كثافة الحشود امام مواقع قواته هناك . وللتو قام دايان بزيارة هذا القطاع واصدر اوامره بتعزيز القوات المدرعة تحت قيادة حوفي من القوات الخلفية ، بعد ما لاحظ اتساع شبكة الدفاع الجوي السوري – ... – . اما فيجبهةسيناء، فان الامور كانت تسير سيرها الطبيعي ولم تؤخذ الحشود المصرية الا باعتبارها جزءا

من المناورات السنوية المعتادة وسرعان ما خف القلقفي اوساط القيادة الاسرائيلية تدريجيا ، حتى ان رئيس المخابرات طمان رئيسة الوزراء غولدا مائير الى انه ليس ثمة ما يدعو للقلق حقيقة .

لقد كانت تلك احدى الحالات النادرة التي يتساوى فيها شعور القلق مع الاحساس بالثقة المفرطة . ولكن سرعان ما غلبت الثقة على القلق ، ولسبب وجيه .

فاسرائيل كانت في تلكاللحظات تستند الى سلسلة متصلة من الخطوط تقوم من القنيطرة السورية شمالا فنهر الاردن شرقا حتى قناة السويس جنوبا تقوم على حراستها سلسلة مماثلة من المواقع الطبيعية ــ قناة السويس ، نهر الاردن ــ والعقد الدفاعية المصطنعة ــ خط بارليف على قناة السويس ، خط آلون المضاد للدروع في جبهة الجولان ــ . كانت تلك خريطة اسرائيل الفعلية التي رسم مبداها بن غوريون بقوله ان حدود اسرائيل تنتهي حيث يقف اخر جندي اسرائيلي .

ولكن ما كان معتقدابانهافضل الحدود الامنة لم يمنع من ان تؤخذ اسرائيل في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السادس من تشرين بمفاجاة تامة .

لقد نشب جدل واسع في اسرائيل ، وفي اوساط المعلقين العسكريين ، بعد الحرب ، حول مسالة المفاجاة . وكان مصدر هذا الجدل ما اطلق عليه يومذاك اسم « حرب الجنرالات » الاسرائيليين بعدما اخذوا يتبادلون الاتهامات وكل يحاول تبرئة نفسه بزعم انه سبق له التنبؤ بما كان اتيا .

والحق انه من العسير الاقتناع بان الحشود العسكرية

العربية لم تستلفت انتباه العسكريين الاسرائيليين، او ان نواياهم لم تكن واضحة ، فهل كان يمكن ان تحشد لغير ما غاية ؟ او انها حشدت لتبقى ساكنة في خنادقها ، بكل ما في ذلك من نفقات لا مبرر لها ؟ وهل كان يمكن ان تبقى تلك القوات في مواقعها الى مالانهاية ، بما ينطوي عليه ذلك من تأثير سلبي على روح الجنود المعنوية ؟ لاشك بأن هذه الاسئلة قد وجدت لنفسها اجابات امام المسؤولين عن تقييم استطلاعات المخابرات وحظيت بموافقة متفاوتة من قبل القيادة العسكرية والسياسية . ومهما تكن تلك الاجابات ، فان اصحاب القرار ، في اسرائيل ، لم يجدوا مبررا لتعديل العقيدة العسكرية التقليدية القائلة بالاستفادة الى اقصى حد من العقد الدفاعية القائمة ، والاحتفاظ بالجسم الرئيسي من القوات العاملة في الخطوط الخلفية ، اعتقادا بان الخطوط القائمة توفر المدى المناسب للانذار والحشد لمواجهة الهجوم المحتمل او القائم .

ومع ذلك فقد اخذ الاسرائيليون تماما بالمفاجأة .

فكيف ذلك ؟

ان عناصر عديدة شكلت عامل المفاجأة ، وكانت ، في واقعها ، ابعد اثرا مما يبدو للوهلة الاولى .

فأولا كان الاعتقاد ــ وبدا هذا انطباعا سطحيا لا اساس له في الواقع ــ بان العرب مازالوا غير مهيئين للتعامل مع تقنية اسلحة الحرب الحديثة .

وكان الاعتقاد الثاني ان العرب غير قادرين على العمل العسكري المنسق ، او على الاقل اذا تحقق هذا فسوف تتوفر للقيادة الاسرائيلية المعلومات المناسبة لتقوم بحشد الاحتياط في الزمان والمكان المناسبين لتنفيذ ضربة استباقية تجهض ذلك العمل قبل اكتمال الحشد العربي . وقد برهنت افادات القادة العسكريين

الاسرائيليين أمام « لجنة اغرانات » للتحقيق في ما سمي هنـاك ـ « التقصير » وكذلك التصريحات الصحفية على عدم امتلاكهم للمعلومات الدقيقة عن الحشد العربي ولا عن النوايا العربيـة ، والاهم درجة التنسيق بالرغم من انه يصعب تجاهل وجود القيادة العسكرية الموحدة منذ مطلع ذلك العام . ولعل من الاسباب وراء هذا التجاهل وقوع القيادة العسكرية في خطيئتي التمسـك بالتصورات المسبقة عن الخصم والذات معـا .

وربما كان التقصير الاكبر في مجال المعلومات ـ المخابرات ـ اذ يبدو ان القوات الاسرائيلية فوجئت في الميدان بالتكتيك العربي اذ استطاع المشاة بالاسلحة الفردية الخفيفة ـ من طراز سناير وساغر ـ التصدي، للمدرعات والتعامل معها بنجاح كامل كما امكن لهذا السلاح ، الذي بدا انه فقد اهميته بعد ظهور الدبابة والطائرة، من استعادة مكانته بفضل مقدرته على التعامل مع الطائرات بسلاح فردي كذلك ـ ستريلا سام ٧ ـ .

وهناك ، بعد ، العامل الرابع وهو وفرة السلاح في ايـدي المقاتلين . ولكن لعل الاهم كان الادراك المستجد في الاوسـاط الاسرائيلية بمدى عمق الثغرات في الكيان الاسرائيلي مقابل الامكانات العربية ، وساد هناك خوف مرير من احتمالات المستقبل !

فهل تتمكن من الصمود بقواها في بحر عربي متعاظم وماذا ستكون وظيفتها في النظام العالمي ـ التي بات واضحا انها محدودة ـ ذلكم كان نموذجا من الاسئلة التي اطلقتها ـ الشرارة ـ في تلـك الدقيقة الحرجة من بعد ظهر ٦ تشرين اول ـ اوكتوبر ـ ١٩٧٣ ، وكانت مبعثا لحساب دقيق مع النفس اثناء القتال وبعده ، بقدر ما كانت باعثا لتبادل الاتهامات بين اوساط الحكم في اسرائيل .

ففي الساعة الثانية من بعد ظهر ذلـك اليوم وتحت قصف

مدفعي كثيف تحركت القوات المسلحة في الجولان السورية وتمكنت من اختراق خط الون المضاد للدروع واجتياح العقد الدفاعية ومعظم الاستحكامات والاستيلاء على مرصد جبل الشيخ الحيوي واخذت في التسابق الى ضفاف بحيرة طبريا .

ولم يكن الحال ليختلف على جبهة قناة السويس ، اذ استطاعت القوات المصرية العبور ، تحت قصف مدفعي مماثل ، واخذت تطوي موجة اثر موجة خط بارليف الاسطوري ، وبعدها تدفقت ، على الجسور العائمة ،مدرعات الجيشين الثاني والثالث ، بينما كانت الطائرات المصرية تقصف تجمعات العدو ومراكز اتصالاته وقياداته ووحدات قوات الصاعقة تقطع طرق امداداته ، وقد وجد العدو نفسه مضيفا هزيمة جوية اضافة الى خسائره على الارض ، اذ وجد طائراته التي زجها لوقف تقدم القوات المسلحة على الجبهتين ، تتهاوى بين عقد شبكات الدفاع الجوي هنـاك .

وبدا طوال الايام الاربعة الاولى ان الاستراتيجية العربية كانت تقوم على اساس جذب العدو بين طرفين وهكذا استمرت القوات السورية في التقدم والضغط باتجاه حدود ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ ، في اكثر من اتجاه ، ما عدا القطاع الشمالي الذي كان امر التغلب عليه مسالة فنية وكان من الواضح ان العدو سيركز ثقله بعد حشد قواته الاحتياطية على الجولان لقرب هذه الجبهة من ارضه ومنعا للاحتمال المؤكد وهو تقدم القوات السورية باتجاه سهل الحولة والجليل الاعلى . ولذلك كان على القوات السورية ان تمتص ، كالترس ، الضربات تسهيلا لتخفيف الضغط على الجبهة المصرية حتى تستكمل القوات حجمها الكامل على الضفة الشرقية ، لقد كانت استراتيجية ناجحة ، طوال تلك الايام .

كانت الفترة التالية ، ١١ ــ ١٤ ــ تشرين أول ــ اوكتوبر ، مرحلة الهجوم المضاد الاستراتيجي الاسرائيلي بعد تدفق الجسر الجوي الامريكي الذي بدا في اليوم الثاني من الحرب ، وتركز الثقل على جبهة الجولان ، ولقد بدا انشغال القيادة المصرية عن الضغط على الجبهة السورية وحدها ليفتح باب الاجتهادات حول الاستراتيجية القائمة ، وتحولت الى استراتيجيتين ، الجديد فيها الاستراتيجية المصرية المنفردة التي كشف عنها الراحل المشير احمد اسماعيل علي في الذكرى الاولى لحرب تشرين ــ اوكتوبر ، بانه وجه القوات المصرية الى المعركة بناء على امر القائد الاعلى ــ رئيس الجمهورية بتوجيه ضربة امنية الى القوات الاسرائيلية ولذلك فان القيادة المصرية لم تحرص على متابعة الاتفاق مع الرئيس حافظ الاسد بالاستمرار الى ممري الجدي ومتلا . اما المبرر الذي قدمته القيادة المصرية في عدم تطوير الهجوم المصري في المرحلة التالية ، فكان الرغبة في تدعيم رؤوس الجسور والمواقع. ولقد استغل العدو تلك الفترة في التركيز على الجبهة السورية بالتوسع في قصف العمق ــ والمواقع الاهلة بالسكان وقد انعكس انقطاع الاتصال بين الجبهتين بصورة قلق واضح في سورية لعدم الاستجابة من جانب القيادة المصرية للتصعيد الاسرائيلي وكانت حجة القيادة المصرية انها لا تريد خروج قواتها وراء ستار شبكة الصواريخ المضادة للطائرات .

وفي غضون ذلك ظلت المعارك تدور وتتعاظم معها الخسائر الاسرائيلية في الجو وعلى الارض مع ما اصبحت تعانيه بسبب الحصار البحري المفروض عند باب المندب ، مما احدث نقصا في التزود بالبترول من ايران واخذ يهدد بوقف الة الحرب الاسرائيلية.

ولقد امكن بعد ذلك ــ في ما بين ١٢ــ١٨ التعويض عن غياب

اثر الجهد في الجنوب على الجولان بالدعم من الاقطار العربية الاخرى وصد الهجوم الاسرائيلي وتضييق ثغرة سعسع في القطاع الشمالي، ومنع التقدم نحو دمشق .

اما المرحلة الثالثة فقد تميزت بالتوازن على الجبهة السورية ، وانتعاش الامال لدى القيادة السورية بامكانية استئناف القتال ، اثر قيام القوات المصرية بتطوير الهجوم شرقا في يوم ١٤ فبدا الاستعداد عندئذ بالحشد للقيام بهجوم مضاد بقوة ٩٠٠ دبابة الا ان هذه الامال قد ضعفت بعد خطاب الرئيس السادات في مجلس الشعب المصري يوم ١٥ تشرين معلنا عرضا بوقف القتال وعقد مؤتمر للسلام .

ولا ريب بأن هذا العرض قبل حسم الموقف مع العدو ، وفي ضوء تدفق الجسر الجوي الامريكي ، قد اضعف الموقف العربي عموما ، وعلى الجبهة المصرية خاصة بعد معركة الدبابات الواسعة في اليوم السابق ١٤ منه حيث تحقق للعدو بعض النجاح .

ولقد لحقت بذلك المرحلة الرابعة على الجبهة المصرية ، وتميزت ، باستغلال العدو رأس جسر على البحيرات المرة ،للعبور الى الضفة الغربية والانتشار بعد قبول مصر بوقف اطلاق النار ٢٢منه ، وقد بدات هذه العملية غامضة وانتهت بغموض اشد ، الا أن الصور التي ظهرت في الصحف عكست تنافرا في اوضاع القيادة المصرية ..

وفي اثر قبول القيادة المصرية بوقف اطلاق النار ، اتخذت القيادة السورية قرارا بالموافقة على قرار مجلس الامن وصدرت الاوامر بوقف اطلاق النار . بيد ان وقف اطلاق النار ، بدا في الحقيقة برسالة مقتضبة من الرئيس انور السادات بتاريخ ٢١ ـ

١٠-١٩٧٣ الـى الرئيس حافظ الاسد يبلغــه بقبولـه قـرار وقف اطلاق النار لانه بعد ما اتضح له بأنه كان في الايام العشــرة الاخيرة يحارب امريكا لا يملك ان يتحمل المسؤولية التاريخيـة بتدمير قواتـه .

ورد على برقيته الرئيس حافظ الاسد في اليوم ذاته مبديا عدم اقتناعه بتقييمه ـ السادات ـ مذكرا بما خاضته وتخوضـه القوات السورية من قتال وبضرورة الصمود . وتدمير القـوات التي عبرت القنـاة .

والحق ان هذا الخلاف ظهرعلنا،وان روعي اخفاؤه وذلكفياليوم العاشرحينماوجهالرئيسالاسدكلمةشددفيهاعلىصموددمشق واخواتها مدن هذا القطر المناضل مذكرا بان قوات مصر الباسلة ، حطمت غرور العدو وهزمته ، محددا هدف الحرب ، التحرير وذلك مقابل خطاب الرئيس السادات الشهير في مجلس الشعب والذي عرض فيه السلام قبل تدميره على الاقل الجسر الرئيسي لقوات العدو.

الثغرة : امريكا تدخل ودورة تكتمل

« تابع الدكتور تيسلر قائلا : ان اسرائيل هي المفتاح .. اني أعلم بأن قولي هذا كفيل بأن يثير الشكوك ـ حول نزاهتي الفكرية ـ لكوني يهوديا . ولكني اقول هذا لاني ، اولا وقبل كل شيء ، وكما أعلم عن يقين ،رجل يعنى بالجغرافيا السياسية.واسرائيل، كما يوحي الي عملي ، هي المحور ، اذ تقع ، كما تعلمون بالقرب من ثروات افريقيا ، فضلا عن انها تشد العرب الى الغرب ـ خوفا من بأسها ـ ان قواتها تهيمن على قناة السويس .. »

ـ جون ايرلخمن في الرواية العصبة ـ

قال مجهول في احد شوارع دمشق ساخرا : هل من الممكن وقف اطلاق النار بدون تصفية الثغرة ..؟ ـ

بينما كان القائد الاعلى للقوات المسلحة المصرية يتوجه بموكبه الى مجلس الشعب ليلقي خطابه ـ او لعله كان يلقيه فعلا ـ اتصلت احدى وحدات الجيش الفلسطيني تفيد باقتراب وحدات معادية من الضفة الغربية للقناة ولكن احدا في القيادة المصرية لم ياخذ بهذا التقرير حتى اليوم التالي حينما اشار بيان عسكري مقتضب يفيد بانه تم بعد ظهر ذلك اليوم ـ ١٦ منه ـ تدمير ثلاث دبابات وتشتت اربع دبابات اخرى في المنطقة غرب القناة . ولم يفهم احد السبب في تكريس بيان عسكري لسبع دبابات فحسب أو معنى تشتيت أربع دبابات غرب القناة ، كان السؤال يومذاك ماذا كانت تفعل هذه القوة الصغيرة بعيدا عن مواقعها الطبيعية ، بعيدا في الشرق ؟ واين تشتت الباقي ؟ أم تراها انضمت الى قوة اكبر ؟ لقد تكفلت رئيسة الوزراء غولدا مائير بالرد ، اذاعلنت في عصر ذلك اليوم ان « هناك قوة اسرائيلية تعمل في تلك اللحظة غرب القناة » .

كانت تلك القوة طلائع الجسر الجوي الامريكي ، بعضها من مخازن الولايات المتحدة ذاتها ، وبعضها من مخازن الحلف الاطلسي في الدول الاوروبية خاصةفيالمانيا . وكان تطور الحرب يحمل سمات فكر وزير الخارجية الامريكية الصاعد الدكتور هنري كيسنجر الذي عرف بمذهبه القائل بان السلام يجب ان يعكس موازين القوة،وفي هذه الحالة تريد الولايات المتحدة اظهار تفوقها التقني والصناعي حتى تحتفظ لنفسها بوضع ـ المهابة ـ وتكون لقوتها ـ مصداقية ـ .

ولقد جاءت حرب تشرين ـ اوكتوبر ـ فرصة مناسبة ليضع الدكتور كيسنجر مذهبه في المختبر بعدما ، اشبعه دراسة وبحثا في دراساته الاكاديمية وكان هو ذاته بحاجة لمثل هذه الفرصة

اذ وجدها مواتية في وقت عصفت بالبلاد أزمة ووترغيت وتهديدها بزوال الزعامة القومية ، وثانيا لصرف الانتباه عن الازمة الداخلية الاخرى وهي الحرب الفيتنامية التي وضعت الولايات المتحدة في مازق مستحيل احتماله جاء هو ذاته الى منصب وزارة الخارجية ليخرج البلاد منه .

بيد ان ثمة امرا اخر ذهب اليه فكر الدكتور كيسنجر حينما اندلعت الحرب في هذه المنطقة الحساسة . كان هذا الذي الح على خاطره معنى اندحار اسرائيل الغربية بقوة ازدواج العسكرية العربية والسلاح الذي تحمله،وكان مصدره بطبيعة الحال ،الاتحاد السوفييتي ، ولذلك فانه حالما اخذت الاصوات تتوارد من اسرائيل بطلب السلاح ، حرص على الحصول من الرئيس نيكسون في اليوم الثاني على امر بالشروع بامدادها بالجسر الجوي الشهير ـ الاكبر من نوعه في التاريخ منذ الجسر الجوي الى برلين ـ محملا بالاسلحة المضادة والدبابات ، وبعضا لم يكن قد عرفته الدول الاوروبية الشريكة في الحلف الاطلسي . فتدفق السلاح الاميركي بسخاء ادى، كما ذكر رئيس الاركان المشتركة الامريكية انذاك الجنرال جورج براون ، الى افراغ مخازن الاسلحة واخل بميزان القوى مع الاتحاد السوفييتي ، وهذاامر اثار حفيظة شركاء الولايات المتحدة فياوروبا، اولا عندما افرغ مستودعاتها بدون التشاور معها ومرة اخرى استنفار القواعد الامريكية ابان الاستنفار النووي الشهير . وهنا ثارت العلاقات الاوروبية الامريكية بسبب ازمة كانت تشتعل تحت الرماد بسبب الوصاية التي فرضتهاالولاياتالمتحدةعلىالدول الاوروبية من جهة ، واحساس اوروبا المتزايد باهمية الوطن العربي على مستقبل السوق الاوروبية المشتركة .

وكان من بين نتائج هذا التوتر ، قيام بلدان مثل المانيا

الاتحادية وفرنسا بمنع استخدام اجوائها لمرور طائرات النقل الامريكية حاملة العتاد الحربي الى اسرائيل المنكوبة .

ولما مضى كيسنجر في اولى جولاته المكوكية في الوطن العربي لفض الاشتباك كان حانقا لموقف الحلفاء الاوروبيين وبدا الاستعداد لفتح الملف الاوروبي .

وفي غضون ذلك شدت الانظار الى ما يمكن ان تاتي به الرياح ، انظار فرنسا ، وكانت ما تزال ديغولية النزعة ، والمانيا ذات النزوع الاستقلالي ، وبريطانيا المحافظة انذاك التي لم تكن مرتاحة في اي وقت للتواطؤ الامريكي الاسرائيلي الذي ادى الى اغلاق قناة السويس. ان الكثير كان يعتمد على نجاح او اخفاق مهمة كيسنجر. كان لقاء كيسنجر بالسادات في القاهرة يوم ٦ كانون الاول ـ نوفمبر ذروة الاتصالات المصرية الامريكية ، وقد افتتحها رسميا مستشار الامن القومي المصري حافظ اسماعيل بلقاء سري مع كيسنجر ذاته ، ثم الرئيس نيكسون في واشنطن في شهر شباط ـ فبراير منه ـ ٢١ـ. ولكن محمد حسنين هيكل الوثيق الاطلاع يرجع تاريخ هذه الاتصالات الى العام ١٩٧٢ ـ الا ان هذه الاتصالات اخذت منحى مختلفا بعد الاتصال العلني ، فكان انطباع حافظ اسماعيل عن لقائه بنيكسون بان : ـ كلامه عن حسن النية تجاه مصر كان اصيلا ، كما احس بان لدى نيكسون رغبة حقيقية ، في ان يقوم بدور شخصي في حل مشكلة الشرق الاوسط .

وقد تلاحقت بعدها اجتماعات سرية ثلاثة بين حافظ اسماعيل وهنري كيسنجر وضع خلالها ـ كيسنجر ـ ثلاثة مبادىء لتعامله مع مصر وهي الثقة المتبادلة وعدم الخداع والسرية المطلقة . وفى هذه اللقاءات طرح موضوع التسوية مقابل ـ تنازلات سياسية ، اقليمية ولايبدو ان الحديث قد تطرق الى شمولية الوضع في المنطقة.

لقد وصل كيسنجر الى القاهرة حيث كانت العناصر اللازمة لمحادثات مثمرة وبناءة قائمة واستجابة ودية ظاهرة من السادات فتوطدت الصداقة بين الرجلين واقتصر الحديث بينهما على فك الاشتباك على الجبهة المصرية والتسوية المرحلية . وقد وافق السادات بدون تحفظ .

واخذت الامور تتحرك متلاحقة بخطوات صغيرة وايقاعات سريعة ، كانما هي احداث في سيناريو موضوع سلفا .

ولكن الواضح ان دبلوماسية كيسنجر كانت ترمي الى شق التضامن العربي واضعاف جبهات القتال مع استمرار تقوية اسرائيل والضغط بهذه القوة لاظهار عجز العلاقات العربية السوفييتية تمهيدا لطرد الاتحاد السوفييتي من المنطقة ودخول الولايات المتحدة. اما قضية البترول فكانت هدفا آخر سعى كيسنجر الى استغلاله لانقاذ عجز ميزان المدفوعات الامريكية وضد أوروبا.

ولقد كان التفاهم بين السادات وكيسنجر كاملا بحيث اثار في دمشق في حينه خيبة امل واحساس بالمرارة عميقين بسبب موقف القاهرة وساد هناك قلق شديد لهذا التطور الجديد الذي انهى حرب تشرين ـ اكتوبر ـ بفعالية دونها قرار وقف اطلاق النار ذاته . ولم تكن مشاعر القلق اقل من اسيا والاقطار الافريقية حيث الظروف في نضوج مطرد لاشتداد حركة التحرر الوطني .

لقد كان يفترض بأن توازن القوى يكفل الاستقرار ، وكانت هذه النقطة المحورية في مذهب كيسنجر واشبعها دراسة وبحثا في اطروحته : ـ عالم جدد ترميمه : كاسارية ومترنيخ ـ واستقاها من مؤتمر فيينا الشهير، بعد انحسار نابليون . وكما حدث في اوروبا حيث لم يستمر السلام طويلا ، عادت الحرب واندلعت في الجولان ، من جديد ، بالرغم من تجميد الجبهة المصرية . ثم اتسعت باشكال اخرى .

الاعداد الشامل لحرب تشرين
وآثارها العسكرية والسيكولوجية

خاضت الامة العربية اربع حروب ـ اعوام ١٩٤٨ـ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ـ١٩٧٣ـ ضد اسرائيل ، الا ان اسرائيل ، على الرغم من انتصاراتها ، لم تستطع ان تترجم انتصاراتها العسكرية الى سلام مع الدول العربية او ان تخضع الدول العربية الى ارادتها بقوة السلاح . وفي كل مرة تندلع الحرب كانت الحرب بذاتها بنتائجها المبتورة تهيء لحرب مقبلة . . وبذلك ظل الشرق الاوسط يدور في متاهات الحلقة المغلقة غير القابلة للكسر .

بالنسبة لحرب تشرين كانت اسرائيل ، وعلى غرار دعاويها السابقة ، تبرر الحرب والقتال دفاعا عن امنها وبقائها . اما الحرب بالنسبة لمصر وسوريا وللامةالعربية فكانت في هذه المرة ، وبالصورة التي اعلنتها هاتان الدولتان العربيتان اجبار اسرائيل وبقوة السلاح على تنفيذ القرار ٢٤٢ بعد جهود دبلوماسية دولية بلا طائل كانت خلالها اسرائيل وبالتضافر مع الولايات المتحدة الامريكية تضع جميع العثرات ، وتتقنع بجميع الستائر السياسية والدبلوماسية المضللة ، وتتلاعب بنصوص وتفسيرات القرار الانف الذكر ، وتجهض المبادرات الدولية السلمية بدءا من مهمة يارينغ وحتى اللحظة التي اندلعت فيها حرب تشرين لتمنع المجتمع الدولي من تنفيذ قراراته بهذا الخصوص ، بروح نصوصها الحقيقية التي وافق عليها هذا المجتمع ، فحرب تشرين اذن كانت تنطلق من شرعية دولية وتعبر عن ارادة اقرها المجتمع الدولي .

لقد فجرت هذه الحرب تمحور العرب حول ثلاث مبادىء جاءت كرد فعل ازاء تصلب اسرائيل واصرارها على احتلال الارض متحدية الارادة الدولية المتمثلة بقرارها التاريخي رقم ٢٤٢ تحت زيف غطاء الحدود الآمنة . والمبادىء الثلاثة هي : لا مفاوضات ولا صلح ولا اعتراف باسرائيل والتي تمخضت عن اجتماع قمة الخرطوم .

ان الاعداد لحرب تشرين بالنسبة لمصر وسوريا كان يعني البدء من نقطة الصفر عسكريا ، واقتصاديا وسياسيا ، وسيكولوجيا ، ذلك لان هزيمة حزيران قد دمرت دفعة واحدة هذه المقومات الاساسية الاربعة الجوهرية لكل مجهود قتالي ناجح . فبفعل اغلاق القناة ، وسيطرة اسرائيل على هذا الممر الاقتصادي والحيوي الهام ، ووضع يدها على بترول سيناء ، وتدمير العتاد العسكري تدميرا شبه كامل في سورية ومصر والانهيار المعنوي الذي جاء نتيجة لهذه الهزيمة تقابل ذلك صورة معكوسة تماما من قبل الجانب الاسرائيلي . الصلف والخيلاء ، والغرور الذي لا حدود له والمصحوب بحشد اعلامي دولي صهيوني هائل خلق من الانتصار الاسرائيلي في اذهان الراي العام العالمي القناعة بمثويولوجيا شعب الله المختار ، واعيدت الى الاذهان قصة داوود الذي صرع جوليات المدجج بالسلاح ، ووصلت المغالاة الاعلامية الصهيونية في الصحف الامريكية لدرجة انها اقترحت وقتئذ أن تستعين الحكومة الامريكية بالقوات الاسرائيلية لانهاء حرب فيتنام .. نقول ان جميع هذه النتائج السلبية التي انعكست على العرب دفعت النضال العربي الى الوراء ليبدأ من جديد من نقطة الصفر في البناء العسكري والسياسي والاقتصادي والسيكولوجي وللسير في وعورة الطريق الى تشرين بجميع ابعاد معاناته القاسية .

آ ـ على المستوى السياسي الداخلي العربي : تخلي عبد

الناصر ، بعد هزيمة حزيران ، عن شعار وحدة الهدف ليرفع شعار وحدة الصف واولية المعركة القومية ضد الاحتلال الاسرائيلي، وبذلك اخذت معركة التحرير بعدا جديدا شاملا لاول مرة ، فتوحد الصف العربي – دول الصمود ودول الدعم – وتجسدت الاهداف العربية النضالية الموحدة بنتائج مؤتمر قمة الخرطوم التي ذكرناها وهكذا وصفت مجلة النيوزويك الامريكية لقاء عبد الناصر بالشعب السوداني في اعقاب انتهاء قمة الخرطوم بكلمة « يحيا المهزوم » .

ب – على المستوى العسكري : اخذت معركة اعادة بناء القوات المسلحة في كل من مصر وسورية هيكلا نوعيا جديدا في توظيف القدرة البشرية في المعركة اذ دخل الجندي العربي المثقف خريج الجامعة لاول مرة ليسهم ، وعلى نطاق واسع في التعامل مع التقنية العسكرية الحديثة المتطورة. فكان المهندسون والميكانيكيون، وخريجو المعاهد المهنية والعلمية الاداة الفعالة في وحدات الصواريخ والهندسة العسكرية ، ورحبات تصليح الاليات والمعدات الالكترونية في كلا الجيشين السوري والمصري .

ففي مصر بشكل خاص تضمنت خطة اعادة بناء القوات المسلحة التقييم الشامل لاسس التدريب حيث انيطت هذه المهمة الى الخبراء السوفييت الذين وصل عددهم الى ١٥٠٠ مستشار اعطوا الصلاحيات التي لا حدود لها من قبل عبد الناصر بالذات لدرجة امر هذا الاخير ضباطه الانصياع الكامل لجميع اوامرهم وتعليماتهم التدريبية بدون اي اعتراض – واجبكم فقط ان تتعلموا منهم وعليكم ان تضعوا حساسيتكم فيما يخص الكرامة والكبرياء على الرف – لقد صرفت مصر على الاعمال الهندسية العسكرية من شق الطرقات وبناء حضائر مسلحة للطائرات ما يقارب من ١٠٠ مليون جنيه مصري في نهاية العام ١٩٦٧ ولاعجب في ذلك اذ ان

احتمالات خرق اسرائيل لوقف اطلاق النار والاندفاع لاحتـــلال الضفة الغربية والتوغل داخل عمق الاراضي المصرية من الامــور التي كانت تقلق عبد الناصر وحتى بريجنيف ذاته اذ صرح مـرة للرئيسين عارف وبو مدين خلال زيارتهما لموسكو بتاريخ ١٧ حزيران العام ١٩٦٨: «ان التحذيرات التي كنت اتلقاها بين آونة واخرى عن نية الاسرائيليين في العبور الى الضفة الغربية ،وسهولة هذا الاجراء بالنسبة اليهم ، هذه التحذيرات كانت تؤرقني كثيرا .

جـ ــ على المستوى السياسي:اندفعت الاستراتيجية العربية السياسية من خلال جهود مكثفة لتعرية المطامع الاسرائيليةالتوسعية على المستوى الدولي وكسب الراي العام الدولي نحو جانب القضية العربية العادلة التي ناصرها المجتمع الدولي في قراره رقم ٢٤٢ . ومن خلال هذه الجهود العربية الدبلوماسية والاعلامية المكثفـــة اخذت القضية العربية تتوضح شيئا فشيئا في ذهن رجل الشارع في العالم الخارجي ويقابل ذلك ضيق ظلال الزيف الدعائـــي الصهيوني ، وقد سجلت الدبلوماسية العربية في هــذا المضمــار انتصاراتملموسة اذتمكنت منتحييد بعضالبلدان الغربيةالتيسبق واسهمت اسهاما كبيرا في دعم العدوان الاسرائيلي فيحرب حزيران على المستوى الاقتصادي والعسكري والاعلامي مثل المانيا الاتحادية بالاضافة الى الحصول على مناصرة فرنسا بشخصية ديغول الذي الغى صفقة الميراج الفرنسية التي سبق وابتاعتها اسرائيل من معامل داسو . الإلغاء الذي دفع اسرائيل الى التوجه كليا نحــو امريكا لاستيراد عتادها كمصدر رئيسي .ويمكن القول ان مكوكيات يارينغ ــ الوسيط الدولي ــ لتنفيذ قــرار مجلس الامن ٢٤٢ وخطط التسويف والتفسيرات المختلفة التي اتت من الجانب الاسرائيلي للقرار ٢٤٢ وغموض المطالب الاسرائيلية ازاء الحلول السلمية

المطروحة في ذلك القرار ـ أعتبـر ابا أيبان نصوص القرار ٢٤٢ لا انه من الواجب الاتفاق عليها بالمفاوضات المباشرة مع العرب ـ نقول هذه المواقف التسويفية والمضللة الاسرائيلية التي ظهرت على السطح من خلال مكوكيات يارينغ الوسيطة قد اعطت الانطباع للراي العام العالمي عن نوايا اسرائيل التوسعية وكان هذا رصيدا غير مباشر لصالح الدبلوماسية العربية في معركتها السياسية ضد اسرائيل .

د ـ على المستوى السيكولوجي : تركـت هزيمـة حزيران بصماتها المفتتة الممزقة للمعنويات في نفسية العربي ، الا ان الالية السيكوديناميكية لذلك التمزق وهذا الاحباط لم تأخذ صورة الخور والاستلام بل على العكس ، اثارت الهزيمـة رد فعل ايجابي تمت بموجبه تعبئة الجماهير العربية سيكولوجيا وخاصة لدى دول المواجهة ، وحشد الطاقات المادية ، ورفع شعار المعركة الـذي لا يعلوه اي شعار آخر من اجل استرداد الكرامة والارض ، وعلـى هذا كانت الامة العربية مشدودة بكل قدراتها المادية والمعنويـة والسياسية والعسكرية لصالح المعركة لدرجة بدا ان اي حـل سلمي لا يرد الكرامة العربية هو مرفوض شكلا ومضمونـا وان الاحباط لا يمكن ازالته الا بالدم والحديد والنار . ولقد عبر المرحوم الفريق عبد المنعم رياض عن حقيقة ما يعتلج في نفسية العربي في تطلعاته نحو الثار ورد الكرامة والاعتبار عندما قال : « لا توجـد اية جدوى في الكلام عن الحلول السلمية لان ليس لها صدى في نفوس المقاتل العربي .. لا بد للجيش من ان يقاتل ، واذا لم تتح له الفرصة للقتال ، فان رجالنا كلهم سيصبحون عبيدا لاحباطاتهم ويأسهم » فالمعركة بهذا المعنى كانت مطلبا سيكولوجيا ملحا . ومن نافلة القول انه من خلال التعبئة العربية الشاملة على جميع الاصعدة بهـدف التصدي للجبروت الاسرائيلي الذي وصل به غرور نصره الى الحد

الذي وصف جيشه بالقوة التي لا تقهر ، وبالذراع الحديدية الطويلة القادرة على سحق الجيوش العربية مجتمعة بايام معدودة، كان الصراع العربي ــ الاسرائيلي يسير خلسة نحو الحرب ، التي كانت محجوبة عن اعين الاسرائيليين الذين اعماهم واسكرتهم نشوة الظفر القاتلة .

على المستوى التكتيكي الميداني العسكري ، والسياسي ، والاعلامي لا يوجد مجال للمقارنة بين المفاجاة العسكرية الاسرائيلية في حرب حزيران ومفاجاة العرب لاسرائيل خاصة وللعالم اجمع في حرب تشرين . وهذه باعتراف المحللين العسكريين والسياسيين

فاذا كانت اسرائيل قد وجهت ضربة جوية خاطفة للطيران العسكري العربي في المطارات العربية مستغلة الموقف السياسي العربي الذي لم تتوفر فيه جدية التصميم على خوض القتال ــ الخلافات التي نشبت بين القيادة السياسية والعسكرية المصرية حول الحرب ــ وساعدتها ادارة ليندون جونسون وقتئذ على تضليل العرب عن نوايا اسرائيل العدوانية ، وبذلك حسمت المعركة لصالحها خلال ايام معدودة بعدما جردت العرب من غطائهم الجوي لحماية قواتهم البرية ، فان مفاجاة العرب لاسرائيل في حرب تشرين قد تمت امام انظار واعين مخافر الرصد الامامية الاسرائيلية على طول الضفة الشرقية وفي الجولان ، والاقمار الصناعية الامريكية التجسسية التي كانت ترسل صورها التلفزيونية عن تحركات القوات العربية وخاصة في القتال ومما لا شك فيه ان المفاجاة قد خطط لها استراتيجيا وتكتيكيا وسياسيا واعلاميا بين سوريا ومصر واسهمت في انجاحها الظروف السياسية التي كانت تمر بها اسرائيل وقتئذ بشكل خاص وغرور القادة الاسرائيليين بشكل عام .

آ ــ من الناحية الاستراتيجية العسكرية والتكنيكية الميدانية

ـ من الصعب جدا مباغتة عدو وتضليله وهو في وضع دفاعي على درجة كبـيرة من التحصيـن والتعزيز الدفاعـي تسليحا وجغرفة فالمانع المائي في القنال والخندق العميق على طول جبهة الجولان ـ لا يبعد عن العدو سوى عشرات الامتار ـ المسافة بين الضفـة الشرقية والغربية ومئات الامتار في الجبهةالشمالية ـ السورية ـ. لقد امكن تحقيق الخديعة والمفاجاة على المستوى الاستراتيجـي العسكري في الجبهة المصرية من خلال تحويل المناورة الخريفية الاعتياديـة تحـريـر ـ ٢٣ ـ الـى خطـة بـدر المتفق عليها بحيث لم يتمكن العدو الاسرائيلي من اكتشاف خطة بدر الا مساء يوم الخميس الواقع في ٤ تشرين الثاني عندما طلب وزيـر الدفاع الاسرائيلي موشي ديان ورئيس الاركان اليعازر من غولدا مائير اعلان التعبئة العامة بصورة متأخرة وبعد فوات الوقت لان المدة التي تتطلبها تلك التعبئة غير كافية لتجهيز الاحتياط ودفعه الـى المعركة . هذا وعلى الرغم من ان موشي ديان استاذن غولدا مائير لتوجيه ضربة هجومية وقائية معاكسة بواسطة الطيران على غرار ما قام به في حرب حزيران ـ لم توافق مائير على طلب ديان لاسباب سياسية اهمها عدم ظهورها بالدولة البادئة بالحرب كي لاتفقد الدعم الامريكي والعالمي لها ـ ، الا ان هذه الضربة لو تمت فستكون فاشلة النتائج بسبب كثافة الدفاع الجوي الصاروخي الموجـود في الضفة الغربية وفي الجبهة السورية .

ب ـ على المستوى السياسي والاعلامي كان مندوبو مصـر وسوريا في مؤتمرات عدم الانحياز وفي الامم المتحدة يتحدثون عـن السلام ـ وفق توجيهات مسبقة ـ وفي الوقت نفسه كـانت الصحف ووسائل الاعلام العربية المختلفة تركز على اهتمام مصر وسوريا في البحث عن حل سلمي عادل للنزاع وتظهر عدم الرضا حتى عن

العمليات الفلسطينية الفدائيــة وذلك لمزيــد من تضليــل العدو الاسرائيلي . والـــذي ساعــد على صرف انتباه العـــــدو عما يجري داخل الارض العربية على المستوى العسكري والسياسي ان الراي العام الاسرائيلي كافة من القاعدة الى القمة كان مشدودا نحو خطورة قرار الحكومة النمساوية القاضي باغلاق معسكـــر اللاجئين اليهود في «شونا» ، وانشغال الحكومة الاسرائيلية بهـــذا الاجراء النمساوي ثم ان تنحية الجنرال باريف مدير المخابرات الاسرائيلية ــ المعروف بدهائه وذكائه النادرين ــ من منصبـــه واستبداله بالجنرال زئير الاقل دراية ومعرفة وخبرة وتاكيـــده باستحالة قيام هجوم من جانب مصر وسوريا ، هذا الاجراء ايضا اسهم في ابقاء العدو في غفلة عما يبيته العرب . وا ناللذي يؤكدهذه الافتراضات هو ما جاء في تقرير لجنة «اغرانات» التي شكلـــت للتحقيق في اسباب التقصير الذي ادى الى المفاجاة وما ترتب عنها من نتائج حيث ابان هذا التقرير جهل اسرائيل الكامل بنوايا العرب في شن حرب ضد اسرائيل .وان الحشود التي كانت تتم علـــى مسمع وانظار اسرائيل كانت تفسر على اساس منـــــاورات مصر الخريفية التقليدية ــ تحرير ٢٣ ــ ، المناورات التي كانت المخابرات الاسرائيلية على اطلاع جيد عن سيرها .

والجدير بالذكر ان الحادثة الوحيدة المبكرة التي نبهت القيادة العليا الاسرائيلية عن خطورة ما يجري في الجبهة السورية هو تقرير قائد الجبهة الشمالية الجنرال اسحق هوفي الذ يعبر فيه عن عدم ارتياحه من التعزيزات السورية ، وعلى اثر هذا التقرير توجه فعلا موشي دايان وراقب عن كثب مايجري في الجبهة السورية واعطى اوامره بضرورة تعزيز المواقع الاسرائيلية ، هكذا يمكن تلخيص الاسباب الاساسية التي اسهمت في انجاح المفاجاة العربية فيحرب تشرين بالتالي :

ـ العجرفة الاسرائيلية والاستخفاف بالقدرة القتاليةالعربية.

ـ اغلاق معسكر اللاجئين اليهود من قبل السلطاتالنمساوية وانشغال اسرائيل حكومة وشعبا بقرار تلك السلطات .

ـ سوء تقديرات المخابرات الإسرائيلية بحقيقة نوايا العرب وحشوداتهم ـ اعتراف لجنة اغرانات ـ .

ـ عمليات الخداع والتضليل السياسية والاعلامية ، والدبلوماسية والاستراتيجية العسكرية التي نفذتها بذكاء كبير القيادة السورية والمصرية .

ـ تعامل الاسرائيليين مع الاسطورة ، اي عيشهم علىالماضي ومع الثوابت وليس المتغيرات .

ـ بناء خط بارليف كان انتصارا سياسيا وليس استراتيجيا. اذ فضلت القيادة الاسرائيلية بناء هذا الخط فوق الضفة وليس في مضايق ممرات سيناء متجاوزة بذلك قوانين الحرب كيما يظل الاحتلال الاسرائيلي ماثلا . فيمخيلة الشعب المصري وعبد الناصر دوما وابدا . الا ان هؤلاء نسيوا ان النصر الذي قدم اليهم على طبق من ذهب العام ١٩٦٧ لم يكن بفضل عبقريتهم بل جاء نتيجة اخفاق عربي .

ـ لقد اخذ الاسرائيليون على حين غرة رغم ان الدليل على الحرب كان ماثلا امام اعينهم . لقد كانوا لا يصدقون لغرورهم ، لانهم غير مستعدين لفهم واقع التغيير المصري وديناميكية القهر الذي يعيشه العربي .

كان العرب يخططون لمفاجاة مماثلة لمفاجاة العدو لكسر معنوياته واطفاء نور هالة نصره المزيف في حرب حزيران .

افي يافي الجندي الاسرائيلي المتمركز في مخفر متقدم على الضفة الشرقية تحت حماية نيران مايقارب من الف مدفع مصري .

التي انطلقت من الضفة الغربية عندما كان ينشر ثيابه المبللـــة على اشرطة الاسلاك الشائكة التي تحمي خط بارليف . ثم اعقب ذلك صوت طائرات الميغ وهي تزار بأصواتها المرعبة متجهة نحـو اهدافها ، تدك تحصينات بارليف بعنف منقطع النظير . وفي الوقت نفسه كانت قوارب الكوماندو المصري تتسلل عبر القناة نحو حوافي الضفة الشرقية تحت حماية نيران ما يقارب من الف مدفع مصري . كان ذلك بعد ظهر يوم ٦ تشرين ١٩٧٣

لقد صعق ابي الجندي الاسرائيلي بهول هذه المفاجاة لدرجة غاب عن حاضره ووعيه فشعر وكأنه انسلخ عن حسه بوجوده .. اخذ هذا الجندي يلملم نفسه .. يتحسس ميكرفونه ليتصـــل بقيادته .. الو .. الو .. القيادة .. الحرب اندلعت .. وفي الوقت نفسه ادار مفتاح مسجلته ليسجل اصوات المعركـــة الحيـة .

توالى سيل البرقيات من المخافر الامامية لخط بارليف على القيادة تطلعها اولا باول على الغزو المصري لخط بارليف .. المصريون بقواربهم اصبحوا على حوافي خطوطنا الامامية المطلة على القناة .. انهم الان على اليابسة .. جموع غفيرة من المشاة المصرية مع اسلحتهم المضادة للدرع اصبحوا على مقربة منا .. حاملات الجنود المدرعة تعبر القناة .. الكثيرون من هؤلاء يقفزون على حافة الضفـــة الشرقية .. ست طائرات هليكوبتر تحمل الكوماندو المصري تطير فوق رؤوسنا .. دبابة طراز ت٥٤ على مقربة منا تصوب نيرانها نحو مواقعنا ..

في الساعة الخامسة والنصف مساء توقف كل شيء تقريبا .. ادرك الاسرائيليون الباقون في موقعهم ان خطوطهم قد تم اجتيازها من قبل موجات الهجوم المصرية .. لقد اصبحوا محاصرين .. نعم لقد سقط خط بارليف ..

في الساعة ١٣٫٥٥ من ذلك اليوم ، اي في التوقيت نفسه الذي شن المصريون هجومهم اخترقت طائرات سورية طراز ميغ ١٧ الاجواء الاسرائيلية لتضرب المواقع الاسرائيلية في الجولان كانت المفاجاة تامة .. الدبابات الاسرائيلية خالية من سدنتها يجلسون على مسافة قريبة منها مسترخين . اعقب ذلك موجة ثانية من طائرات الميغ ــ من اصل ١٠٠ طائرة سورية ــ اخذت تضرب المواقع الاسرائيلية على طول الجبهة ..

وهكذا قبلت سوريا ومصر الولوج في اصعب واخطر قرار عندما لجأتا الى القوة لاستعادة حقوق العرب على مستوى الارض والقضية الفلسطينية بعد ان اقنعا العالم اجمع بجهودهما الدبلوماسية ومساعيهما السلمية ورفض اسرائيل للسلام واصرارها على التوسع متحدية قرارات الارادة الدولية وعلى هذا كانت حرب تشرين تجسد تلك القرارات بكل ابعادها .

لقد سارت حرب تشرين على النحو الذي عرفه العالم حيث تدخلت امريكا وبناء على الحاح شديد من اسرائيل لانقاذها من هزيمة محققة فكان الجسر الجوي الامريكي بعتاده وبرجاله الامريكيين المسلحين تحت تصرف القيادة الاسرائيلية . وبفضل التدخل الامريكي العسكري والدبلوماسي تم قبول ايقاف اطلاق النار من قبل الطرفين المتحاربين حيث اعترفت لاول مرة كل من امريكا واسرائيل بالقرار ٢٤٢ فدخلت هذه المرة امريكا بالمشاركة مع الاتحاد السوفييتي كوسيطة دولية لتطبيق نصوص القرار المذكور .. ومن خلال قبول اسرائيل للقرار ٢٤٢ وتأكيد سوريا على ان نصوص القرار تعني الانسحاب من كل الاراضي المحتلة وليس من جزء منها ودخول الولايات المتحدة في الصراع كوسيطة دولية دخل الصراع العربي الاسرائيلي في طور جديد حيث بدأت مسرحية مؤلمة لتفتيت

الصف العربي تحت ظل الوساطة الامريكية الدولية وكأن السادات اول من دك اسفين هذا التضامن ومزق الصف العربي ، واطفأ شعلة انتصارات تشرين العظيمة ، واعاد المبادرة من جديد الى العدو الصهيوني لفرض سلطان توسعه بهجمة عدوانية اقسى واخطر من اي وقت مضى .

جلست اسرائيل في اعقاب حرب حزيران على قمة جبل المجد . ووصلت احاسيس صلفها وجبروتها وثقتها بقدرتها على احتواء قوة الامة العربية مجتمعة الى درجة تصورت نفسها بالدولة العظمى في تلك المنطقة القادرة ليس فقط السيطرة على دول هذه المنطقة بل والتلاعب بميزان القوى العالمي فيها .

بعد ان احتلت اسرائيل الارض العربية ابتدعت نظرية الحدود الامنة لتغطية مطامعها التوسعية واخفقت جميع المحاولات السلمية الدولية الرامية الى تسوية الصراع العربي الاسرائيلي على اساس عادل وكان من الطبيعي ان تقود المواقف الاسرائيلية العدوانية هذه الى حرب تشرين واستمرار الصراع العربي ـ الاسرائيلي في الدوران بالحلقة المغلقة .

ولقد سعت الاستراتيجية الاسرائيلية الى تجميد الصراع العربي الاسرائيلي وجعله في حالة اللاحرب واللاسلم مستهدفة الفوائد التالية :

ا ـ استمرار الدعم الامريكي يقابله الاستنزاف للقوة العربية التي تصارع لاسترداد الارض .

ب ـ خلق التناقضات بين الدول العربية من طرف وحلفائهم السوفييت من طرف آخر ، وبين الدول العربية ذاتها الامر الذي يضعف التضامن العربي ، ويخلق اهدافا متباينة في معالجة الصراع العربي الاسرائيلي .

ج ـ تستير الاحتلال بقناع امني بحيث لا يمكن الاتفاق على حدود هذا الامن جغرافياالامن خلال المفاوضات المباشرة مع العرب، وهو الطلب المرفوض من هؤلاء شكلا ومضمونا . اي بتعبير اخر ابتلاع الارض العربية من خلال فرض شروط مرفوضة .

د ـ اقامة المستوطنات الدفاعية مدعومة بقوة دفاعيةرادعة.

هـ ـ اعتماد استراتيجية الردع الاجهاضي في حال قيامالعرب باي هجوم مباغت مع نقل المعركة الى اراضيهم وتدمير قواتهم المسلحة . هكذا اخذت اسرائيل بالنظرية اللاوزفيتزية التي تقول :

« ان تدمير القوات المسلحة لامة ما يجردها من درعهاالواقي، ويخضعها الى ارادة الخصم ، كما وان احتلال الارض واتخاذها رهينة تسمح للعدو المحتل ان يستخدمها وسيلة وورقة رابحة في يده لمساومة خصمه على تقديم تنازلات تتناسب مع حجم هذه الرهينة » .

بالطبع ان نظرية كلاوزفيتز هذه كانت مبنية على اوضاع استراتيجية وعسكرية ظرفية ـ في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ـ لم يكن للصراعات المحلية الاقليمية طابع دولي في ذلك الوقت مثل اليوم ـ خطورة الصراع العربي ـ الاسرائيلي وانعكاساته على السلم العالمي اليوم ـ ويبدو ان اسرائيل بتطبيقها لهذه النظرية القديمة غاب عن انظارها انها فقدت جزءا كبيرا من صحتها للاسباب التالية :

آ ـ ارتباط الصراعات المحلية بالصراع العالمي بين القوتين العظميين وخاصة في منطقة حساسة مثل الشرق الاوسط .

ب ـ مساندة المعسكر الشرقي للقوى المناضلة ضد الامبريالية على المستوى السياسي والعسكري.

ج ـ الخطأ في تقدير التبدلات التي رافقت هزيمة حــزيران وانعكاساتها على العرب يقابل ذلك استمرار قادة اسرائيل في العيش على مجد انتصاراتهم وزهوهم واستخفافهم بالقدرة العربية .

وعندما نشبت حرب تشرين سقطت معها جميع الدعائم التي قامت عليها المقولة الاستراتيجية الاسرائيلية التي ذكرناها .

١ ـ اثار حرب تشرين على الصعيد الدولي والمحلي .

أ ـ على المستوى السياسي والاستراتيجي العسكــري ـ سقوط نظرية الحدود الامنة ـ :

قامت نظرية الحدود الامنة على المستوى الاستراتيجــي العسكري بالاعتماد على حدود منيعة يسهل الدفاع عنها بالاضافة الى وجود قوة رادعة تستطيع صد العرب في حال التفكير بالهجوم وبالتالي نقل المعركة الى اراضيهم بعد تدمير قواتهم المسلحة . وعلى هذا تم بناء خط بارليف في الجبهة المصرية وخط آلون في الجبهــة السوريــة .

لقد اسقطت حــرب تشرين هــذه القناعة الاستراتيجيــة الاسرائيلية .اذ لم تمنع هذه الحدود المنيعة ولا قوة الردع الجاهزة من أن يشن العرب هجومهم واجتياز تلك الحدود المنيعة. كما تم شل الطيران الاسرائيلي وجردت حرب تشرين اسرائيل من قوتها الضاربة التي اعتمدت عليها اعتمادا كبيرا في حسم المعارك لصالحها من خلال حرب خاطفة الا وهي القوة الجوية . ونتيجة لتحييد سلاح الجو الاسرائيلي ومن خلال التكتيك الجديد الذي انتهجته سوريا ومصر باستخدام العتاد الحديث المضاد للدرع والدفاع الجوي الكثيــف الصاروخي امكن ايضا شل سلا ح المدرعات الاسرائيلي وهكـــذا

اسقط العرب استراتيجية الحرب الخاطفة التي كانت جوهر التفوق الاسرائيلي خلال الحروب الماضية .

واكثر من ذلك ان اتساع رقعة الاراضي التي سيطرت عليها اسرائيل بعد حرب حزيران والتي ابتغت من ورائها زيادة هامش امنها بجعل المعركة داخل ارض الخصم ، نقول هذا الاتساع جاء وبالا عليها من الناحية الاستراتيجية والتكتيكية، اذ كانت اسرائيل تطبق تطبيقا ناجحا قبل الاتساع ، استراتيجية القتال القائم على مقاتلة الخصم على خطوط داخلية ـ اي تجميد احدى الجبهات العربية واشغالها بقوات ثانوية في حين توجه جهدها القتالي الرئيسي لحسم المعركة بسرعة في الجبهة الاخرى ومن ثم نقل الجهد الرئيسي الى الجبهة الاولى وحسمها بدورها ـ فهذه الاستراتيجية التي تسمح بالمناورة الكبيرة نظرا لصغر رقعة اسرائيل وتطبيق مبادىء الحرب الخاطفة بنجاح تام نسبيا قد ضعفت قيمتها بفعل اتساع رقعة الارض التي تسيطر عليها اسرائيل . اضيف الى ذلك ان عامل المفاجأة العربية قد شل اسرائيل في اللجوء الى تطبيق مبادىء الحرب الخاطفة وبالتالي توجيه ضربة معاكسة اجهاضية بغرض التفريغ المسبق للقوى العربية الجاهزة للهجوم . وهكذا، فان حرب تشرين اسقطت نظرية الحدود الامنة ومنعت اسرائيل من تطبيق الحرب الخاطفة ، وبالتالي اجبرتها على الاستعانة بحماية الولايات المتحدة الامريكية عسكريا وسياسيا لانقاذها من الهزيمة التي لحقت بها .

آ ـ ٢ ـ على المستوى المعنوي والسيكولوجي :

لا يوجد اصدق من وصف المعاناة عندما تاتي على لسان صاحبها ، وعلى هذا فاننا سنعكس اثار حرب تشرين على معنويات العدو الاسرائيلي من خلال تصريحاته واقواله . نبدأ اولا بما كتبته

غولدا مائير عن حياتها في كتابها الذي صدر في العام الماضـــي بالانكليزية تحت عنوان حياتي مما كتبته تحت عنوان « حرب يوم الغفران » جاء مايلي :

ـ ان اهم شيء يمكن ان اسجله فيمذكراتي هذه ، بل اقسى معاناة عشتها في حياتي السياسية هي مفاجاة وصدمة نتائج حرب يوم الغفران ـ . فهذه الصدمة الكبيرة هزت المجتمع الاسرائيلي من القمة الى القاعدة .. لقد عشت وقعها النفسي المؤرق الممض بكوابيسها المزعجة .. وجدت نفسي على اعلى درجة من المسؤولية وقتها وذلك حينما واجهت الدولة اكبر تهديد لوجودهامنذاقامتها. هذا وعلى الرغم من ان ما كتبه هو قصة شخصية الا ان هنـــاك الكثير الذي لا استطيع ان ابوح به في هذا الخصوص .

نعم لقد اندلعت حرب يوم الغفران التي لم تكن في حساباتنا او توقعاتنا .. وعندما افكر فيذلك اليوم اعود بذاكرتي الى شهر ايار من ذلك العام عندما تلقيت معلوماتعنالتعزيزات السورية والمصرية على طول الحدود .. لقد قدرت مخابراتنا اكثر من مرة ان الحرب بعيدة الاحتمال .. ومع ذلك قررت ان اتعامل مع الوضع الراهن بجدية ... وحتى قبل نشوب الحرب بـ ١٥ يوما ظلت مخابراتنا تؤكد عدم قدرة سوريا ومصر شن حرب شاملة ..

تلقيت في يوم الجمعة ٥ تشرين الاول تقريرا مزعجا مفاده ان العائلا تالروسية في دمشق تغادر البلد على جناح السرعة ... لقد ذكرني هذا الموقف بالايام القليلة التي سبقت حرب الايام الستة .. كنت اطرح على نفسي السؤال التالي وبالحاح تواقة الى جواب شاف يضع حدا لتساؤلي الذي وصل حد الوساوس المسيطرة ـ لماذا هذه العائلات تسافر بسرعة ..؟. ـ يبدو انها تعلم ما نحن جاهليـــن بـــه ..

من جميع التقارير الكثيرة التي كانت تنصب على طاولتي لم ار فيها الا بعض المعلومات المفيدة القليلة التي تعطيني الجواب على تساؤلي. اتصلت برئيس الاركان ورئيس المخابرات متسائلة عن اهمية وجدية تلك المعلومات المفيدة القليلة ... الا ان موقفهما كان لا يؤكد هذه المعلومات كنت مترددة بدعوة الاحتياط ... الا انني الان وبعدما حدث تعلمت الا اكون مترددة ... لقد ادركت ، مثلما ادرك غيري، ماذا تعني التحركات العسكرية التي تتم على نطاق واسع والمصاريف الكبيرة لهذه التحركات ... لقد دعونا الاحتياط في شهر ايار (في اعقاب الاشتباك الجوي الكبير في السماء السورية) ولكن لم يحدث شيء وقد علمنا بعد ذلك ان العدو علم بهذه الدعوة لذلك لم يشن الحرب ... كان علي ان انصاع الى انذارات قلبي وعقلي ..

عندمااندلعت الحرب وعبرت القوات المصرية القناة واخترق السوريون دفاعاتنا في العمق حيث كانت الاصابات كبيرة في صفوفنا كنت في وضع نفسي قاتل حيال ما ابوح به الى الشعب الاسرائيلي من حقائق . كنت مترددة في مصارحة هذا الشعب بالحقيقة المؤلمة المرة قررت ان اتريث قليلا حفاظا على معنويات الشعب الاسرائيلي. الا انه لا بد لي من ان اقول شيئا امام ما تنقله وكالات الانباء والاذاعات عن سير المعارك .

واخيرا قررت ان اطلعهم على جزء من الحقيقة مع التاكيد على نصرنا في النهاية ... وهذا ما فعلته بخطابي الذي وجهته في ذلك الوقت ..

في يوم الاحد ٧ تشرين الاول دخل مكتبي وزير الدفاع موشي دايان حيث عرض علي تقديم استقالته اذا كنت راغبة بذلك .. لقد رفضتها لثقل وقعها على معنويات الشعب الاسرائيلي ... حينئذ بدانا نتباحث باهمية استعجال العون الامريكي ذلك لاننا فقدنا جميع

هوامشنا ... اعطيت التعليمات الفورية لسفيرنا بواشنطـــن بالاتصال الفوري بالدكتور هنري كيسنجرفيساعة متأخرة من الليل لامدادنا بالعون العسكري الفوري .. تردد سفيرنا بتنفيذ الامــر بسبب صعوبة ايقاظ كيسنجر من نومه وكانت الساعة الثالثـــة صباحا الا انني الححت عليه بايقاظه لان كل ساعة تمر بعد الان لها اهميتها في تقرير مصيرنا ...

لقد تعرض دايان الى ادانات مؤلمة قاسية من قبل الثكالى والاطفال والايتام الذين فقدوا اباءهم في الحرب كانوا يقولون لهعلنا انت قاتل ... انت مجرم .. كان دايان يتمزق غيظا والما على مــا آلت اليه سمعته ومكانته فيانظار الشعب الاسرائيلي .. كان دايان في الايام الاولى من الحرب على درجة كبيرة من التدهور المعنــوي والتشاؤم اذ كان في نيته تهيئة الشعب الاسرائيلي لمواجهة اسوأ مصير ... هذا غيض من فيض مما كتبته غولدا مائير عن اثار صدمة حرب تشرين على معنويات الشعبوالقادةالاسرائيليين..

هناك مزيد من الشواهد في هذا الصدد نعرض بعضها والتي جاءت على لسان العدو نفسه « كتبت صحيفة هاآرتس بعد استقالة حكومة غولدا مائير في ١١ ــ ٤ ــ١٩٧٤ وهي تصور الوضعالسياسي القيادي في اسرائيل ، » الان وبعد ان انكسرت الشجرة الكبيرة، فان الشجيرات الاخرى والتي نبتت مع تلك الشجرة الكبيرة وفي ظلها ستتفتت معها (موشي دايان) .

ومن الملائم ان يذهبمع هذهالانقاض (دايانــاليعازارــاسرائيلغاليلي وايجالآلون) فهؤلاءالاربعةهم الذين يتحملون مسؤوليةمشتركةليسعن تقصيرهم المعروف فحسب ولكن ايضا عن الخط السياسي الذي آمن بأنه لا توجد اية قوة عربية قادرة على تقويض مكاسب حرب الايام الستــة .

ومما قاله اسحق رابين للرئيس الامريكي نيكسون اذا لم تعمد امريكا لسد الثغرات في قواتنا فان اسرائيل ستواجه خطر المـوت

ومما علق عليه موشي دايان في يوم ١٤-٢-١٩٧٤ : انني اخاف ان اسال ايهما اكبر الهجرة الى اسرائيل ام الهجرة منها .

اما على المستوى الاقتصادي فقد ذكرت مجلة عالمنا الاسرائيلية ان تكاليف حر بتشرين بلغت ٢٠ مليار ليرة اسرائيلية خلال ١٩ يومـا فقط .

الا انه مهما كانت الخسائر المادية التي لحقت باسرائيل فان نتائجها المعنوية كانت اكثر خطورة نظرا للطبيعة الانفعالية المتبدلة لد ىالاسرائيليين وارتباط الهالة العسكرية المتفوقة بمعنوياتهم وبانهيار الهالة العسكرية هذه انهارت المعنويات ،واختل التوازن النفسي من القاعدة الى القمة عند افراد جهد قادتهم في الحفاظ على هذا التوازن من خلال الحقن المستمر باكسير التفوق والجبروت . وعلى هذا كانت صدمة حرب تشرين عميقة للغاية لان السوبرمان الذي لايغلب وقع على الارض،وان غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني السابق قد لخص الارضية المعنوية الاسرائيليـة المهتزة بالكلمات التالية : ان التشاؤم والقلق وخيبة الامل التي هيمنت على نفوس الاسرائيليين نجمت عن تحطم المفاهيم والاوهام والغطرسة والتي نمت وتدعمت من خلال الانتصارات السابقة المذهلة . .

ان ابلغ وصف لهذا الاثر هو الذي عبر عنه الرئيس حافظ الاسد في معرض خطابه عن منجزات حرب تشرين على الصعيد المعنوي وذلك عندما قال : اننا وان كنا لم نحرر كامل الارض في حرب تشرين ولكن هذه الحرب مكنتنا من الانتصار على نفوسنا واسترداد الثقة بقدرتنا وايماننا بها .

لقد سبق وقلت ان المعركة كانت مطلبا سيكولوجيا للتخلص من مشاعر الذل والاحباط عند العرب ، تلك المشاعر التي خلقتها غطرسة الانتصار الاسرائيلي ، والحملة الدعائية الواسعة التي شنتها اجهزة الاعلام الصهيونية في العالم لابراز اسطورة التفوق الاسرائيلي وضخامة هذا الانجاز امام ١٠٠ مليون عربي في حرب حزيران .

لقد خلقت اسرائيل بهذه الغطرسة والتعالي والتحقير ردة فعل عنيفة في نفوس العرب لم تكن تهدأ ثورتها الا بالثأر العسكري وبالفعل تمكن العرب من تجاوز مشاعر الذل والاحباط بحرب تشرين . فقرار الحرب بالهجوم هو بحد ذاته انتصار على تلك المشاعر السلبية ، والتحرر من مركب النقص امام العدو الاسرائيلي بالتالي تم التخلص من ذل حرب حزيران كما واكتشف العرب قوتهم ووزنهم الكبير لاول مرة من خلال وحدة الصف والهدف في هذه الحرب .

جـ ــ ١ ــ الاثار الاقتصادية على العالم العربي :

لا تقاس ابعاد مكاسب حر ب تشرين بمالم تحقيقه في ساحة القتال ، اما اثار هذه الحرب على التوازن العالمي اقتصاديا وعسكريا فهذا امر تجاوز كل تطور وادراك بحيث نستطيع القول ان الصدمات القاتلة لحرب تشرين كانت تتفجر في اوروبا الغربية ، وويلاتها تنصب على دول حلف الاطلسي لتخلق تحالفات اقتصادية بفعل استخدام العرب لسلاح البترول ،وتفضح موازين سياسية وعسكرية متقلقلة نبهت الغرب والشرق معا الى حقائق ما كانت في منظور الاهتمامات والحسابات من قبل .

ان صدمة ازمة الطاقة التي خلقتها حرب تشرين قد دلت بوضوح لا يمكن حجبه واعطت درسا استوعبه تماما السياسيون

الغربيون هو ان نظام الاعتماد المتبادل بين الدول الغربية قابل للتعرض الى مخاطر كبيرة كما وانه قد يتراجع ويتقهقر بفعل اجراءات ارتكاسية تمليها اعتبارات اقتصادية ملحة .

ومما لا شك فيه ان الامن الاقتصادي هو النتيجة الحتمية لنظام الاعتماد المتبادل بحيث لا يمكن الحفاظ عليه الا من خلال الاتفاقيات ، وارساء المعايير المقبولة لمساره ،وتنفيذ خطط ترمي الى تبادل الامداد بالمواد الحيوية وتامين الحماية من العجز في ميزان المدفوعات هذا وكلما زاد الاعتماد المتبادل كلما اضحت الدول التي تاخذ بهذا النظام اكثر عرضة للمخاطر اذا لم تعد النظر بسياستها الامنية الاقتصادية ازاء اي عجز في تامين الموارد الاساسية الصناعية المستوردة . . ومن خلال التطورات التي اعقبت حرب تشرين اصبح واضحا ان التصور المثقل بالافتراضات الواقعية والتي اخذت تنسخ اطار السياسة الامنية الجديدة قد دخلت بعدا جديدا في ابعادها وهو البعد الاقتصادي ،ذلك لان الضغط الخارجي لا يهدد فقط ازدهار المجتمع الاوروبي بل ايضا استقراره الداخلي بل وقدرة الدولة على التحرك والعمل . فالنجاح والاخفاق في خلق الامن الاقتصادي الاوروبي يرتكز على نشاطات داخل مجموعة الدول الاوربية وخارجها، اي بتعبير اخر يتقرر من قبل دول ليست من اعضاء هذه المجموعة والتي لها ضلع في الامن الاقتصادي الاوروبي اي الدول المنتجة للنفط . فالحلف الاوروبي الصناعي بهذا المعنى سيواجه موقفا جديدا في اية لحظة تتعرض الة الصناعة الى شح بترولي جديد . وان انهيار امنه الاقتصادي بفعل هذا الشبح من شانه تهديد جذور كيانه واسسه في وقت اصبح لا يملك لوحده القدرة على خلق امنه بل بحاجة الى عون خارجي مصدر امنه الفعلي ،ونعني البلدان المصدرة للنفط، لهذا فان مسالة الامن الاقتصادي، على الرغم من انها مشكلة

مرتبطة بالمجموعة الاوروبية ذاتها ، الا ان معالجتها تتعدى اعضاء هذه المجموعة لتشمل اطارا اوسع ، تسهم فيها دول غريبة عن الحلف الا انها تظل مصدر حياته وامنه .

تلك ما ابرزته حرب تشرين من انعكاسات وآثار على الاقتصاد الاوروبي الغربي العالمي .

من هذا نفهم تماما لماذا هددت الادارات الامريكية السابقة والحاضرة بالتدخل المساح لوضع يدها على آبار النفط العربية اذا ما لجأ العرب الى استخدام سلاح النفط . ومن هذا نفهم ايضا الاسباب الحقيقية للتآمر الصهيوني الامريكي على العرب لتفتيت صفوفهم واضعاف قواهم تحت ستار الوساطة لاحلال السلام في الشرق الاوسط .

جـ ٢ ـ الاثار السياسية على القوتين الاعظمين وتوازن القوى العالمية .

حرب تشرين هي ملحمة عسكرية ودبلوماسية معا هذا ما قاله اكبر منبر في الدراسات الاستراتيجية في العالم . انها اي حرب تشرين ،لم تدخل العرب في التاريخ المعاصر كقوة تؤثر وتضغط ، وتبدل في المعادلات الدولية الدقيقة فحسب ،وانما سببت صدمة عنيفة للعلاقات الثنائية القائمة بين الدولتين الاعظمين وكادت ان تولد مواجهة ساخنة بينهما.

اذ اثبتت حرب تشرين ان دولا صغيرة اذا ما اعتمدت على مواردها وتحركت بوحي مصالحها القومية المباشرة قادرة على ادخال الخلل في صميم التوازنات المتفق عليها والتي لا يجوز ، هكذا يزعم ، الاقتراب منها . ثم ان هذه الحرب ، مما اثارته من نتائج خطيرة على الساحة الدولية ، لا ساحة الدولتين الاعظمين

فقط قد دفعت بالكثير من الدول والمنظمات التي كانت تتجنب اتخاذ مواقف محددة واضحة من الصراع العربي الاسرائيلي الى تبديل موقفها الحيادي ظاهريا ،والاعلان عن تعاطفها بشكل او بآخر مع القضية العربية . وعلى هذا اعلنت مجموعة الدول الاوروبية في اعقاب حرب تشرين عن مناصرتها للقرار ٢٤٢ ودعوة اسرائيل بالانسحاب من الاراضي المحتلة . ومن خلال أزمة النفط وتأثير الصناعة الغربية بارتفاع اسعاره ، انعكس هذا التخلخل الاقتصادي على المواقف السياسية بحيث خلق الوزن العربي المتمثل في سلاح النفط انشقاقا كبيرا بين دول حلف الاطلسي من جهة والولايات المتحدة الامريكية من جهة اخرى . اذ اظهرت مجموعة الدول الاوروبية ميلا كبيرا للتفاهم مع اوبيك حيث اخذت المجموعة العربية المنتجة للنفط تربط علاقاتها الاقتصادية بتلك المجموعة معمواقفها السياسية ازاء الصراع العربي الاسرائيلي وهذا بالطبع ما كان ضد ارادة واتجاهات الولايات المتحدة الامريكية علما ان الاخيرة كانت اقل من تلك المجموعة في تضررها بسلاح النفط نظرا لان امريكا تستورد فقط ٢٠٪ من استهلاكاتها النفطية في حين ان ٨٠٪ وسطيا من الاستهلاك النفطي الاوروبي الغربي يعتمد على الاستيراد الخارجي .

وبصدد الصدمة التي خلقتها حرب تشرين على العلاقات بين الدولتين الاعظمين في الشرق الاوسط مما احتوت من دروس استفادت منها هاتان الدولتان يمكن تلخيصها بالتالي :

آ ــ ادركت هاتان الدولتان العظميان انهما قد تعاملتا معدول صغيرة كانت هذه الدول قادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها في الحرب والسلم واستطاعت ان تدفع بالموقف ،وتصعده لدرجة اثرت على مواقف الدولتين الاعظمين المنخرطين في دعم هذه الدول بالسلاح

وان نجاح العرب باخفاء نواياهم حتى عن اصدقائهم الروس هـذا النجاح دفع الدولتين العظميين لاقامة نوع من التعاون المتطور للسيطرة على اية ازمة قد تنشب في المستقبل وهذا هو الدرس الاول

ب ـ اما الدرس الثاني فيخص تفسير القوتين الاعظميين لقرارات مؤتمرات القمة الخاصة بهما وهذا يعني ان قرارات القمة لهاتين الدولتين لعامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ قد احتوت على فهم متبادل بضرورة ان تعلم كل واحدة الاخرى فيما اذا وصل اليها معلومات قبل الاخرى ، عن اية ازمة خطيرة قد تقود الى الحرب . وطبقا لهذه المقولة فالاتحاد السوفييتي الذي كان له بعض النفوذ عند العرب كان يتحسس بشكل ما بان هناك نية عند العرب بشن حرب ، وكان عليه ، حسب المفهوم الامريكي ، ان يعلم الولايات المتحدة بذلك ، وهذا لم يتم من قبله . ولقد فسر الامريكان هذا السلوك ان موسكو لاتستطيع ان تتوقع حصد ثمار التعاون للسيطرة على الازمة مع الولايات المتحدة الامريكية في وقت تتحاشى فيه التعاون معها

هذا وعلى الرغم من المواجهة الساخنة القصيرة المدة التي حدثت بين القوتين الاعظمين في حرب تشرين ، الا ان ما ترتب على هذه المواجهة العابرة القصيرة المدة من نتائج قد اثرت الى حد بعيد على نمو العلاقات بين هاتين الدولتين في المستقبل .

د ـ انعكاسات حرب تشرين على المستوى العسكري الاستراتيجي العالمي :

لقد بدلت حرب تشرين عقائد مثالية كانت لزمن بعيد الاسس التي يستند عليها حلف وارسو وحلف الاطلسي في التقنية العسكرية الحديثة القتالية فهناك حقيقتان اساسيتان انبثقتا عن الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل اولاهما

ظهور الفعالية الكبيرة غير المتوقعة للصواريخ المضادة للدرع والطائرات وثانيهما الهجوم الناجح الذي اعتمد على مباغتة عامة ، فهذان العاملان كانا السبب الرئيسي في التدمير الهائل الذي لحق بالاعتدة في غضون مدة قصيرة كما وان هذين العاملين بدلا من توازن القوى في الشرق الاوسط واوروبا على السواء .

صحيح ان حرب فييتنام برهنت على وزن الصواريخ المضادة للطائرات ولكن كان ذلك على المستوى المعنوي وليس بشكل ظاهر ، وفي حرب تشرين حيث كانت كثافة الطائرات ،والمدرعات كبيرة للغاية في ساحة العمليات برز الدور الهائل للسلاح المتطور المضاد للدرع والطائرات ،اذ خلال فترة ١٥ يوما تقريبا فقدت اسرائيل نصف قواتها المدرعة بفعل دور الصواريخ المضادة للدرع ، ودمر ربع قواتها الجوية ايضا بفعل صواريخ سام المختلفة .

ويلخص الجنرال فرجلان دروس حرب تشرين فيما يخص اهمية الصواريخ بالتالي :

« يمكن استخدام الصواريخ المضادة للدرع او الطائرات باعداد كثيفة وبتأثير حاسم وذلك في المعارك البرية سواء في الهجوم او الدفاع واذا ما قارنا فعالية الصواريخ مع المدرعات المصفحة نجد ان الصاروخ المحمول من قبل الافراد يسهل حمله والتدريب عليه، ونتائجه موثوقة . فهذه الخصائص قدمت فعالية كبيرة ضد خصم متفوق في الطائرات والمدرعات ، واكثر من ذلك فان هذه الفوائد يمكن الحصول عليها بتكاليف مادية قليلة نسبيا . اذ ان قيمة ١٦ قاذفا صاروخيا و ٨٠ صاروخا تساوي قيمة دبابة واحدة تقريبا . ومن الدروس المستفادة ايضا انه في الحرب ذات المسارح الممتدة وذات الطبيعة التخريبية يمكن الاستعانة بنجاح بالصواريخ الارضية

المحمولة من قبل الافراد لتدمير مراكز القيادات والاتصـــالات والمنشآت التموينية وحتى الاهداف الصناعية ،اذ يكفي اناطة هذه المهمات الى طاقم قليل العدد مجهز بهذه الصواريخ ليتسلل عبــر المؤخرات كيما ينفذ مهامه باقل خسارة ممكنة. كذلك عندما يكون القتال في العمق ، والتشكيلات منتشرة على نطاق واسع ، وتتمتـــع بمرونة حركية كبيرة ، فان الوحدات الصاروخية المضادة للدرع تجد اهدافا دسمة فتضرب اهدافها بدقة في وقت تحتاج هــذه الاهداف (لتحصل على النتائج نفسها الى نيران مدفعية مركزة والى عدد كبير من المهمات الجوية ، واكثر من ذلك فان الصواريخ الخفيفة المضادة للطائرات يمكن ان تعطي النتائج نفسها وهذا لم يكن من الممكن التنبؤ به قبل حرب تشرين وحتى اليوم لايوجد ما يؤكد النجاح ضد هجوم مفاجىء تم من قبل عدو اعد نفسه اعدادا جيدا للهجوم . ذلك لان مثل هذا الاعداد المتضمن ايضا عنصر المفاجاة والمناورة السيكولوجية والدبلوماسية وصعوبة معرفة نوايا العدو المهاجم ، كل هذا يخلق حاجزا لا يمكن خرقه بحيث ان مفاجاة من هذا النوع الذي استولت فيه على اسرائيل والمخابرات الامريكية، نقول هذ المفاجاة اصبحت توضع دوما في جدول الحسابات والتقديرات لدى دول حلف وارسو وحلف الناتو . ومن الدروس المستفــادة ايضا انه في الحرب بين القوات النظامية ، تلعب القذائف الموجهة دور عنصر الدعم الكبير في الحالات الدفاعية اكثر من الهجوم ،الا انه في الحروب غير النظامية (حرب العصابات) تستطيع مثل هذه القذائف اعطاء حجم قتالي مناسب للثوار الذين يهاجمون علــى محاور مختلفة وبصورة مباغتة .

والثابت أن حرب تشرين قد اخلت بميزان القوى وهــذا الاخلال ليس في التوازن العددي للجيوش وفي اعتدتها ولكن في

القيمة النسبية وفي الاختيارات ، وفي الاعمال المفتوحة امام الفريقين المتخاصمين ،اذ بعد النجاح الذي حظيت بهالصواريخ الخفيفة في حرب تشرين هناك امكانية لاستخدام الصواريخ المتوسطة المدى ارض ـ ارض مثل جون جونست ، سرجان ، والبرسيتنغ الاميركية، ، وبالمقابل صواريخ فروج وسكاد الروسية فهذه الصواريخ قد تستخدم لتدمير المنشآت السكانية والصناعية وهي قادرة على حمل رؤوس نووية او حربية كلاسيكية .

وثمة ناحية هامة اخرى هي ان حرب تشرين ابرزت قدرة العرب العسكرية على استخدام الاسلحة المعقدة .

حرب تشرين
مقدمات ونتائج

ـ محاولات لا تحصى قد جرت ولا تزال لتقييم حرب تشرين من حيث جوانبها : العسكرية ، والسياسية ـ والاقتصادية ـ والحضارية ولا تزال الدراسات والابحاث تغوص للوصول الى المعاني الكامنة لاحداث تشرين تلك ،وان مضي اربع سنوات ونيف على تلك الحرب ليست كافية لا يدارس لكي يدعي انه وقف على كل النتائج ، وستمضي سنوات اخرى قبل ان تتضح الملامح الكاملة ،ولسنا ندعي اننا في هذه الدراسة قد وقفنا على كل الجوانب والدلائل ، كما اننا التزمنا جانب الحذر في استخلاص نتائج هذه الحرب على الرغم من اننا في هذا القطر كنا اصحاب القرار الاخير الذي فجر معارك تشرين ،وعلى الرغم من اطلاعنا على الكثير من ردود الفعل القطرية والعربية والدولية ولدى الطرف الاخر المعادي (اسرائيل)،اضافة الى كوننا طرفا رئيسيا واساسيا في المعارك التي شهدتها ارض الجولان وسيناء وبالرغم من التزامنا جانب الحذر فانه باستطاعتنا ان نقول بان السادس من تشرين كان بداية لنقطة تحول في تاريخ القرن العشرين ، نقطة انعطاف هامة ليست بالنسبة للامة العربية واسرائيل ، ولا بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط وحسب بل بالنسبة للعالم باسره : دولا وشعوبا .

فلقد انهارت نظريات كانت قائمة .وظهرت نظريات جديدة مستخلصة من معارك تشرين ، وستبقى ارضية تشرين تربة صالحة لنشوء وظهور العديد من النظريات العسكرية على المستويين : الاستراتيجي والتكتيكي ، والى تغييرات حضارية ،

وظهور اوضاع جديدة ومعادلات جديدة بعد ان اختلت اطراف كل المعادلات السابقة .

ـ لقد فرض على المنطقة العربية او بالاحرى الامة العربية واقع معين اتسم بصفات ظن واضعوه بانه خالد وابدي والغاية من هذا الواقع هو طمس الشخصية الحضارية للامة العربية ، واظهار العرب بالشعب المتخلف الميؤوس منه والذي بحاجة ماسة ومستمرة الى قوى اخرى تنفخ فيه نفخاتها الحضارية واصبحت هذه الفكرة شبه مسلمة لدى البعض . غير ان حرب تشرين جعلت العرب يكتشفون ذواتهم ويحددون بكثير من الدقة احداثياتهم بين شعوب العالم ، فكانت معارك تشرين المرآة الصادقة التي ابرزت القوة الذاتية الكامنة فيهم ، وبرهنت ان هذه القوة الذاتية هي القاعدة الاساسية لانطلاقتهم الحضارية ، والركيزة الصلبة لتحررهم واظهارهم بالصورة الحضارية الناصعة والفاعلة بين الامم الاخرى .

ـ ان حرب تشرين لم تكن مجرد نصر عسكري حققه جنود الامة العربية فوق ارض الجولان وسيناء ، ولا قدرة العرب على استخدام الاسلحة الجديدة المعقدة ، ولا اجتياز عتبة التخلف التكنولوجي . .ولا استخدام البترول كسلاح فعال في المعركة ، ولا مجرد دفع قضية الشعب العربي الفلسطيني لتاخذ المكان البارز من القضايا الدولية وحسب بقدر ما كانت تحديا حضاريا والتمسك بالاصول الحضارية العربية ، لقد كسرت حرب تشرين التحدي الحضاري الذي فرضه العدو على الامة العربية بدءا من مطلع هذا القرن وانتهاء بالغزو الاستيطاني الصهيوني حيث استطاعت ان تجهض كل محاولات طمس معالم الشخصية العربية وان تفتح الباب امام عصر حضاري للعرب .

ـ لقد واجه العقل العربي ـ قبل تشرين ـ الصراع مع اسرائيل باساليب غوغائية وعاطفية بعيدة كل البعد عن كل منطق علمي وموضوعي حتى انتهى المطاف الى اقناع المواطن العربي بان اسرائيل كيان هش متناقض يحمل بذور فنائه بنفسه ، ولم يكتف بذلك ، بل اتخذ لنفسه موضع التقوقع والجمود امام عدد حركي متطور ، لقد اكتفى العرب قبل تشرين ـ بالتغني بعددهم الذي جاوز المائة مليون ، ولجاوا الى كهوف الماضي يجترون منه الامجاد والبطولات دون الوقوف على المعطيات التي جعلت صفحات التاريخ تمتلىء بالامجاد العربية .

ـ وتجيء اللطمة الاولى في العام ١٩٤٨ وتليها الصفعة الثانية العام ١٩٥٦ ولم يستيقظ العرب من غفلتهم الا وسيف حزيران ١٩٦٧ يكاد يبتر رؤوسهم .. فبورك الخامس من حزيران الذي كان اول المعطيات الايجابية للسادس من تشرين العام ١٩٧٣ .

اما لماذا انتصرت اسرائيل في الحروب الثلاث التي سبقت حرب تشرين التحريرية ؟ فهذا سؤال تتطلب الاجابة عليه منتهى الصراحة والموضوعية بعيدا عن المؤثرات العاطفية والانفعالية :

ـ بعض المفكرين ارجع تلك الاسباب الى العقل العربي الذي واجه التحدي الصهيوني باسلوب غوغائي وعاطفي بعيد كل البعد عن المنطق العلمي والموضوعي مما ادى الى اخطاء مدمرة وقالوا بان كبرياء العرب وغرورهم واحتقارهم لعدوهم اضاع عليهم حقائق كثيرة اعمت ابصارهم .

ـ والبعض الاخر ارجع تلك الاسباب الى التخلف العلمي التكنولوجي عند العرب وعجزهم عن اجتياز عتبة هذا التخلف بينما تجاوز عدوهم هذه المرحلة .

ـ وبعض الدارسين يرى ان التفكير العلمي الذي اتبعه الاسرائيليون ، والوضوح في رؤيتهم الاستراتيجية مكنهم من التفوق المطلق والكلي .

ـ وراي رابع يقول : ان غياب الوحدة العربية ، وفقدان تعبئة الجماهير وتنظيمها بالشكل الصحيح ادى الى الكوارث المتتاليـة .

ـ وخامس الاراء يؤكد بانه لو كان للعرب تفكير استراتيجي موحد وواضح وقيادة عملياتية واحدة ، وتصميم على النصر لما وصلوا الى ما آلت اليه ايامهم الاخيرة قبل السادس من تشرين ١٩٧٣ .

والحقيقة هي أن مجموع تلك الاسباب مضافة اليها مجموعة اخرى من العوامل الاساسية : كدور الصهيونية والاستعمار والامبريالية وهدر طاقات الامة العربية : الاقتصادية والعسكرية والسياسية والبشرية واتفاقهم على الا يتفقوا كل تلك العوامل والاسباب مجتمعة هي التي جعلت العرب امة مستهدفة ومستضعفة . واذا كان (بن غوريون) قد نادى بالمبدأ المشهور القائل :

(انه بالدم والنار سقطت الصهيونية ، وبالدم والنار سوف تعود من جديد) فلا بد من القول بالمقابل :انه بالدم والنار فقد الاسرائيليون وما زالوا يفقدون اغلى اماني الحياة الانسانية وهي الشعور بالامن والثقة في المستقبل .

معطيات اساسية :

آ ـ معطيات عربية : ب ـ معطيات صهيونية ـ

آ ـ المعطيات العربية :

(معطيات تاريخية ـ معطيات حضارية) .

ما من امة عبر التاريخ الطويل مرت بظروف كالامةالعربية، وتكاد تكون الامة الوحيدة التي استطاعت ان تصمد امام انواع عديدة من الاعاصير والويلات المتتابعة والمتوالية . .ولو لم تكن امة لها جذورها التاريخية والحضارية الاصيلة لاصبحت في خبر كان. .ولكان التاريخ يمر على ذكرها مرورا عابرا . ولسنا هنا في معرض الحديث عن الحضارة العربية، وما قدمته للانسانية كان الاساس واللبنة الاولى فيما نشهده من علم وتقدم ورقي ولو قيض لهذه الامة الاستمرار في العطاء لغيرت مجرى التاريخ غير ان عوامل عديدة غيرت ذلك المنحنى الحضاري الرائع ولعل ابرز تلك العوامل

اولا : الصراعات الداخلية :

ولا مجال هنا للخوض في متاهات تلك الصراعات عبر قرون من الزمـن .

ثانيا : الصراعات القومية :

وتجلى ذلك بدخول العنصر الشعوبي فيبداية العصر العباسي الى الحظيرة العربية وتبلور التآمر القومي بدخول العنصر التركي ومن بعدهم تحولت الدولة العربية الى دويلات ولم تلبث الدويلات ان تحولت الى دويلات شعوبية لا تمت باصالتها لا من بعيد ولا من قريب الى الامة العربية كالدولة البويهية والدولة السلجوقية والمماليك وهلم جرا .. واستطاعت تلك الدويلات مضافا اليه الاعصار المغولي الذي قضى على الدولة العباسية استطاعت ان تستولي وتهيمن على مقدرات الامة العربية .

ثم ابتليت الامة العربية بالغزو الصليبي هذا الغزو الذي (زاد الطين بلة) فأغرق الوطن العربي بالكوارث والويلات والدمار

والتشتت .. ويجيء دور العثمانيين في مطلع القرن السادس عشر فيستقبلهم العرب كمنقذين ومخلصين لهم من الغزو الصليبي ويستمر حكم هؤلاء اربعة قرون كان حكما اقل مايقال فيه بانه كان لجاما لكبح كل تطور .

ـ ان الاطماع الاوروبية في الوطن العربي لم تنته بالقضاء على الغزو الصليبي فلم تكد الامة العربية تتحرر من الاستعمار العثماني ، وتتخلص من استبداده ووحشيته وامعانه في طمس الشخصية الحضارية للامة العربية حتى ابتليت من جديد بالاطماع الاستعمارية الامبريالية الغربية ولكن الامة العربية لم تستكن للاستعمار الجديد ولم ترضخ له ، فقاومته مقاومة فعالة وقدمت الالاف من الضحايا والشهداء في سبيل تحررها . وابرز ما يميز هذه المرحلة من نضال الامة العربية هو اليقظة القومية وتبلور الشعور القومي على الرغم من المحاولات الاستعمارية المستمرة لتشجيع وانماء روح الاقليات وزرع بذور التفرقة المذهبية والطائفية والعشائرية والاقليمية الضيقة . .ونتيجة للكفاح المستمر وثورات الشعب العربي المتلاحقة في كل اقطاره استطاعت معظم الاقطار العربية ان تنتزع حريتها واستقلالها من براثن المستعمرين وذلك بدءا من نهاية الحرب العالمية الثانية . غير ان الاستعمار لم يرحل عن الارض العربية الا وخلف وراءه ما يضمن سيطرته الدائمة ، على مقدرات الوطن العربي وتميز ذلك : بـ

١ ـ ابقى على الكيانات الاقليمية الانفصالية وتعهد بالمحافظة عليها ، وهكذا لا نزال نشهد العشرات من الدول العربية بدلا من الدولة العربية الواحدة .

٢ ـ ابقى على سدة المسؤولية والحكم اناسا ارتبطت

مصالحهم بمصالحه ولا تزال الامة العربية تعاني من هذا الواقع المؤلـم .

٣ ـ زرع الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي للحيلولة دون وحدته مستقبلا .

٤ ـ الحق اجزاء عربية بدول مجاورة بعد ان اقتطعها عـن الجسم الام مثل لواء اسكندرون وعربستان وارتيريا .

٥ ـ سيطر بمجموعة من الشركات الاستعمارية على مصادر الطاقة والثروة في الوطن العربي .

٦ ـ احتفظ لنفسه بمجموعة من القواعد العسكرية في الوطن العربي بغية حماية مصالحه الاحتكارية والاستغلالية وبالتالـي المحافظة على الكيانات الاقليمية الضيقة في الوطن العربي وحمايتها عند اللزوم .

وهكذا لم تحقق الاقطار العربية التحرر الكامل ـ فما أن تحررت سياسيا حتى وجدت نفسها تحت وطأة الاستعمـــار الاقتصادي وهذا التحرر السياسي لم يزل منقوصا ومبتورا . وقد تجلى الاستعمار الاقتصادي بالسيطرة الامبريالية على :

آ ـ معظم التجارة الخارجية للاقطار العربية .

ب ـ على الثروات البترولية

جـ ـ على معظم الصناعات الاستخراجية .

د ـ على معظم النظام النقدي والمصرفي والانمائي .

معطيــات صهيونية :

(تاريخيـــة ـ دينية ـ سياسية) .

ـ تنبع العقيدة الصهيونية اي الايديولوجية الصهيونية مـن مفهومين اساسيين هما :

ـ ارض الميعاد ـ الشعب المختار او الشعب الموعود وارض الميعاد هي فلسطين كما يدعي مفكرو الصهيونية ومنظرو ايديولوجيتها .ارض الميعاد وعد بها الله شعب بني اسرائيل اي الشعب المختار ، وهو وعد مطلق من الازل الى الابد على حد زعم وادعاء مؤسسي الحركة الصهيونية ويلاحظ ان نقطة البدء في كل الرؤية اليهودية للتاريخ هي رؤية (دينية) ـ (تاريخية) بحتة . ومن الواضح ان لهذا الوعد الالهي جانبين : فليس اختيار الرب اختيارا للشعب فحسب بل وللارض معه . فاذا كان هناك ثمة (شعب مختار) فان هناك ايضا (ارضا مختارة) والشعب المختار هو بنو اسرائيل (الشعب الموعود) والارض المختارة هي ارض اسرائيل (ارض الميعاد) .ونذكر هنا قول (وايزمن) : « ان وعد الرب هو ميثاق الشعب اليهودي » ولسنا هنا بصدد الظروف التي كتبت فيها التوراة والتي جعلت الرب قائدا اعلى لجيش بني اسرائيل خاصة اذا علمنا بان التوراة قد كتبت بعد وفاة موسى بتسعمائة سنة على الاقل ـ وهذا ثابت ـ تاريخيا ـ ويليها في الاهمية كتبا بالتلمود .واذا ما اطلعنا على ما جاء في هذين الكتابين من تعاليم بعيدة كل البعد عن منطق الحياة ـ ومنابع الاخلاق ومخالفة كل الشرائع السماوية علمنا مدى التزوير والتحريف لقد جاء في شروح التلمود : اليهودي احب الى الله من الملائكة ، وهو من عنصر ابيه ، لمن صفع يهوديا ـ فقد صفع الله ..) ويقول الحاخام (باربانيل) في تلك الشروح « الشعب المختار فقط يستحق الحياة الابدية .اما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الخنازير » وتروي التوراة مناقشة طويلة مباشرة بين الرب وداؤود فتقول على لسان داؤود :

ـ « الر بازعج جميع الشعوب غير اليهود . »

ـ « الرب اعطى اليهود ميثاقا بان يملكوا مابين النيل والفرات . بما في ذلك جبال لبنان .

هذا غيض من فيض، وهناك فصول منتقاة ومختارة من التوراة لتدريسها في الجيش فهي مطبوعة في كتاب كتب عليه « هذه هي التوراة إمام نظرك ، كتاب الكتب لشعب اسرائيل ، اقراه وافهمه » .

ـ ان الصهيونية حركة سياسية تتستر بشعار الدين لتستخدم اليهود في العالم لمطامعها السياسية والاقتصادية وهي بذلك افرغت بمفهومها السياسي وايديولوجيتها العدوانيةالديانة اليهودية من مفهومها الروحي ، فكان انشاء اسرائيل تجسيدا واقعيا لهذا المفهوم السياسي فجردت اليهود من مثلهم الروحية السابقة وحشرتهم في دولة عدوانية تجلب اليهود من انحاء الدنيا باسم الدين .. وهكذا انزلت الصهيونية السياسية بطابعها المادي الراسمالي العدواني الجارف الشريعة الموسوية من مرتبة الاديان السماوية التي مرت على الانسانية الى درك السياسة العدوانية الضيقة الافق والمعادية للانسانية .

ـ اسرائيل دولة مشتركة :

لقد كان وراء انشاء دولة اسرائيل ثالوث عدواني ماكر ورهيب هذا الثالوث تمثل في :

ـ الصهيونية ـ والامبريالية ـ والاستعمار .

واسرائيل هي دولة مشتركة لهذا الثالوث كانت الغاية من انشائها ترمي الى تحقيق هدفين رئيسيين :

آ ـ انشاء ما يسمى ب (الامة اليهودية) .

ب ـ تشتيت وتفتيت الامة العربية .

ومن هذين الهدفين الاستراتيجيين تنبعث وتتوالد مجموعة الاهداف الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية العسكرية الاخرى .

ـ ولسنا هنا بصدد دراسة العوامل والظروف والمراحل التي تم فيها خلق (دولة اسرائيل) فهناك دراسات وابحاث افاضت في هذا المجال ومعلوم ان تاريخ القضية الفلسطينية حتى العام ١٩٤٨ انما كان تاريخ التحالفات والخطط المشتركة وهذا التاريخ كان من صنع طرفين اثنين هما الطرف الدولي اي الاستعمار والطرف الصهيوني اما الطرف الثالث وهو الطرف العربي بما فيه الطرف الفلسطيني لم يكن حاسما في تاريخ القضية الفلسطينية وانه ليؤلم المرء الا يجد مفرا من الأشارة الى هذه الحقيقة وان كان ذلك فيجب الا يتضمن انتقاصا من قيمة النضال العربي ونضال الشعب الفلسطيني الذي تصاعد تدريجيا منذ ان بدأ الخطر الصهيوني وخيوط المؤامرة تلوح في الافق الدولي في اواخر القرن الماضي وبداية القرن العشرين . لان المسالة او بالاحرى المؤامرة كانت اقوى من قدرات وامكانات مرحلة التطور الاجتماعي والسياسي والعسكري والتاريخي في الوطن العربي .

ـ عندما بدات المعارك في اواخر العام ١٩٤٧ كانت الدول العربية خاضعة خضوعا مباشرا او شبه مباشر للادارة الاستعمارية وكان الشعور الجماهيري قد وصل الى مرحلة متطورة واخذ يتلمس حقيقة المؤامرة وبخاصة الشعب العربي الفلسطيني غير ان الحكومات الرجعية العميلة لعبت دور الكابح والمهدىء للشعور الوطني العام اضافة الى اشتراكها في جميع مراحل اخراج مسرحية

الدولة الصهيونية ومن خلال هـذه الظروف كان على الشعـب الفلسطيني ان يخوض معركة قاسية ومريرة غير انه وجد نفسه امام قوى عاتية وانتهى الى نتيجة ماساوية بعد ان قدم كل مالديه واغلى ما عنده . .وكانت نتيجة حرب ١٩٤٨ ومن بعدها مؤامرة رودوس ايذانا بتصعيد الهجمة العدوانية الجديدة ضد الامـــة العربية . . واستطاعت المؤامرة ان تنجح في قيام الكيان الصهيوني وكانت البلاد العربية عشية قيام هذا الكيان اضعف من ان تقف امام تنفيذ هذه المؤامرة للاسباب التالية :

١ ــ كانت معظم الاقطار العربية انذاك خاضعة للهيمنة الاستعمارية وللاحتــلال .

٢ ــ كانت الجماهير العربية في حالة شبه غياب تام عـــن ساحة النضال السياسي ،وكانت الحكومات العربية انذاك تمعن في محاربة الفكر التقدمي وتحارب الطبقات المضطهدة والناشئة

٣ ــ كانت الجماهير الفلسطينية بعيدة عن المشاركـــة في تقرير مصيرها حيث كان الحكام العــرب يشتركون وحدهم في اخراج المسرحية الماساة .

٤ ــ كان الموقف الدولي شديد العداء للامة العربية وكانـت القيادات العربية في حالة عزلة تامة عن العالم .

٥ ــ كانت اسرائيل تعتمد على دعم اليهود في العالم كلـــه وراسمالهم المعروف وتاثيره على سير الاحداث الدولية .

٦ ــ كان التفوق في التسليح لصالح اسرائيل بصورة مطلقة.

٧ ــ كانت الامة العربية تعاني ــ من المحيط الــى الخليج همومها ومشاكلها الخاصة على المستويات القطريــة .

ان مجمل تلك المعطيات مضافة اليها معطيات ذاتية ودولية اخرى مكنت الصهيونية من اقامة (دولة اسرائيل) ومع بداية انشاء دولة اسرائيل اخذ الصراع العسكري الاسرائيلي ـ العربي ـ طابع الهجوم الاستراتيجي وقد بدا الهجوم الاستراتيجي على الامة العربية حتى السادس من تشرين العام ١٩٧٣ حيث تحول العرب من الدفاع الاستراتيجي الى الهجوم الاستراتيجي .

ـ تكتيك بارع لاستراتيجية ماهرة :

الاستراتيجية في مفهومها العسكري : هي تنقل الجيوش الى ساحة القتال والتكتيك يوجه اعمالها في ساحات القتال . فالتكتيك ينتهي حيث تبدأ الاستراتيجية .

ـ وفي الخامس من حزيران العام ١٩٦٧ بلغ الهجوم الاسرائيلي الاستراتيجي ذروته كما ان موجة الشعور الديني المتعصب داخل اسرائيل بعد عدوان حزيران قد تصاعد بشكل جنوني لم يسبق له مثيل في التاريخ ، وقد برعت الصهيونية فعلا في اختيار العناوين التي تصدرت الكتب والمقالات والمنشورات بعيد حرب حزيران : من هذه العناويــن :

« وانتصروا في اليوم السابع » . و (حــرب الايام الستة) و (حرب اسرائيل المقدسة) و (داوود وجليات) « ان المشيئة الالهية تبر الان بوعدها لشعب الله المختار) وقد طبع منشور في الولايات المتحدة الاميركية بعنــوان :

(مستقبل اسرائيل والعالم) جاء فيه : (اسرائيل الامس قبل الخامس من حزيران .. واسرائيل اليوم من السويس الى القنيطرة ..واسرائيل الغد من العريش الى جبال طوروس) والواقــع ان عدوان ١٩٥٦ وعدوان العام ١٩٦٧ لم يكونا احداثا مقطوعة الجذور ،

وانماهما احد المراحل المتقدمة والمكملة للخطة الصهيونية ان عدوان حزيران لم يكن سوى محطة مؤقتة وليست خاتمة المطاف .

ـ ولكن هل كان النصر الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ وليد القدرة الاسرائيلية الذاتية هل كان النصر الاسرائيلي في حزيران نتيجة لبراعة الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ..؟ فقد قيل :

ان انتصار اسرائيل في حزيران تكتيك اسرائيلي جيد لاستراتيجية امبريالية ماهرة ان النصر الاسرائيلي لم يكن وليد ذلك كله وحسب بقدر ما كان نتيجة لفقدان العمل العسكري العربي الموحد والاستراتيجية العسكرية العربية الموحدة والجبهات الموحدة والتنسيق بين مسارح العمليات أن اسرائيل لم تأخذ النصر كله استراتيجيا وعسكريا وحدها وانما نحن العرب ـ الذين اعطيناها بعض اسباب ذلك النصر .

ـ الاستعداد لقفزة عدوانية رابعة :

بعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ زادت غطرسة الصهاينة، وزاد صلف وتعنت حكام اسرائيل وقادتها العسكريين واصبحوا يواجهون جميع المحاولات الدولية لايجاد تسوية سياسية للنزاع في الشر قالاوسط متسترين وراء دعوى امن اسرائيل) وذلك بغية اخفاء نواياهم العدوانية والقيام بقفزة عدوانية رابعة على الامة العربية وقد تجلت مواقفهم السلبية حيال تلك المحاولات الدولية امعانا في تطبيق سياسة الامر الواقع بالمواقف التالية :

١ ـ رفضت اسرائيل رفضا قاطعا الامتثال لقرار مجلس الامن الدولي الصادر في حزيران ١٩٦٧ واصرت على احتلالها لاراضي الجولان والضفة الغربية وشبه جزيرة سيناء ولم تكتف

بذلك بل قامت بتهجير السكان العرب من هذه المناطـق واقامـة مستعمرات جـديـدة .

٢ ـ تعطيل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تاريخ ٢٢ـ١١ـ١٩٦٧ وتفسيره تفسيرا يضمن مطامعها التوسعية وتفريغه من محتوياته الرئيسيةالهادفة الى انسحابهامن جميع الاراضي المحتلة العام ١٩٦٧ ووضع كل العقبـات والعراقيل في طريق مهمـة المبعوث الخاص (يارنـــغ) .

٣ ـ شنت اسرائيل حملة للتشكيـك في مشاورات مندوبـي الاربعة الكبار التي بدات بتاريـخ ٣ـ٤ـ١٩٦٩ ووصلـت هـذه المشاورات الى الطريق المسدود بسبب رفض اسرائيل وتعنـت الولايات المتحدة الامريكيـة .

٤ ـ وقفت اسرائيل موقفا سلبيا من وساطة الحكماء الاربعة تلك اللجنة المصغرة والمنبثقة عن المؤتمر الثامن للمنظمة الافريقية الذي انعقد في اديس ابابا في حزيران ١٩٧١ .

٥ ـ تعطيل الوثيقة المعروفة بـ (وثيقة شومان) وزير خارجية فرنسا والتي وقعت عليها دول اوروبا الغربية على الرغم من عدم تبني هذه الوثيقة للحق العربي .

والنتيجة : لقد تاكد للعالم كله بان السلطات المحتلة في اسرائيل لا تنوي الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة في حزيران ١٩٦٧ وانها ادارت ظهرها لكل المحاولات والجهود الصادقة التي بذلـت في هذا السبيل ، وكان هدفها الاساسي طمس القضيـة ووضعهـا في براد عميق بغية تكريس الاحتلال والقبول بالامر الواقع .

وفي صيف العام١٩٧٣بدات السلطات الحاكمةفياسرائيلترددنغمة قديمة في الاصل هي (انشودة الامن الاسرائيلي) .

وقد عبر السيد الرئيس حافظ الاسد عن هـذه الحالة ابلـغ تعبير في خطابه على مدرج جامعة دمشق بتاريخ ١٤ـ٢ـ٩٧٢ حين قال : (نحن نسمع الان ـ كما سمعنا في الماضي انشودة العـدو الدائمة ـ انشودة الامن ـ امن اسرائيل الذي يبرر كل اعتداءوكل غزو وكل توسـع ٠

ـ فتحت ذريعة الامن ، تجاوز العدو خطوط الهدنة في حزيران العام ١٩٦٧ واحتل اجزاء جديدة من الارض العربية واخذ يقيـم عليها مستوطنات تشكل قلاعا عسكرية يحشد فيها المستوطنين المدربين علـى السـلاح ٠

ـ وتحت ذريعة الامن : تمسكت اسرائيل بالارض العربيةالمحتلة، وقاومت بكل السبل عودة ابناء فلسطين وبقية النازحين العرب الـى ديارهـم ٠

ـ وتحت ذريعة الامن تضرب اسرائيل هذه الايام خط الجبهة وفي عمق البـلاد ٠

ـ وتحت ذريعة الامن : ستحاول اسرائيل عاجلا ام اجلا ان تقوم بالعدوان تلو الاخر الى ان تستطيع حسبما تتصور تحقيقاسرائيل الكبرى وهذا ما لن تستطيعه ابدا) ٠

ذريعة الامن هذه بشكلها الاسرائيلي وخصائصها الصهيونيـة لم يسبق ان لجات اليها دولة من قبل في تاريخ العالم ٠

لحـن جديـد :

عندما شعر قادة اسرائيل ان « نغمة الامن الاسرائيلي » قد مجها المجتمع الدولي ، وانهليس في العالم من يصدق ان اسرائيل فيخطر، تحولوا الى لحن جديد وبدأوا بعزفه ليل نهار حتى تعتاد عليهالاذان

وهذا اللحن الجديد هو (المفاوضات المباشرة) . وقادة اسرائيل يعلمون علم اليقين ان العرب عندما يجلسون الى مائدة المفاوضات وهم في وضع المنهزم المنكسر فانهم لا يجلسون للتفاوض وانمالتوقيع صك الاستسلام .. حتى ان الولايات المتحدة الامريكية هي الاخرى اخذت تردد هذه النغمة على لسان مسؤوليها في البيت الابيض بدءا من نيكسون وروجرز ومرورا بسيسكو وكيسنجر وانتهاء بكارتر ..

وكانت اسرائيل مصممة وبتخطيط مسبق ومحكم انه في حالة قبول العرب لمبدأ المفاوضات المباشرة فانها مستعدة لكي تطرح مبادرة جديدة تستدرج بها الامة العربية الى فخ جديد . وهكذا الى آخر ما في جعبة الصهيونية من مفاجآت ومقالب ظاهرها الكاذب الرغبة في السلام وباطنها المزيد من الويلات للامة العربية .

وامام المواقف الاسرائيلية السابقة التي سدت بها كل السبل في وجه الامة العربية من اجل الوصول الى حل عادل للقضية اصبح الاحتكام الى السلاح امرا لايدعو اليه الواجب الوطني والشرف العسكري فحسب وانما مصير الامة العربية ومستقبلها ايضا .

القرار الخطير :

وفي السادس من تشرين العام ١٩٧٣ ، وعبر موجات الاثير انطلق صوت الامة العربية لاول مرة في التاريخ الحديث صوت الفارس العربي قائلا :

ايها الاخوة المواطنون ــ ياجنودناوصف ضباطناوضباطنا البواسل ــ يا ابناء شعبنا العربي .

(اننا اليوم نخوض معركةالشرف والعزة دفاعا عن ارضنا الغالية ، عن تاريخنا المجيد ، عن تراث الاباء والاجداد نخوض المعركة

بايمان بالله وبانفسنا وبعزيمة صلبة وتصميم قاطع على ان يكـون النصر حليفنـا فيهـا .

انكم ابناء امة عريقة عرفت على مدى التاريخ بمواقف البطولة والاباء ، بمواقف البطولة والفداء .. ابناء امة حملت رسالة النـور والايمان الى اصقاع الارض ، وشهد لها العالـم قاطبة باسمـى الصفحات وانبل الاخلاق .. فيا احفاد خالد وابي عبيدة وعمـر وسعد وصلاح الدين .. ان ضمير امتنا ينادينا ، وارواح شهدائنا تستحثنا على ان نتمثل معاني اليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت ، وان جماهير امتنا من المحيط الى الخليج تشخص بعيونها وافئدتها الى صمودنا العظيم وكلها امل وثقـة باننا الـى النصر سائرون .. نحن لا نريد الموت لاحد وانما ندفع الموت عن شعبنا اننا نعشق الحرية ونريدها لنا ولغيرنا .. نحن دعاة سلام ، ونعمل من اجل السلام لشعبنا ولكل شعوب العالم ، وندافع اليوم مـن اجل ان نعيش بسلام . فسيروا على بركة الله و (ان ينصركم الله فلا غالب لكـم) ..

بهذه العبارات الصادقة النابعة من ضمير الامة العربية خاطب الفارس العربي ابناء امته ـ خاطب جنوده ـ خاطب كل شعوب العالم وهو على ثقة بأن قراره هذا على حـق لان قضيـة شعبـه قضيـة حـق .

ـ ان القرار التاريخي الذي اتخذه قائد الامة العربية في السادس من تشرين العام ١٩٧٣ لم يكن وليد ذلك العام ، ولا العام الذي قبله وانما سبقت هذا القرار مجموعة من المعطيات بدات تتكون نتيجـة لتصميم اكيد بدأ ميلاده صبيحة السادس عشر من تشرين الثاني لعـام ١٩٧٠ صبيحة قيام الحركة التصحيحية في ذهن صاحـب القـرار .

الشخصية القيادية :

ان شخصية حافظ الاسد كانسان وكعسكري وكعقائدي وكقيادي تكاد تكون نموذجا فريدا من نوعه ولقد اثبتت الاحداث والوقائع صحة هذا القول ولسنا هنا بصدد تحليل شخصية هذا القائد الا بقدر ما كان لهذه الشخصية القيادية الفذة من دور فعال وحاسم في اتخاذ قرار تشرين وفي مجريات المعارك التي شهدتها ساحات الجولان وقمم جبل الشيخ ومياهنا الاقليمية وسماؤنا المنيعة . كانت هذه الشخصية تعيش في ضمير المواطن العربي .

اما لماذا كانت وراء كل ذلك النصر المحقق فذلك يعود الى تركيب طبيعة هذه الشخصية

١ ــ ان صاحب ذلك القرار الخطير مواطن افرزته طبقته الكادحة المسحوقة عبر قرون من التاريخ المظلم الذي سيطر فيه اعداء الجماهير من بورجوازية واقطاع وسيطرة واستعمار ، ولقد تحسس وعانى مع ابناء طبقته مجموعة المظالم الطاغية والسائدة وتكونت لديه كل القناعات بانه لا بد من الوصول الى الاهداف مهما بلغت وعورة الطريق .

٢ ــ لقد اعطى الحزب القائد ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ الاولوية للوحدة العربية واعتمد الجماهير كمضمون لهذه الوحدة وصاحب القرار رضع لبان مبادىء واهداف هذا الحزب فكان الرفيق المناضل البار الامين .

٣ ــ توفر عنصر القيادة والصفة القيادية لدى صاحب القرار ، وهذا العنصر لم يكن وليد سنوات المسؤولية لاعباء الحكم ومرحلة بداية ثورة الحزب ، وانما تكون عبر سنوات طويلة من النضال السلبي المرير .

٤ ـ الحب المتبادل بين القائد والجماهير ، والذي تحول عبر المعاناة الى الثقة المطلقة والتي كانت عنصرا هاما من عناصر اتخاذ قرار المعركة في السادس من تشرين ١٩٧٣ .

٥ ـ الرؤيا الواضحة لتطلعات الجماهير من خلال نظرته الثاقبة ، ومعايشته الكلية لاحاسيس الجماهير وتطلعاتها نحو الخلاص والتحرير ، واستطاع من خلال ذلك ان يحدد معالم الطريق وسبل السير للوصول الى تحقيقها مهما كان الثمن ومهما بلغت التضحيات .

٦ ـ مودته الصادقة الى مقررات الحزب القائد تلك المقررات التي اثبتت التجارب صحتها والتزامه الصادق بتنفيذها باعتبارها تحدد معالم الطريق الواضح والرؤيا السليمة لكل الجماهير العربية .

٧ ـ قدرة القائد على خلق التلاحم العضوي والعفوي بين مختلف الفئات الجماهيرية . وقد اجمع الكل على حبه واحترامه واولوه ثقتهم الكاملة . وقد تجلى ذلك في مجمل المواقف والقرارات التي اتخذها .

٨ ـ الثقة بالقائد تجاوزت حدود الوطن العربي مما اعطى القضية العربية اهمية وابعادا دولية .

٩ ـ قدرته على المحاكمة السليمة والهادفة لكل الامور . وهذا يعود بالتالي الى مرونة الشخصية والاستماع بكل تواضع ومحبة وثقة الى اراء غيره وتقبلها بكل رحابة صدر .

١٠ ـ قدرته على التصورات المستقبلية للامور الهامة وهذا يعود الى قناعاته المطلقة بالمبادىء والاهداف والمقررات التي اتخذها ويتخذها الحزب القائد حزب البعث العربي الاشتراكي .

١١ ـ شخصيته الاجتماعية المتواضعة ، فانت امام مواطن طبيعي طيب يشعرك وكأنك اخ وصديق تعرفه منذ سنوات عدة.

١٢ ـ شخصيته العسكرية الفذة التي جعلته موضع الثقـة والامل والاحترام وقد تجلت هذه الشخصية وتبلورت يوم كـان ضابطا برتبة صغيرة يقود طائرته المقاتلة .

١٣ ـ تصميمه على خلق جيش عقائدي مقاتل تستطيع جماهيرنا العربية من خلاله تحرير الارض المحتلة وحماية كل مكاسبها الثورية . واستطاع هذا الجيش بفضل سهر القائد على تنظيمه وتدريبه وتسليحه ان يحقق النصر ويقدم الادلة الفعلية على صحة وتقدير وتصورات قائده . .

١٤ ـ قدرته على خلق جـو الثقة والمحبة والتآلف عندما تصل الازمات الى نهاياتها العظمى وقد تجلى ذلك منذ قيادتـــه للحركة التصحيحة العام ١٩٧٠ وفي مواقف عديدة اخرى استطاع بمرونته وحرصه على المصلحة العربية العليا ان يزيل كل اسباب الخلاف والتوتر بين الاقطار العربية مؤكدا ان معركة المصير فوق كل المعارك الهامشية والخلافات الجانبيـــة .

معطيات القرار التاريخي لحرب تشرين :

ـ قبل تشرين التحرير . . بدأ تشرين التصحيح . . وان ابسط مايقال عـن حركة تشرين التصحيحية انها كانت الرمية الاخيرة لانقاذ هوية البعث القومية بعد ان تحولت جماهير الشعب في القطر العربي السوري الى شهود في محاكم الضياع . وانقاذ هوية البعث القومية تعني قبل كل شيء العودة الى العروبة . وكانت هذه العودة كبرى معطيات قرار حرب تشرين .

ـ ان الحديث عن حركة تشرين التصحيحية تعني الحديث عن مجمل معطيات قرار حرب تشرين الخالدة :

آ ـ ففي المجال الداخلي :

١ ـ اعادت الحركة التصحيحية ربط الحزب القائد بالجماهير العريضة . واعادت الثقة بين الجماهير والحزب بعد ان عاش الحزب فترة من التحجر والتقوقع والانغلاق ومن المسلم به ان الفصل بين الحزب والجماهير ، يعني قبل كل شيء انهاء فترة الثورة بكل ابعادها لان الجماهير هي القاعدة الاساسية الواسعة لنضال الطليعة الثورية . ومن الواضح ان المنهاج المرحلي لحزب البعث العربي الاشتراكي نجده دائما يرفع شعار المعركة ويضع كل القدرات البشرية والاقتصادية وغيرها في سبيل هذا الهدف ولا يعلو اي شيء في هذه المرحلة على صوت التحرير وكان هذا بندا اساسيا من بنود قرار حرب تشرين .

٢ ـ ان تشكيل الجبهة الوطنية التقدمية جعل كافة الجماهير العربية في القطر تنصهر في بوتقة واحدة وتحققت بذلك جبهة داخلية متينة ومتراصة ، فكان انجاز هذه الوحدة الوطنية هو المقدمة الطبيعية والتصحيحية لاتخاذ قرار معارك التحرير في تشرين

ولقد برهنت هذه الوحدة الوطنية قولا وعملا على فعالية لامحدودة خلال معارك التحرير فكانت الظهير الايمن لقواتنا المسلحة ، واعطت البرهان القاطع ان الشعب المتماسك خلف قيادة واحدة حكيمة واعية بالغ اهدافه مهما كانت العقبات .

٣ ـ من المسلم به ان اي جبهة عسكرية في ساحات القتال لا يكتب لها الاستمرار والنجاح ما لم تستند الى قاعدة اقتصادية متينة . ولنا من تجارب الحرب العالمية الثانية خير الادلة القاطعة ،

فلقد وصل الجيش النازي الى اوج انتصاراته العسكرية سواء في ساحات القتال في اوروبا او ساحات القتال في شمال افريقيا ، وساحات القتال فوق الاراضي السوفييتية،غير ان هذه الانتصارات قد انهارت دفعة واحدة عندما انهارت القاعدة الاقتصادية الهتلرية وتقهقر الجيش النازي يجر اذيال الهزيمة . ولقد اولت الحركة التصحيحية هذه القاعدة اهتماما بالغا وقامت منذ ايامها الاولى باعادة النظرفيمجمل قواعدنا الاقتصادية وارسائها على اسس علمية ثابتة وكان هذا بندا هاما من بنود اتخاذ قرار تشرين .

٤ ـ ومن المسلم به ايضا ان اي حق مهما كان نوعه لا تسنده القوة فهو حق مهزوز والحق العربي لا يختلف فيه اثنان سواء من الناحية التاريخية او الناحية القانونية ولقد مضت العشرات من السنين والحق العربي في محاكم الضياع لا تسنده الحجة الدامغة التي تتمثل بالقوة وبالقوة فقط . ولذا ومنذ الايام الاولى لقيام الحركة التصحيحية اولى القائد جل اهتمامه لبناء قوات مسلحة على اسس علمية مدروسة واشرف بنفسه على تنظيمها وتجهيزها وتسليحها وتدريبها فتحقق بذلك اهم بند من بنود معطيات قرار حرب تشرين .

ب ـ في المجال العربي :

لقد اكد حزب البعث العربي الاشتراكي في كل مقررات مؤتمراته القومية والقطرية ان معركة التحرير ليست معركة قطر عربي واحد. وانما معركة كل الامة العربية وانطلاقا من مقررات الحزب فقد طرحت الحركة التصحيحية منذ ايامها الاولى مبدأ (قومية المعركة) اي زج كافة امكانات وطاقات الامة العربية في المعركة بغية التحرير. ومن دمشق تحركت أقدام القائد برفع الشعار الاساسي الرئيسي

وكان اكثر من لقاء للقائد في طرابلس والرياض والقاهرة والكويت والجزائر و.. واصبحت دمشق الملتقى العربي الرحب ، والصراحة والصدق .. اصبحت دمشق الانطلاقة..في خط المواجهة.الجندي العربي من المغرب الاقصى الى جانب توامه الجندي العربي السوري وعلى طول المواجهة في القنال الجندي المصري ومن حوله الجندي

الجزائري والسوداني المهم فقد استطاع القائد ان يحصل على الضوء قبل عملية الرؤيا ، وان يحصل على الفكر قبل التحــرك الفعلي نحو الهدف .. واجرى عملية التحليل لكل خريطة ومن ثم قام بعملية التركيب والتجميع لكل المعطيات العربية وربطها بالهدف فكانت مجموعة تلك العمليات بندا هاما واساسيا من بنود القـرار الخطــير .

جـ ـ في المجال المعادي : (المعادلة المعقدة) :

لقد وضـع القائد امـام ناظريـه وباعتبـاره قبل اتخـاذ القرار كافة المعطيات الايجابية والسلبية لدى الطرف الاخر المعادي: في الطرف الاخر العدو . من هو هذا العدو ؟ هل هو اسرائيل وحسب ؟ هل اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية ؟ هل اسرائيل والصهيونية والامبريالية ، الثالوث العنيد؟ من نحن ؟ هل القطر العربي السوري وحده في المعركة ؟ هل القطران السوري والمصري معا ؟ في المعركة ؟ ما هو مدى دعم الامة العربية لنا ؟ هل هنـاك عناصر اخرى تدخل في هذه المعادلة المعقدة ؟ اوروبا الغربية ؟ دول المعسكر الاشتراكي . دول العالم الثالث الخ .. الخ .. ان هذه المعادلة المعقدة كانت هي الاخرى بندا هاما وخطيرا من بنود تكوين قرار حرب تشرين . كل ذلك لم يحدث في رمشة عين ، ولا في وقت قصير ، ولا في دائرة صغيرة ، بل اتسعت حلقات هذه الدائرة مـن المستوى القطري الى المستوى العربي فالمستوى الدولي .

(وكان القرار الخطير) :

ـ وحملت موجات الاثير صوت الفارس مخاطبا قوافل التحرير والفـــداء

.. فسيروا على بركة الله (ان ينصركم الله فلا غالب لكم)

نتائج حرب تشرين المجيدة :

ـ قال تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا .. »

ـ ان المؤرخين يحاولون دائما وضع اطر عامة للتاريخ اطـر جاهزة سلفا .. لكن تاريخنا العربي المعاصر تمرد على هذه الاطر كلها ، ونسج حكايات امجاده بدم ابنائه فشهداؤه وثائق مدعمـة بالحقائق مقرونة بالتراب المجبول فوق قمم جبل الشيخ وروابي الجولان ومياه القنال وتراب سيناء .

وللامانة التاريخية ، وعرفانا لاولئك الذين قادوا وخططوا ونفذوا لا بد قبل الولوج في حرب تشرين من الوقوف امام بعض مشاهدة العزة والكبرياء والصمود في الجولان وجبل الشيخ آمليـن ان يكون اخوة لنا فوق ارض الكنانة قد وقفوا وقفة عز وشموخ امام دمار وذل خط « بارليف » الاسطورة التي انهارت ومضت .

معارك الدبابات :

ـ تعتبر معارك الدبابات التي جرت على ارض الجولان مـن اعنـف واشـرس المعـارك التـي شهدتهـا الانسانيـة قاطبة من حيث العنف والشراسة ومن حيث النوع ومن حيث العدد .

ففي الاسبوع الاول من المعارك التحمت اكثر من الف دبابة سورية مع أكثر من الف دبابة اسرائيلية ، وبلغت ذروة العنف عندما

كانت الدبابات السورية والاسرائيلية تتقارب حتى تتناطح ففي معركة (كفر نفاخ) التي خاضتها احدى الويتنا المدرعة بشراسة وصمود كانت دبابة احد قادة كتائب هذا اللواء وهي من نوع ت ٦٢ لا تبعد اكثر من ثلاثمائة متر عن الدبابةالاسرائيلية من نوعباتون م٦٠ الامريكية الصنع . وتشاء الصدف ان يسدد قائد الدبابة السورية على الدبابة المعادية بنفسه وفي آن واحد كان قائد الدبابة الاسرائيلية يسدد بنفسه على الدبابة السورية وما هي الا ثوانٌ حتى دوى انفجار طلقتين معا . فقد اصاب القائد السوري برج الدبابة الاسرائيلية فانقذف البرج الى مسافة عشرين مترا عن مكان الانفجار وفي الوقت نفسه اصاب قائد الدبابة الاسرائيلية الدبابة السورية في المنظار الموشوري (البيرسكوب) ودخلت بعضالشظايافي عيني قائد الدبابة السورية وعلى الرغم من اصابته بهذه الجراح في عينيه ووجهه ، لم يسأل عن حالته وانما كانت اول كلمة له :ماذا جرى بالدبابة الاسرائيلية ؟

ومن العدل والانصاف ان نقف امام قادة الوية الدبابات في الجيش العربي السوري الذين اظهروا من الشجاعة ، والدراية والقدرةالرائعة ماجعلهم في مصاف القادة الذين قدموا في فنالتكتيك وفن العمليات دروسا جديدة ، ومعطيات جديدة ، ويقينا فان قادة الكتائب والسرايا والفصائل وطواقم الدبابات قاموا بدورهم بتنفيذ مهامهم القتالية بصورة رائعة جعلت العدو يعترف صراحة ولاولمرة بدور رجال المدرعات الفعال والحاسم في كل معركة من معارك الدبابات في الجولان .

وقد اسفرت معارك الدبابات في الجولان عن تدمير ٩٠٠دبابة اسرائيلية من مختلف الانواع .

وعن مدفعية الميدان السورية :

اثبتت تفوقها المطلق والساحق على المدفعيـة الاسرائيلية في معارك الجولان ففي رمايات التمهيد في الساعة ١٣٫٥٥ من يوم السادس من تشرين حولت المدفعية السورية الجولان الى جحيم حقيقي .وفي احدى المقابلات الميدانية التي اجرتها صحيفة امريكية مع جندي اسرائيلي في حرب رمضان سألته الصحيفة ماذا تتمنى من الله في هذا الوقت .. فاجابها (اتمنى من الله ان يحقق لي امنية واحدة هي ان يرفع نيران المدفعية السورية عن رؤوسنا) .. وكان تفوق المدفعية السورية خلال فترة الحرب واحتمالات اصاباتها للاهداف المعادية يفوق بكثير مدفعية الميدان الاسرائيلية .

ومن صور بطولاتنا الرائعة في جبل الشيخ صورة تكاد تكون شبه اسطورية لجندي احتياط من الوحدات الخاصة .اسـم الجندي الاحتياط : عماد زغبور .لقد قام هذا الجندي بمأثـرة بطولية رائعة: فاثناء صد الهجوم المعادي المضاد في جبل الشيخ امسك هذا الجندي بقنبلة يدوية وزحف باتجاه دبابة القائد الاسرائيلي وعندما اقترب من الدبابة وبقفزة واحدة كوثبة النمر تسلق جسم الدبابة الاسرائيلية مـن الاعلى واستولى على برجها ، والقى بنفسه وبقنبلته في وسط الدبابة المعادية . .وفجاة دوى انفجار رهيب وما هي الا لحظات حتى تحولت الدبابة بمن فيها الى كتلة سوداء من الحديد ... وعندما تبدد الدخان .. شاهد المقاتلون الدبابة لاتزال مشتعلة فاندفعوا بحماسة واقدام يثأرون للبطل الشهيد .. لقد استشهد عماد زغبور واستحق بطل الجمهورية وسيبقى المنار الذي يهتدي به كل الرفاق المقاتليـن .

– ولو انني تابعت سرد صور البطولات لما قدمه نسورنا العقبان في سلاحنا الجوي ولاولئك الذين جعلوا سماءنا محرمة على الغزاة

الصهاينة واعني رجال دفاعنا الجوي ولما قدمه ابطال بحريتنا الميامين وسلاح المشاة الجبار وكافة صنوف قواتنا لاحتاج الامر الى العديد من المجلدات .

ـ هذا ومن خلال المعطيات التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وعبر صراع مسلح دام اكثر من عشرين يوما متواصلا بدءا من السادس من تشرين وحتى الاعلان عن بداية وقف العمليات الحربية بالاضافة الى الثمانين يوما ونيف من حرب الاستنزاف ـ نستطيع ان نستخلص مجموعة من كبريات النتائج هزت العالم باسره من مغربه الى مشرقه ، ووضعت العالم في واقع جديد وقد عبر وزير خارجية فرنسا السابق عن هذا الواقع الجديد بقوله : ـ لقد انتهى عصر الف ليلة وليلة .. وعلينا ان نتعامل مع العرب بعد اليوم على اساس جديد ...ـ

النتائج الاجتماعية لحرب تشرين :

أ ـ النتائج الاجتماعية على مستوى الانسان العربي والامة العربية :

١ ـ ان حرب تشرين التحريرية اقتلعت والى الابد جذور السلبية والانهزامية من اعماق الانسان العربي ، وجعلته يتخلص من عقدة الذنب ، ويتحرر داخليا بعد ان عاش في ظلمة نفسه قرونا من الزمن .

٢ ـ ولدت حرب تشرين في نفس المواطن العربي الايمان بالقدرة الذاتية ـ والقدرة الذاتية وحدها المحرك الاساسي والفاعل في صنع اي مستقبل عربي .

٣ ـ ازالت حرب تشرين عقدة التفوق الاسرائيلي من اعماق المواطن العربي وجعلته يشعر بالامل في المستقبل .

٤ ـ اثبتت حرب تشرين للمواطن العربي بان حل القضية لم يعد بيد طرف واحد وان للقـوة العربية والارادة العربية الدور الاساسي والفعال ايضا ، ويستحيل الخوض بمسالة القضية بمنأى ومعزل عن الجماهير العربية .

٥ ـ اكدت حرب تشرين للمواطن العربي ان التحامه وتراصه في جبهة داخلية قد لعب دورا كبيرا في احراز النصر وسيبقى عنصرا فعالا في كل صراعتنا مع اعداء الامة العربية .

٦ ـ اعطت حـرب تشرين للمواطن العربي درسا بان دوره في الانتاج الوطني سبب كبير من اسباب النصر وفي كل مواجهة مع العدو ايا كـان .

٧ ـ غياب اصحاب العقول الاستسلامية من ساحة الجماهير العربية بعد ان لعبوا دورا قذرا في تحطيم نفسية المواطن العربي .

٨ـ اكدت حرب تشرين التحريرية ثقة المواطن بالمقاتل العربي.

٩ ـ أعطت حرب تشرين للمواطن العربي دفعا جديدا للبذل والعطاء وتقديم متطلبات الجبهةالعسكرية ، واصبح بعد معارك تشرين اكثر استجابة لتلك المطاليب .

١٠ ـ اصبح المواطن العربي بعد معارك تشرين يميز بيـن الاصوات المزايدة والاصوات التي تقرن الفعل بالقول بعد ان عاش السنوات الطوال في متاهات الضياع وعتبات الحكام يستجـدي اقتران القول بالفعل .

١١ ـ اثبتت حرب تشرين ان الشحن العاطفي والانفعالي الذي سبق عدوان حزيران العام ١٩٦٧ ادى الى خيبة امل تغلغلت في اعمـاق المواطـن العربـي والـذي كـان يصـور المعركـــة

نزهة قصيرة وان قضية فلسطين ستحل في ساعات لا اكثر ــ ان هذا الاسلوب كان اسلوبا خاطئا ومدمرا لروح الانسان العربي والجماعة ــ الامر الذي خلق ازمة في السلوك والتفكير والمعاملة بين المواطنين .

١٢ ــ بعد حرب تشرين عاد الشعور بالانتماء الى الجماعة وظهرت الدوافع الاجتماعية بشكل منقطع النظير ، في فترة الحرب تجلت روح الجماعة في كل الساحات الداخلية : طالبات المدارس اصبحن ممرضات ومضمدات جروح في المستشفيات ــ النساء في كل بيت همهم النصر فقط ــ الافران تعمل ليل نهار ــ دون انقطاع عربات المواطنين المدنية تقل المؤن والذخائر الى مناطق القتال .. لقد كان الداخل اشبه بخلية النحل .. الكل يتسابق لعمل شيء ما .. حتى امهات الشهداء كن يزغردن لمجرد سماع ان اولادهن جبلوا تراب الوطن بالدم الزكي .

١٣ ــ ان حرب تشرين جعلت المواطن العربي يعتز بانتمائه القومي حتى في وسط الدول التي كانت تناصب العداء لاماني وامال الامة العربية بعد ان كان المواطن العربي في تلك البلاد يتهرب من هذا الانتماء احيانا ولظروف خاصة .

١٤ ــ اثناء احتدام المعارك في الجولان وجبل الشيخ وقبيل وقف اطلاق النار بايام معدودة كنت ممن اوكلت اليهم مهمة تعبئة المواطنين لرفد جبهة القتال .. كان الاقبال على التطوع في فترة المعركة اقبالا منقطع النظير . . ومعظم المتطوعين كانوا يشترطون القتال مع الوحدات الخاصة في جبل الشيخ او مع الدبابات .. ومن هنا نرى ما لمعارك تشرين من اثار على تعبئة المواطن العربي انسانا وجماعة .. وكيف كان قبل تشرين يحاول التملص بشكل او باخر من التعبئة في الاحتياط او الدعوة الى دورة تدريبية .

١٥ ـ ازالت معارك تشرين عقدة التفوق التكنولوجي الاسرائيلي من ذهن المواطن العربي بعد ان عاش سنوات عدة وهو يقف حائرا وعاجزا امام هذه العقبة المنيعة التي صورها العدو وحتى الكثير من المعلقين والكتاب العرب بان اجتياز هذه العقبة يتطلب عشرات السنين .. غير ان الجندي العربي وهو ابن ذلك المواطن البسيط استطاع ان يقود طائرته القاذفة او المقاتلة بكل جدارة وثقة .. واستطاع ان يكون خلف قاعدته الصاروخية المعقدة ووسط دبابات القتال الحديثة وعلى متن زوارق الطوربيد وان يبرهن لعدوه وللعالم انه ليس عاجزا امام التقدم التكنولوجي وانه انسان حضارة القرن العشرين .

ب ـ النتائج على مستوى الفرد الصهيوني والمجتمع الاسرائيلي :

ـ من المعروف للجميع ان المجتمع الاسرائيلي هو نتيجة لتجمع مصنوع اي انه ليس مجتمعا طبيعيا ولم يتكون خلال حركة تطور تاريخية طبيعية تمت على ارضه كباقي المجتمعات الانسانية الاخرى وانما تكون بقرار اتخذه المؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في مدينة ـ بال ـ السويسرية عام ١٨٩٧ استجابة لظروف استعمارية : سياسية واقتصادية معينة لاعلاقة لها بفلسطين . اضافة الى هذا التكون المصنوع فان افراد هذا المجتمع ينتمون الى اصول شتى تتباين حضاريا وتمتد جذور كل فرد منه خارج ارض فلسطين هذه المعطيات مبدئية وثابتة عن تكوين المجتمع الاسرائيلي .اما ما جرى لهذا المجتمع اثناء وبعد معارك تشرين فهذا ما سنقف عنده كمحطة للدراسة والتأمل :

١ ـ ان الفترة الواقعة ما بين عدوان حزيران العام ١٩٦٧

واليوم السادس من تشرين العام ١٩٧٣ كانت ذروة الغرور والبهجة في المجتمع الاسرائيلي.. فقد ملأت كتبهم الاسواق المحلية والعالمية. الشعب المختار يستحق الحياة الابدية .. (الوعد الالهي يتحقق) ، (جيش اسرائيل الذي لا يقهر .)، (موشي دايان صانع الانتصار) (ارض اسرائيل من الفرات الى النيل) ، وتجيء معارك تشرين وتنقلب الاية وتختل المعادلة ويرتسم التساؤل على وجه كل اسرائيلي :اين جيش اسرائيل الذي لايقهر ؟ وتتوضع خيبة الامل والمرارة في اعماق كل اسرائيلي .وانقلبت كل المسلمات الى اوهام .

٢ ــ ان الخسائر البشرية التي لحقت بالجيش الاسرائيلي من الضربة العربية المفاجئة جعلت الحزن والخيبة تدخل كل بيت في اسرائيل .

٣ ــ لقد برزت ظاهرة جديدة وغريبة في المجتمع الاسرائيلي اثناء وبعد معارك تشرين هذه الظاهرة هي الاعتماد على التفكير السحري وعلى الوسطاء الروحانيين وبخاصة في الاوساط التي فقدت ابناءها وذويها واقاربها في معارك تشرين فهل هذا دليل التفوق التكنولوجي والعقلية العلمية واسرائيل رسول الحضارة في الشرق الاوسط ؟.

٤ ــ ان عامل المفاجأة العربي قد هز المجتمع الاسرائيلي هزا عنيفا واوقعه في غيبوبة لم تكن في الحسبان .

٥ ــ تزايد الشعور لدى كل فرد في اسرائيل بان حرب تشرين اكدت قدرة العرب على النصر على اسرائيل التي لا تقهر ولا تغلب.

٦ ــ توقف حركة الهجرة الصهيونية الى فلسطين نتيجة لمعارك تشرين بينما تدفق الالاف من اليهود الى الارض المحتلة بعد

عدوان الخامس من حزيران العام ١٩٦٧ ــ وبالمقابل ازدادت حركة النزوح عن فلسطين مما ولد الخلل والاهتزاز في المجتمع الاسرائيلي

٧ ــ لقد اخفى حكام اسرائيل الكثير من الحقائق عن معارك تشرين مما ولد عدم الثقة بهم بحيث اصبح الحكام في واد والمجتمع الاسرائيلي في واد اخر ولم يكتف قادة اسرائيل باخفاء الحقائق عن مجتمعهم بل قدموا له حقائق وهمية مزيفة لامتصاص النقمة.

٨ ــ لقد اصبح الفرد الاسرائيلي والمجتمع الاسرائيلي بعد حرب تشرين يعاني من العزلة المفروضة عليه ــ وبخاصة العزلة الدولية مما ولد في النفوس الخيبة والمرارة والشعور بالفشل .

٩ ــ ان بروز قضية فلسطين والشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة نتيجة حرب تشرين لتاخذ مكان الاولوية في القضايا الدولية من حيث الاهتمام اثار قلق المجتمع الاسرائيلي والفرد الاسرائيلي وجعله يدرك ان وضعه اصبح مهزوزا .

١٠ ــ ان حرب تشرين جعلت الفرد الاسرائيلي والمجتمع الاسرائيلي يدرك بان القيادة العسكرية وقيادات الجيش قد خذلته لذلك طرح عدم الثقة بهذه القيادات مما اجبر الحكومة الاسرائيلية على تشكيل لجنة لتقصّي الحقائق سميت لجنة ــ اجرانات ــ والتي كانت السبب في استقالة ــ دافيد اليعازر ــ رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي .

١١ ــ ويكفي ان نقف امام صور المظاهرات التي قادها ضابط الاحتياط ــ اشكناري ــ ضد موشي دايان وزير الحرب الصهيوني بعيد معارك تشرين والتي اجبرت حكومة رابين على استبعاد موشي دايان من صفوف وزارته .

والخلاصة : يكفي ان يطلع المواطن العربي واي مواطن اخر على المقدمة التي تصدرت « كتاب التقصير » وهو من تاليف مجموعة من الكتاب الاسرائيليين : « شاهدنا الحرب .. شاهدناها تقع ، وتمنينا اللحظة التي تنتهي فيها .. وعدنا من الحرب لنجد انفسنا جزءا من شعب حزين ومصدوم وحائر ..» .

النتائج السياسية لحرب تشريـن :

آ ـ النتائج السياسية على المستوى العربي ـ الفلسطيني .

ب ـ النتائج السياسية على المستوى الاسرائيلي .

ج ـ النتائج السياسية على المستوى الدولي .

آ ـ النتائج السياسية على المستوى العربي ـ الفلسطيني :

١ ـ ان اول مايقال ويؤكد هو ان حرب تشرين التحريرية كانت نقطة تحول كبرى في تاريخ العلاقات الدولية . وكانت أولى الثمرات التي جنتها الامة العربية فاستعادت كرامتها ومكانتها الدولية واكدت شخصيتها التي طمسها العدوان عبر قرون من الاحتلال .

٢ ـ ان الامة العربية بعد حرب تشرين اصبح لها دورها الفعال في السلام واستتباب الامن الدولي وتجنيب العالم ويلات وكوارث الحروب وتستمد هذا الدور من اعتبارين اساسيين :

آ ـ الموقع الاستراتيجي الهام للوطن العربي :

ب ـ طاقات وموارد الامة العربية الهائلة :

٣ ـ لقد احدثت حرب تشرين هزة عميقة في الوجدان العربي، ولاول مرة في التاريخ المعاصر تجتمع كلمة العرب وتتوحد ارادتهم

متجاوزين كل الخلافات القطرية والمعارك الهامشية واستطاعوا ـ نوعا ما ـ تنسيق استراتيجيتهم السياسية .

٤ ـ ابرزت حرب تشرين الامة العربية كقوة يحسب لهاحساب بين القوى العالمية ، وقد تحدثت الدراسات الاستراتيجية عن بروز العرب بعد حرب تشرين كقوة سادسة في العالم .

٥ ـ كانت حرب تشرين سببا في فتح قناة السويس وهي احدى نتائجها الايجابية .

٦ ـ لقد جررت حرب تشرين الارادة العربية وفي هذا المجال قال الرئيس حافظ الاسد : « لقد حررت الحرب نفس الانسان العربي من بذور الشك والريبة وسموم القلق والخوف واعادت اليه ثقته بنفسه واعتزازه بشخصيته وامته ، وارتباطه بامسه وبيومه وغده ومحت عقدة الذنب والشعور بمرارة الهزيمة والتقصير واحيت في اعماقه الامل والرجاء وبعثت فيه القوة والجراة ،والقدرة على الصمود والتحدي والفعل ... »

٧ ـ ومن النتائج البارزة لحرب تشرين المجيدة انها دفعت بالعرب لان يعبروا الفجوة التكنولوجية بينهم وبين عدوهم بعد ان ثبتت بالدليل القاطع قدرة الجندي العربي على استخدام الاسلحة الحديثة والمعقدة بكل مهارة ونجاح وتفوق وهذا ما اثبتته معارك تشرين .

٨ ـ اظهرت حرب تشرين قدرة العرب على الفعل ـ وكانت سببا في التضامن العربي ـ وقد ظهر هذا التضامن جليا في مواقف عملية شتى على المستوى العسكري القتالي وعلى المستوى الاقتصادي (البترول كسلاح فيالمعركة) وعلى المستوى السياسي.

٩ ـ طرحت حرب تشرين من جديد قضية الوحدة العربية والعمل العربي الموحد . وقد تجلى هذا الطرح في اللقاءات التي حققها الرئيس حافظ الاسد مع القطر الاردني الشقيق ومع القطر المصري رفيق النضال . كما قدمت حرب تشرين رؤية جديدة نافذة لمغزى وحدة العمل العربي في الصراع المرير مع الصهيونية كما قدمت رؤية جديدة ايضا لضرورة استمرار هذه الوحدة وتوسيع نطاقها حتى تبلغ ابعد افاقها .

١٠ ـ ومن نتائج حرب تشرين المجيدة انها احدثت تغييرات هامة في السياسات الداخلية لبعض الاقطار العربية .

على المستوى الفلسطيني والقضية الفلسطينية :

من المؤكد والثابت ان قضية فلسطين قد دخلت مع حرب تشرين في وضع جديد ومرحلة جديدة وكان لمعارك تشرين تأثير ايجابي على مجمل نضال الشعب الفلسطيني :

١ ـ لقد شهدت الارض المحتلة انتفاضات عارمة ضد الغزاة المحتلين وبالرغم من ان هذا النضال قد اتسم بالشجاعة والعناد الا انه بعد حرب تشرين امتاز في الواقع باتساع نطاق النضال الجماهيري بمختلف اشكاله ومن خلال تنظيماته العلنية والسرية .

٢ ـ عاد العربي في الارض المحتلة ـ بعد حرب تشرين ـ ينظر الى الاحتلال الاسرائيلي نظرته الى سلطة زائلة بعد ان تجاوز مرحلة الياس التي طالما نظر فيها الى الاحتلال وكانه اصبح سلطة شبه دائمة ومستمرة .

٣ ـ من خلال نتائج حرب تشرين والاتفاق العربي على ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني

فقد زاد التفاف الجماهير العربية في فلسطين المحتلة حول منظمة التحرير الفلسطينية .

٤ ـ عزلت حرب تشرين بعض انظمة الحكم الذين كانوا دائما يزايدون في قضية فلسطين .

٥ ـ اعطت حرب تشرين منظمة التحرير الفلسطينية مركزا دوليا ، واصبح للشعب الفلسطيني صوت مسموع حتى في أروقة الامم المتحـدة .

٦ ـ ان حرب تشرين بلورت مطلبين رئيسيين هما الاساس في تسوية القضية وهذان المطلبان هما :

آ ـ الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة .

ب ـ الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني .

٧ ـ كان تفهم العالم لقضية العرب الكبرى (فلسطين) غير دقيق قبل حرب تشرين .وقد تعلم العالم نتيجة لهذه الحرب ان ينظر الى هذه القضية بصورة اكثر دقة . وبالفعل فقد تحرك العالم من حالة عدم اتخاذ قرار عادل نتيجة للتضليل السياسي والاعلامي الصهيوني الامبريالي الى حالة التقدير العام للجوانب الحقيقيـة للقضيـة .

٨ ـ واخيرا ونتيجة لحرب تشرين المشرفة فقد عجـزت اسرائيل عن ثني العديد من الدول عن الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد وشرعي للشعب الفلسطيني .

٩ـ نتيجة لحرب تشرين فقد اشترطت الدول العربية (دول المواجهة) أن تكون منظمة التحرير الفلسطينيةاحدالاطرافالمفاوضة في مؤتمر جنيف .

النتائج السياسية على المستوى الاسرائيلي :

لا شك في ان حرب تشرين التحريرية قد هزت كل المخططات الصهيونية وقلبت حسابات مؤسساتها العسكرية والسياسية — كما ان هذه الحرب قد اظهرت اسرائيل بحجمهاالصحيح وبانها(دولة) غير قابلة للاستمرار في المنطقة العربية بدون دعم من الولاياتالمتحدة الامريكية . وان كانت اسرائيل قد عاشت عصرها الذهبي خلال ست سنوات ما بين ١٩٦٧ — ١٩٧٣ كقوة مسيطرة فان حرب تشرين التحريرية قد اوقفت جماح غرورها واظهرتها في حجمها الصحيح واسقطت العديد من النظريات الاسرائيلية التي ابتدعت بعد عدوان الخامس من حزيران العام ١٩٦٧ .

١ — لقد احدثت حرب تشرين خللا في صورة التطابق التي حدثت منذ قيام اسرائيل بين دائرتي اليهود والصهيونية وغيرت في العلاقة القائمة بين اسرائيل والصهيونية من جهة وبين يهود العالم من جهة ثانية وتشير تلك النتائج انه ليس ضروريا ان يكون كل يهودي صهيونيا .

٢ — لقد جعلت حرب تشرين الفكر السياسي الاسرائيلي يصاب بالتحجر هذا الفكر الذي يصيغ السياسة الاسرائيلية اصبح عاجزا عن امكانية التكيف .

٣ — احدثت حرب تشرين خللا في صفوف الحزب الحاكم حيث انقسم على نفسه ، وبالتالي جعلت وجهات النظر تتصارع ويكيل بعضها للبعض الاتهامات الامر الذي ادى مؤخرا الى حل ما سمي بـ — الكنيست — البرلمان الاسرائيلي .

٤ — احدثت حرب تشرين تخريبا ملموساللسياسة الاسرائيلية المرسومة لجلب المزيد من المهاجرين اليهود حتى ان انباء مشاكل

اليهود في الاتحاد السوفييتي قد اختفت بعيد معارك تشرين بعد ان تصدرت هذه المسالة صحف واذاعات العالم ردحا من الزمن .

٥ ــ نتيجة لحرب تشرين فقد اخفقت السياسية الاسرائيلية اخفاقا ذريعا في منع بعض الدول من الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد والشرعي للشعب العربي الفلسطيني .

٦ ــ تسعى السياسة الاسرائيلية لاهثة لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع بعض الدول التي قطعت علاقاتها مع اسرائيل نتيجة حرب تشرين .

٧ ــ تقف السياسة الاسرائيلية بعد حرب تشرين من المنظمة الدولية للامم المتحدة موقف المعادي،واحيانا المتحدي نظرا لاخفاقها الذريع في ابعاد منظمة التحرير من اروقة الامم المتحدة وبروز القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة امام ممثلي دول العالم .

٨ ــ نتيجة لحرب تشرين التي كانت سببا في التقارب والتضامن العربيين جعلت السياسة الاسرائيلية في ارتباك مستمر لان اي تقارب او تضامن عربي من شانه ان يقف حائلا امام اي تحرك سياسي اسرائيلي .

٩ ــ اصبح هم السياسة الاسرائيلية وشغلها الشاغل مواجهة نتائج حرب تشرين وبخاصة في المسائل التالية :

أ ــ محاولة الخروج من العزلة الدولية الآخذة بخناق السياسة الخارجية الاسرائيلية بعد معارك تشرين .

بــ الوقوف في وجه اية تحولات في السياسة الامريكية ازاء الصراع العربي ــ الاسرائيلي .

جـ ـ العمل بكل الوسائل الممكنة لافشال الحوار العربي ـ الاوربي والوقوف امام اي تقارب بين الدول العربية ودول اوروبا الغربيـــة .

د ـ السعي المتواصل لتخريب العلاقات القائمة بين العرب وشعوب العالم الثالث .

هـ ـ بذل الجهود المضنية لافشال المقاطعة العربية لاسرائيـــل ومحاولة التغلغل بين صفوف مجلس الشيوخ الامريكي بغية اتخاذ اجراءات امريكية من شأنها تفريغ المقاطعة العربية من مضمونهـــا وبالتالي افشالها واقناع الشركات العالمية بعدم الامتثال لتهديدات المقاطعة العربية من خلال ممارسة الضغوط على تلك الشركات .

النتائج السياسية على المستوى الدولي

ـ كانت لنتائج حرب تشرين اثارها القوية والفعالة في احداث الكثير من التغيرات الدولية من الناحية :السياسية ـوالاستراتيجية والاقتصادية والعسكرية . ولقد تناولـــت معاهد الدراســـات الاستراتيجية العالمية حرب تشرين وعنيت بدراستها وبنتائجهـــا الحاسمة : **ففي فرنسا** : تحدث الجنرال ـ جورج بوي ـ مديـر معهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسي عن الاستراتيجية العسكرية لحرب تشرين واثارها على الاستراتيجية الدولية ، متناولا بالتحليل المعطيات الاستراتيجية المحلية الناجمة عن حرب تشرين ، ثم تحليل مدى التغير في استراتيجية القوتين العظميين ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ والاتحاد السوفييتي ـ في ضوء المعطيات المحلية التي نجمت عن حرب تشرين العام ١٩٧٣ .

وفي انكلترا : تحدث الجنرال (انتوني فارارهوكلي) مديـر

تطوير القتال في الجيش البريطاني عن الاستراتيجية العسكرية لحرب تشرين واثارها على الاستراتيجية العالمية .

ـ هناك مثل يقول : « ان الطفل الذي لايبكي لاترضعه امه». فلا عجب اذا نام المجتمع الدولي عن قضيتنا لاننا نحن ـ اصحاب القضية ـ كنا نائمين ، وطال نومنا ، وعندما هبت الامة العربية في السادس من تشرين لتحرير ارضها واسترجاع حقها استفاق المجتمع الدولي ، كما فوجئت دولة الاحتلال بهذه الصدمة القوية.

ولعل ابرز النتائج السياسية على الصعيد الدولي :

١ ـ كان اهم تأثير لحرب تشرين من وجهة النظر العالمية هو ذلك التأثير المتعلق بالقوتين العظيمتين (الاتحاد السوفييتي ـ الولايات المتحدة الاميركية) فكل منهما كانت في وقت ما خلال حرب تشرين تواجه احتمال ان الجانب الذي تسانده قد يهزم ، واتخذت موقفا صارما وايجابيا لمنع وقوع كارثة لنفوذها ومكانتها ومصالحها في المنطقة ، .. ويذكر بان الرئيس الامريكي (نيكسون انذاك) قد امر باستنفار القواعد العسكرية لحلف الاطلسي وغيره ..

٢ ـ كانت لنتائج حرب تشرين أثارها الكبيرة في تاريخ العلاقات الدولية . فالى جانب استرداد العرب لكرامتهم ومكانتهم الدولية فقد استردت الكثير من دول عدم الانحياز ودول العالم الثالث مكانتها هي الاخرى .

٣ ـ اوضحت حرب تشرين لكل دول وشعوب العالم انه لايمكنها البقاء بعيدا عن تأثير الصراع في الشرق الاوسط ، وهذا مالمسته كافة دول العالم .

٤ ـ ابرزت حرب تشرين الى حد ما احتمالات تسوية سلمية

وعجلت في تلك الاحتمالات بحيث اصبحت عواصم الشرق الاوسط تشهد نشاطا سياسيا مكثفا بعد حرب تشرين .

٥ ـ اعطت حرب تشرين للعالم درسا مستفادا وهـو : اذا ماتفجر الصراع العربي الاسرائيلي من جديد ومال الى الاتساع فقد لايكون من المبالغة القول : ان قضية الشرق الاوسط ستؤدي الى كارثة عالمية .

٦ ـ ان العالم ونتيجة لحرب تشرين تحرك من حالة عـــدم اتخاذ قرار عادل نتيجة للتضليل السياسي والاعلامي الصهيوني ـ الامبريالي الى حالة التقدير التام للجوانب الحقيقية للقضية . وقد تراجع ذلك المفهوم الذي سيطر على الراي العام العالمي خلال فترة الستينات .

٧ ـ ان فتح قناة السويس كان احدى نتائج حرب تشرين ومن المعلوم ان لهذهالقنال اهميتها الدولية الكبرى .

٨ ـ كان من نتائج حرب تشرين انها كسرت احتكار الولايات المتحدة لقضية الشرق الاوسط . واثبت الاتحاد السوفييتي ان له وزنه في الصراع العربي ـ الاسرائيلي بعد ان بقيت الولايات المتحدة وحيدة في الساحة طيلة السنوات ما بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ .

٩ ـ احدثت الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل تبــدلات جذرية في الساحة الاوروبية وذلك لقرب اوروبا منالشرق الاوسط، ولاعتمادها اعتمادا رئيسيا على البترول العربي وما الحوار العربي ـ الاوروبي الذي تشهده الساحة السياسية الا نتيجة من نتائج حرب تشرين .

١٠ ـ احدثت حرب تشرين تطورا وثورة في الدول الافريقية حيث بلغت الذروة ، وكانت الدول الافريقية الى ماقبل حرب تشرين

هي نفسها هدفا لنفس الدعاية المنحازة لطرف واحد ، فاصبحت كل افريقيا طرفا في المشكلة (قطعت ٢٩ دولة افريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل) وقف الافريقيون بصلابة وراء المبدأ ، وكانت منظمة الوحدة الافريقية حاسمة في ادانتها لاسرائيل .

١١ ــ اعطت حرب تشرين دفعا قويا للشعوب المستهدفة والمستضعفة في العالم وبخاصة لدول العالم الثالث .

١٢ ــ لقد ادركت الدول الصناعية بعد حرب تشرين انه لم يعد بمقدورها ان تتحكم في امور السياسة الدولية وفقا لاهوائها ومصالحها منفردة وبمعزل عن الدول الاخرى عندصياغة قراراتها .

١٣ ــ كانت حرب تشرين محكا هاما لموقف دول العالم من قضيتنا . ولقد كانت الدول الاشتراكية ــ وعلى راسها الاتحاد السوفييتي الصديق المخلص والساند الامين ــ لانهارات فيناا صحاب حق ناصع يدافعون عن قضيتهم العادلة .

١٤ ــ لقد اتخذت دول عدم الانحياز وحركات التحرر في العالم ــ اثناء حرب تشرين ــ مواقف مستمدة من طبيعة نزعتها التحررية اي موقف التأييد المطلق والمساندة الكاملة للنضال العربي العادل ــ كما أن المؤتمر الاسلامي الذي عقد في لاهور كانت له مواقفه الايجابية من قضايانا العادلة .

١٥ ــ لقد شعرت الولايات المتحدة بعد الايام الاولى لحرب تشرين ان اسرائيل غير قادرة على حماية نفسها بدون تدخل امريكا بكل طاقاتها وثقلها ، فكيف تستطيع والحالة هذه ان تكون حارسة المصالح الامريكية في المنطقة . . وهكذا اهتزت الصورة ــ صورة اسرائيل ــ في ذهن كل امريكي .

١ ــ هذه النتائج كتبت قبل زيارة السادات الخيانية للقدس المحتلة وقبل انعقاد مؤتمر معسكر داوود .

الاستراتيجية العربية والاستراتيجية الاسرائيلية :

ا ـ مفاهيم الاستراتيجية :

ب ـ اهداف الاستراتيجية :

ان كلمة الاستراتيجية اصبحت من اكثر التعابير الشائعة التي يتداولها الناس على كافة مستوياتهم ومعظمهم يجهل المعنى الحقيقي لهذه الكلمة . وتعود اسباب هذا الجهل لكون الاستراتيجية كانت لفترة طويلة من الزمن : علم وفن كبار القادة ، ولم تكن تشغل اهتمام الا فئة قليلة من الناس ،ثم انتقلت معرفتها من جيل الى جيل ، واصبحت من اكثر التعابير شيوعا في الصحافة والاذاعة وعلى السنة المثقفين والمهتمين بالقضايا القومية والوطنية ، وبخاصة في هذا المنعطف التاريخي الخطير الذي تمر به الامة العربية اليوم .

ــ وقبل الولوج في مفهوم او مفاهيم الاستراتجية لابد من الوقوف على ظاهرة الحرب . هذه الظاهرة قديمة منذ ان وجد الانسان ، ولقد تطورت اشكالها عبر القرون :

ا ــ فالحرب في الماضي كانت صراعا مسلحا يدور بين (جيشين صغيرين محترفين) فوق بقعة محدودة من الارض ، وكان يسير امورها ويعلنها (اعلى المستويات) السياسية والعسكرية . دون ان يكون للشعوب الحق في تسيير امورها .

ب ــ والحرب اليوم اصبحت شاملة تشمل كل جوانب النشاط الانساني : الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمعنوية

بمعنى انه يشترك بها كل مواطن ، وتؤثر على كل بيت،ويشترك فيها كل مصنع وكل حقل وكل مزرعة .

ج ـ لقد ادى اختراع المدرعات والطائرات وغيرها من المخترعات العلمية الى اندلاع حرب من نوع جديد هي ـ الحروب الميكانيكية ـ التي نقلت المعركة من جبهة القتال ـ الخطية ـ الى جبهة تشمل كامل البلاد طولا وعرضا ، وتصيب بويلاتها المدنيين والعسكريين على حد سواء .

د ـ ادى ظهور الافكار الايديولوجية الجديدة التي تستعيض عن السلاح والعتاد الحربي الثقيل والحديث بالاسلحة ـ الفكرية ـ التي تعتمد على الجراة والايمان والتلاحم المعنوي والعقائدي المطلق بين الشعب وحكومته ادى الى ظهور حرب من نوع جديد هي ـ الحرب الشعبية الثورية الشاملة ـ التي تجعل من كل شبر من البلاد حقل معركة ، ومن كل مواطن مقاتلا يحمل السلاح ، ومن كل موجة اذاعة خنجرا يصيب قلب العدو .

هـ ـ واخيرا ظهرت الى الوجود ـ القنابل الذرية التكتيكية والاستراتيجية والصواريخ الموجهة واقمار التجسس الصناعية الخ . ـ الامر الذي جعل الهلاك قدرا يصيب كل مرافق ومدن المتحاربين بالدمار والفناء .

ـ مما تقدم نستطيع الوصول الى الحقائق التالية عن الحرب:

١ ـ ان الحرب اصبحت قضية الامم والشعوب لا قضية الساسة والقادة العسكريين .

٢ ـ اصبح مسرح الصراع المحدود مسرح صراع بلا حدود .

٣ ـ اصبحت الحرب فنا تناقش قضاياه واموره في كل شارع وفي كل بيت .

٤ ـ واصبحت تعابير ـ الاستراتيجية ـ والعمليات والتكتيك ـ والحرب الشعبية وحرب العصابات الخ . ـ تتردد على كل لسان.

ماهو مفهوم الاستراتيجية ؟

هل هناك استراتيجية واحدة تطبق في كل زمان ومكان ؟

يرى المفكر الاستراتيجي الجنرال ـ اندريه بوفر ـ وهو فرنسي الجنسية ومشهور في مجال الدراسات الاستراتيجية يرى ان الاستراتيجية ليست عقيدة واحدة جامدة ولكنها اسلوب في التفكير ويرى ان لكل موقف استراتيجية تتلاءم معه فاذا ماطبقت استراتيجية موقف على موقف اخر غدت فاشلة ، وادت الى وقوع كارثة .

ويقدم لنا المفكر العسكري البريطاني المشهور ليدل هارت تعريفا للاستراتيجية فيقول : « الاستراتيجية هي فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة » .

ويرى المفكر العسكري ـ اندريه بوفر ـ ان هذا التعريف ضيق لانه لا يتعلق الا بالقوى العسكرية فقط . ويفضل ان تعاد صياغة هذا التعريف لتصبح : ـ الاستراتيجية هي فن استخدام القوة للوصول الى اهداف السياسة ـ

وهذا التعريف الاخير يحمل في طياته عيبا لاقتصاره على ـ الفن العسكري ـ عامة . لذا يجب تقسيم الفن العسكري الى ثلاثة اقسام :

استراتيجية ـ وتكتيك ـ وشؤون ادارية .

فما هي الاستراتيجية اذن ؟

ــ هل هي : الجزء الالهي .

كما قال نابليون ؟ ام هي لمعة من لمعات العبقرية ؟

ويرى الجنرال اندريه بوفر : ان الاستراتيجية سواء كانت الهية ام لمعة من لمعات العبقرية فانها يجب ان تخضع لعاملين اساسيين هما : الفكر والعقل .

يستخلص هذا الفكر الاستراتيجي تعريفا للاستراتيجية مستندا الى قول الجنرال الفرنسي (فون) :

ــ ان الاستراتيجية هي اللعبة المجردة الناجمة عن تعارض ارادتين . او هي الفن الذي يسمح بالسيطرة على معضلات كل صراع . فهي اذن :

فن حوار القوى . او بالاحرى : فن حوار الارادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها .

والاستراتيجية واحدة في هدفها واسلوبها . ولكنها تنقسم خلال التطبيق الى مجموعة من الاستراتيجيات المتخصصة تصلح كل منها لحقل خاص من حقول النزاع فقط . ففي كل حقل من حقول النزاع استراتيجية خاصة . فالاستراتيجية البحرية ، تختلف عن الاستراتيجية البرية والاستراتيجية البرية تختلف هي بدورها عن الاستراتيجية الجوية الخ .. وهكذا نجد انفسنا امام هرم حقيقي من الاستراتيجيات المتباينة .

ويرى (أندريه بوفر) ان :

الاستراتيجية الشاملة تقع في قمة هذه الاستراتيجيات ، وهذه الاستراتيجية تخضع مباشرة لارادة الحكومة اي للسياسة

وهذه الاستراتيجيــة هي التي تحدد المهمــة الخاصة لمختلف الاستراتيجيات العامة : السياسية والاقتصـادية والعسكريـة والدبلوماسية وتؤمن توافقها ، اما ليدل هارت المفكر العســكري البريطاني فيسمي هذه الاستراتيجية **بالاستراتيجية العليا** .

والامريكيون يطلقون عليها : الاستراتيجية الوطنية .

اما الاستراتيجية من وجهة نظر السوفييت فهي : جملـة معارف علمية عن قوانين الحرب كصراع مسلح من اجل مصالـح طبقية محدودة . وهذا هو التعريف الماركسي للاستراتيجيـة وتنطلق العقيدة الماركسية اللينينية في تعريفها هذا للتأكيـد بأن : الحرب ليست هدفا بحد ذاتها ، فالحرب اداة للسياسة .

اهداف الاستراتيجية

ـ ان هدف الاستراتيجية يمكن استنتاجه من خلال ماتقـدم الا وهو : الوصول الى اهداف حددتها السياسة مع اســتخدام الوسائل المتوفرة افضل استخدام . وقد تكون الاهداف :

ا ـ اهداف هجومية : كاحتلال ارض ـ او اجبار الخصم على قبول شروط مجحفة .

ب ـ اهداف دفاعية : حماية ارض الوطن .

ـ غير ان الصهيونية جعلت الحرب هي الاصل ، والسياسة هي الفرع كما جعلت السياسة امتدادا للحرب واداة لها ، وهـذا التفكير يناقض كافة الافكار الاستراتيجية في كل دول العالم . قال بن غوريون الارهابي الصهيوني المعروف بعيد العدوان الثلاثي على مصر العام ١٩٥٦ :«لقد اثبتنا قوتنا في عمليات سيناء اما الان فعلينا ان نبرهن للعالم اننا على حق » . الحرب اولا ثم ياتي دور السياسة

وهذا ما يؤكد هدف الاستراتيجية الصهيونية العدوانية المؤمنة بحتمية الحرب . وبالتالي لم يكن حوار اسرائيل مع العرب منذ وجودها وحتى الان الا حوار السلاح .

الاستراتيجية الاسرائيلية وابعادها

ـ في السادس عشر من حزيران ١٩٦٧ وبعيد العدوان صرح (ابا ايبان) وزير خارجية اسرائيل امام وكالات الانباء بالتالي :

« حتى لو صوتت الامم المتحدة بـ ١٢١ صوتا ضد صوت واحد ، فلن ننسحب من الاراضي التي نحتلها » .

ـ وفي العام نفسه صرح موشي دايان امام الكنيست « علينا النظر الى مواقع العام ٦٧ والى خريطة العام ١٩٦٧ . نحن لا نحتاج الى حدود دائمة فقط بل نحتاج الى حدود تضمن السلام ، والسلام لايعتمد على الامة العربية وحدها ، بل على نوع الحدود التي تكون لاسرائيل .. ليس عندنا متسع لمليون من النازحين العرب داخل حدود اسرائيل » .

ـ ان اي مطلع واي مراقب لتطورات الاحداث طيلة السنوات التي اعقبت انشاء اسرائيل يحار في امر قادة اسرائيل . لقد اتصفت السياسة العامة لدولة اسرائيل بـ « ازدواجية الهدف » . فقد دابت هذه السياسة على ان تعلن دوما عن هدف ياتي الاول في سلم الافضليات في الوقت الذي يكون الهدف (الاهم) مختفيا ، تعلنه بعد تحقيق الهدف الاول والمراقب لطبيعة الاستراتيجية الاسرائيلية ومنطقها الخاص فيمايتعلق بقضية الحدود المنشودة ، تطالعه اوجه الشبه بين مطالب الصهيونية منذ قيامها ، وبين مطامع اسرائيل منذ انشائها : فقد درجت الصهيونية الرسمية على رفع

شعار « الحدود الشرعية » او ماتسمى حدود « الوطن الـــذي يضمنه القانون العام » .

ــ وحين صدر قرار التقسيم اقدمت الصهيونية على احتلال المزيد من الارض العربية متذرعة برفض العرب لقرار التقســـيم تارة ، وطورا بزعمها ان الدول العربية خرقت قرار التقسيم .

ــ وحين تم التوصل الى وقف اطلاق النار ، وجرى التوقيــع على اتفاقيات الهدنة بدات نغمة جديدة تظهر على لسان القـــادة الاسرائيليين تتحدث عما يسمونه بـ « حدود الدولة » التي قامت على جزء من ارض (اسرائيل الموعودة) وعن « حدود الامة » التي يجب ان تاتي مطابقة للحدود التاريخية المقدسة .

ــ وهكذا عكفت الاستراتيجية الاسرائيلية على التارجح المتعمد بين شعاري : « الحدود الشرعية » و (الحدود الامنة) التي تضمن لها السلام والاستقرار ،وتحمي عملية البناء الصهيوني القائم على انتظار مناسبات التوسع .

ــ وبعد عدوان الخامس من حزيــران ١٩٦٧ ، ارتفعـــت الاصوات في اسرائيل مطالبة بـــ حدود امنة ودائمة ــ بينما راحت السلطات العسكرية تقيم المستعمرات في مناطق استراتيجية مـــن الضفة الغربية وفي مرتفعات الجولان ، والعريش وقطاع غزة ، وقد اقيمت تلك المستعمرات وفقا لاستراتيجية التوسع التي تســـير عليها اسرائيل .

ــ غير ان الشعار الجديد الذي رفعته السياسة الاسرائيلية في الفترة التي اعقبت عدوان حزيران ١٩٦٧ تحـــول فجـاة الى شعار المطالبة بـــ الحدود المقدسة ــ . وهكذا نرى ان الاطمـاع

التوسعية الصهيونية تستخدم الشعارات الثلاثة المذكورة : بالمداورة احيانا ، وبالاندماج في احيان اخرى. وهناك فتوى ــ دينية ــ لايمكن فصلها عن مدلولها السياسي ، على الصعيدين : الداخلي والخارجي. هذه الفتوى : تكفر كل يهودي يقبل باخلاء شبر واحد من الاراضي المحتلة وذلك لان شعار ــ الحدود المقدسة ــ الذي يلتقي مع الشعارات السياسية يعتبر جميع الاراضي المحتلة واقعة ضمن ارض ــ الميعاد ــ .

ــ الخطوط العامة للاستراتيجية الاسرائيلية :

تستند الاستراتيجية الاسرائيلية على ثلاث مرتكزات اساسية لتنفيذهـــا وهي :

١ ــ التخطيط ــ ٢ ــ الوسيلة ــ ٣ ــ الغاية

١ ــ التخطيط : المخطط الاساسي لهذه الاستراتيجية ، تقوم به : المنظمة الصهيونية العالمية وهيئاتها واجهزتها المختلفة في جميع انحاء العالم .

٢ ــ الوسيلة : وتنحصر في : العمل الدعائي ــ والعمـــل العسكري وتعتبر اسرائيل هي اداة العمل العسكري .

٣ ــ الغاية : خلق وطن قومي للشعب اليهودي او ما يسمونه بـ ــ اسرائيل الكبرى ــ

السمات الرئيسية للاستراتيجية الاسرائيلية

يحرص القادة الاسرائيليون لكي تصل استراتيجيتهم الـى اهدافهـــا على :

اولا : التفوق العسكري الاسرائيلي ، والاحتفاظ بقوة مسلحة متفوقة لتكون الاداة والوسيلة .

ثانيا : التوسع الجغرافي التدريجي على حساب الارض العربية مرحلة بعد مرحلة .

ثالثا : اضعاف العرب ، والعمل على بث الخلاف والتفرقة بين الدول العربية واستنزاف الطاقات العربية .

رابعا : ارتباط اسرائيل ارتباطا استراتيجيا بقوى دولية كبرى كحليف مضمون يكون المرتكز القوي لتحقيق اهدافها التوسعية .

ومن الملاحظ ان اسرائيل كانت ترتبط بدولتي بريطانيا وفرنسا منذ مطلع هذا القرن وحتى العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ كحليف مضمون بغية تحقيق مخططاتها المرسومة خطوة بعد خطوة . وبعد العدوان الثلاثي وجدت الصهيونية في الولايات المتحدة الحليف الاقوى والاكثر ضمانا وانسجاما فكانت هذه الاخيرة الحليف المضمون لتنفيذ المخططات الصهيونية والامبريالية معا جنبا الى جنب .

ـ ونظرة واحدة الى معطيات الاستراتيجية الاسرائيلية وبخاصة : وضع اسرائيل الجغرافي بين الدول العربية ـ والوضع البشري اذا ما قيس بالوضع العربي المقابل وعدم قدرة اسرائيل على تحمل حرب طويلة الامد ـ اضافة الى بروز الشاهد الحي ، وهو الشعب الفلسطيني يجعل القادة الاسرائيليين يعلمون مقاتليهم : ان اسرائيل لن تحارب الا مرة واحدة لان الهزيمة في اسرائيل لاتعني سوى شيئا واحدا هو الزوال. ونتيجة للمعطيات السابقة فقدكونت اسرائيل ما اسمته بـ ـ نظرية الامن الاسرائيلي ـ . وهذه النظرية تستند الى اسس ثلاث تعتبر الضمانة الوحيدة لاستمرار اسرائيل :

ا ـ التاكيد على الحدود الامنة .

ب ـ امتلاك القوة المسلحة المتفوقة واستخدامها للـــردع وشن الحرب الوقائية .

جـ ـ الارتباط الاستراتيجي بقوة دولية تكفل لها ولاهدافها التوسعية التامين والحماية .

ـ ان معنى مفهوم الامن في اسرائيل هو في ـ ان تكون او لاتكون ـ وهي المشكلة الاولى منذ نشأتها . وان مفهوم الامن كما يتصـور البعض لا يعني في نظر القادة الاسرائيليين الدفاع عن رقعة معينة من الارض وحسب ، بل يعني ايضا الحصول على مجال للمناورة في الارض العربية ـ ان الامن يعني ايضا انشاء المزيد من المستعمرات فوق الاراضي المحتلة .

النتائج العسكرية لحرب تشرين

ـ اذا كانت معاهد الدراسات العالمية قد عنيت بالدراسات وبالنتائج الحاسمة لحرب تشرين في كافـة المجالات السياسيـة والاقتصادية والتكنولوجية والحضارية ، فقد اعطت للجانـــب العسكري وزنا خاصا ونصيبا اوفر من الدراسة والتحليل والاهتمام الدولي . ـ لقد حلل الجنرال ـ جـــورج بوى ـ مدير معهـد الدراسات الاستراتيجية الفرنسي الاستراتيجية العسكرية لحرب تشرين وآثارها على الاستراتيجية الدولية متناولا كافة المعطيـات الاستراتيجية المحلية الناجمة عن حرب تشرين ، موضحا مدى التغير في استراتيجية القوتين العظيمتين ـ الاتحـــاد السوفييتي والولايات المتحدة ـ في ضوء المعطيات الجديدة .

ـ وتحدث الجنرال ـ انتوني فارارهوكلي ـ مدير تطويـــر القتال في الجيش البريطاني عن الاستراتيجية العسكرية لحــرب تشرين واثرها على الاستراتجية العالمية .

ــ اما المحللون العسكريون الامريكيون فقد أولوا نتائج حرب تشرين العسكرية اهمية كبرى في الدراسة والتحليل وآثارها على مجمل النظريات العسكرية ليس على المستوى المحلي لمنطقة الشرق الاوسط وحسب بل على المستوى العالمي :

يقول الكولونيل ــ تريفور . ن. ديبوى ــ المجلل العسكري ــ ان الاستنتاج الطويل الاجل سوف يخيب امال اصدقائي الإسرائيليين . فان تحليلي للقتال الذي جرى في الحرب العالمية الثانية يدل على ان الالمان كانوا متفوقين على الروس في الكفاءة القتالية حتى ١٩٤٤ بنسبة تصل الى ١٣٥٪ وربما تقرب من ١٩٠ وكذلك فان تحليلي لم يستكمل بعد لحرب الايام الستة (عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧) ولكن يبدو ان الاسرائيليين كانوا متفوقين بنسبة ١٠٠الى١٥٠٪ في العام ١٩٦٧ غير ان نسبة التفوق اقل من١٠٠٪في حرب تشرين العام ١٩٧٣ . واننا نعلم انه في الحرب العالمية الثانية رغم التباين الهائل بين قدرات الروس وقدرات الالمان استطاع الاتحاد السوفييتي بفضل استخدامه لميزة التفوق في القوة البشرية وبفضل المثابرة برغم الهزيمة استطاع في النهاية ان يهزم الجيش الالماني الذي كان متفوقا عليه من الناحية النوعية وهذا المثل ــ والكلام لايزال للمحلل الامريكي ــ يجعلني اعتقد انه يتعين على الاسرائيليين ان يسعوا الى سلام دائم ، وهم لايزالون متفوقين من حيث النوعية العسكرية . فاذا ما انتظروا طويلا فقد يكون الوقت متاخرا جدا » .

ــ ونحن ــ العرب ــ الذين ذاقوا مرارة العدوان في العام ١٩٦٧ لاننفي مطلقا مدى تقصيرنا وقصورنا بحيث لم تكن لدينا رؤية استراتيجية واضحة ، ولا تعبئة عربية مدروسة توازي حجم

الكوارث التي حلت بالامة العربية قبل حرب تشرين التحريرية حتى ولم نستطع استخلاص **الدروس المستفادة من تجارب الشعوب** والامم ونضالاتها سواء في الحرب العالمية الثانية او ما بعد الحرب العالمية الثانية كما اننا لم نتمكن من **اكتشاف ذواتنا** الا بعد معارك تشرين التحريرية .

ـ واعود الان الى الكولونيل الامريكي (تريفور . ن . ديبوي) في كلمة له وجهها في تعليقاته الى العرب : « .. اود ان اسوق نصيحتي مخلصة لاصدقائي العرب مثل النصيحة التي سبق ان قدمتها مؤخرا الى اصدقائي الاسرائيليين في القدس : لا تحاولوا التقليل من شان عدوكم الذي اثبت انه جندي واسع الحيلة ذو كفاءة فاذا ادركتم مدى قدراته ، فلن تشعروا بالخجل اذا لم تستطيعوا احراز نجاح ضده وفي الوقت نفسه فان الاعتراف بقدرات العدو يزيد من قيمة انتصاركم عند احراز النجاح » .

ـ وتحضرني الان كلمة للجنرال الفرنسي (بوفر) ذلك الاستراتيجي الكبير حيث يقول عن معارك الجولان : « ان القتال في الجولان كان اشبه (بمناطحة التيوس) او الالتحام المستمر للقوات المتحاربة ولقد برهن على عناد القيادة السورية وتصميمها واعطى مثلا رائعا وبطوليا عن الجندي السوري » .

ـ ويقول (الليفتنات جنرال ستيح لوفجرين) السويدي : (لقد دعم انتصار الاسرائيليين الخاطف المذهل في ١٩٦٧ فكرتهم عن تفوقهم العسكري ، وسد الطريق امام التقييم الموضوعي غير المتحيز لتجارب الحرب ، وامام التحليل الثاقب للمتطلبات التي يفرضها الموقف الاستراتيجي الجديد على السواء . ويبدو ان الاسرائيليين وقعوا فريسة للاعتقاد في التفوق على من يريدون الانتصار عليه .

اما العرب فقد ارغموا بهذه الهزيمة الساحقة على اخضاع انفسهم لفحص ذاتي ويتابع الجنرال قوله :

«الاسلحة الجيدة لاشك لها اهميتها . ولكنها ليست العنصر الحاسم في القتال ، اما الشيء الحاسم حقا فهو الرجل الذي خلف السلاح ، والضابط الذي يتحكم في الجهاز ويقود الوحدات . ومرة اخرى اثبتت حرب تشرين ان العنصر البشري هو الفيصل الحاسم في المعارك » . .

المستوى الاستراتيجي العربي :

ا ــ انتقال العرب من مرحلة الدفاع الاستراتيجي الى مرحلة الهجوم الاستراتيجي .

ــ ترى معظم معاهد الدراسات الاستراتيجية في العالم ، والمراقبون والمحللون العسكريون أن حرب تشرين كانت نقطة تحول حاسم في الصراع العربي ــ الاسرائيلي ــ ، وانه بغض النظر عن كل المتغيرات الاخرى التي ولدتها حرب تشرين فان العرب قد تحولوا من : مرحلة الدفاع الاستراتيجي التي استمرت حتى معارك تشرين الى مرحلة الهجوم الاستراتيجي ولاول مرة في التاريخ المعاصر كما ان الاسرائيليين قد اجبروا للانتقال من الهجوم الاستراتيجي الى الدفاع الاستراتيجي ، ولاول مرة منذ انشاء الكيان الصهيوني فوق الارض العربيــة .

ب ــ ركائز الانتقال الى مرحلة الهجوم الاستراتيجي :

ــ يرى بعض المراقبين والدارسين ان الاستراتيجية العربية في حرب تشرين قد ركزت للاستفادة من نقطتين اساسيتين هما :

١ ـ نقاط القوة التي وصل اليها القطران العربيان السوري والمصري ومن ورائهما الامة العربية .

٢ ـ نقاط الضعف لدى العدو الاسرائيلي والتي تجلت بـ :

أ ـ القوى البشرية الاسرائيلية المحدودة .

ب ـ الغرور والغطرسة الاسرائيلية .

جـ ـ وقوع الاسرائيليين فريسة الشعور بالتفوق ، والخطأ في تقدير قدرات عدوهم العربي .

والحقيقة ان الاستراتيجية العربية التي واجهت بها الامة العربية عدوها في تشرين كانت تعتمد على اسس وركائز اخرى لاتقل اهمية عن الركائز السابقة ولعل ابرز هذه الركائز :

١ ـ بناء القوة الذاتية (الاقتصادية والعسكرية والجبهة الداخلية) في كل من القطرين اللذين اتخذا قرار المعركة .

٢ ـ توفر القائد الشجاع حافظ الاسد الذي تحمل مسؤولية اتخاذ القرار الحاسم بعد ان افتقدته الجماهير العربية زمنا طويلا .

٣ ـ تهيئة الجو عالميا لصالح القضية العربية .

٤ ـ التصميم على الخروج من حالة اللاحرب واللاسلم التي لعبت باعصاب الجماهير العربية سنوات عدة مهما كانت النتائج .

٥ ـ اعتبار المعركة معركة قومية اي معركة كل الامة العربية بكل طاقاتها البشرية والعسكرية والاقتصادية الخ .

٦ ـ الايمان المطلق بعدالة القضية العربية : تاريخيا ـ وانسانيا ـ وقانونيا ـ وحضاريا .

٧ ـ حرمان العدو من مزايا توجيه الضربة الاولى كما فعل في

عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ وذلك بتوجيه الضربة الاولى والمفاجئة للعدو .

اما النتائج الاستراتيجية على المستوى العربي فقد كان اهمها :

١ ــ لقد انتزع العرب لاول مرة زمام المبادرة من عدوهم الاسرائيلي ..

٢ ــ لاول مرة في الصراع العربي ــ الصهيوني ينتقل العرب من الدفاع الاستراتيجي الى الهجوم الاستراتيجي .

٣ ــ حطمت حرب تشرين نظرية الامن الاسرائيلي واهدرت نظرية الحرب الوقائية وكانت تحديا صارخا للمذهب العسكري الاسرائيلي .

٤ ــ اظهرت قدرة العرب على خوض حرب طويلة الامد .

٥ ــ حقق العرب المفاجاة في حربهم رغم التطور الهائل في ظل وسائط الاستطلاع والمخابرات الحديثة لعدوهم .

٦ ــ اثبتت حرب تشرين ان العامل البشري هوالعنصرالحاسم في القتال .

٧ ــ ان هجوم الجيشالسوري والمصري على جبهتيناجبر العدو على تشتيت قواته وبالتالي تفتيت جهوده الدفاعية .

٨ ــ ضخامة الاستهلاك في الاسلحة والذخائر والمعدات لكلا الطرفين المتحاربين .

٩ ــ قضت حرب تشرين على حالة التفوق النوعي للجندي الاسرائيلي .

١٠ ـ يقول البريجادير جنرال ـ كينت هنت ـ من الجيش البريطاني في تعليقه على حرب تشرين : ـ ان الهجوم السوري المنسق على المنطقة الضيقة جدا شمال الجليل قد شكل تهديدا حيويا لاسرائيل . ونتيجة لذلك كان على اسرائيل أن تمنحه الاولوية الاولى على الاقل فيما يتعلق بالقوات الجوية . ـ وهذا الامر قد تطرق اليه موشي دايان وزير الحرب الصهيوني انذاك عندما قال : ـ اوقفوا هذا الوباء السوري ـ

١١ ـ لم تحقق حرب تشرين نجاحا عسكريا حاسما من قبل اي من الطرفين المتصارعين .

١٢ ـ حققت حرب تشرين مبدا الخداع على المستوى الاستراتيجي ، وسارت خطة الخداع المرسومة بشكل متواز على المستويين الاستراتيجي والتكتيكي جنبا الى جنب مع خطة العمليات، وجرى العمل بها وبنجاح ملموس على كافة المستويات .

١٣ ـ اثبتت معارك تشرين ضرورة انشاء قاعدة صناعية حربية للامة العربية بحيث تتمكن من مواصلة المعركة بمخزون كاف من السلاح .

النتائج العسكرية على المستوى التكتيكي العربي

١ ـ أثبتت حرب تشرين ان العنصر الحاسم في القتال هو العنصر البشري وان نجاح اي معركة يتوقف بالدرجة الاولى على اعداد المقاتل : فكريا وجسميا ومعنويا . صحيح أن الاسلحة الحديثة لها اهميتها ودورها غير أن العنصر الحاسم والفيصل يبقى الانسان ..

٢ ـ اظهرت حرب تشرين وبشكل علمي على جبهتي الجولان

وسيناء مدى سيادة وفعالية الدبابة للمعارك في الحرب المقبلة ، واوضحت عنف وحدة الصراع بين الدبابة والسلاح المضاد لها الـ م د .

٣ ــ كما اظهرت معارك تشرين مدى الصراع بين الطائرة من جهة والصواريخ الموجهة المضادة للطائرات من جهة ثانية ومــدى فعالية الصواريخ التي كان لها اثر كبير في تبديل موازين القــوى حيث كسرت العصا الطويلة التي كانت تلوح بها اسرائيل وتطال بها اي مكان تشاء من الارض العربية قبل حرب تشرين .

٤ ــ وعلى المستوى التكتيكي اثبتت حرب تشرين انه بالامكان التغلب على اقوى الدفاعات المحصنة وعلى اعقد المــوانع المائية ، حيث استطاعت كتائب الاقتحام في الجيش العربي المصري في الجبهة الغربية من عبور القنال ذلك المانع المائي الكبير وبالتالي تحطيــم خط ــ بارليف ــ الاسطــورة المهشمة .

٥ ــ ابرزت حرب تشرين فعالية ودور الانزالات الجويــة وبخاصة في جبل الشيخ وتل الفرس وفي صحراء سيناء .

٦ ــ أعطت حرب تشرين معدلات قياسية عالمية في مجالات التكتيــــك :

ا ــ في المجال الجوي :

اعطى الطيارون العرب ببسالتهم وثقتهم بانفسهم وكفاءتهــم القتالية العالية معدلات قياسية عالمية سواء في المجال القتالي الجوي او عدد الطلعات او في تغطية القوات البرية المهاجمة ودعم اعمالهــا القتالية أو في مهمات الانزال الجوي او في نقل العتاد والافــراد والمؤن او في التجهيز الفني واعداد الطائرات للاقلاع .

أ ــ في مجال القتــال الجــوي : قامت القوى الجويــــة في

سورية وفي الجبهة الشمالية بحوالي ست الاف طلعة خلال حــرب تشرين التحريرية اضافة الى عشرات الطلعات الليلية .

ب ــ وفي مجال الاشتباكات مع طيران العدو : نفذ الطيران السوري ما يقارب من الـ ٧٠ اشتباكا جويا وكانت نسبة خسارة الطيران الاسرائيلي $\frac{٣}{٢}$ اي ثلاث طائرات اسرائيلية تقابلها طائرتان سوريتان .

ج ــ بلغ عدد طلعات الطيران السوري خلال معارك تشرين حوالي ثمانمائة طلعة للدعم الجوي اضافة الى عشرات الطلعــات للدعــم النــاري .

د ــ استطاع العديد من الطيارين السوريين وبطائرة الميغ ــ ٢١ ــ وفي اشتباكات جوية حامية ان يلفوا اسطورة الفانتوم ــ الشبح المخيف ــ ولا ادل على ذلك من البطولات التي سطرها هؤلاء حيث استطاع الطيار الواحد في اشتباك واحد وطلعة واحدة أن يسقط اكثر من طائرة او طائرتين معاديتين .. وحتى طائرة الميغ ــ ١٧ ــ فقد تحدى بها الطيار السوري طائرة الميراج المتفوقة وطائرة الفانتوم المعروفة واسقطها .. اذن فقد اعطى هؤلاء الطيارون السوريون معدلات قياسية عالمية واسطورية في حرب تشريــن .

هـ ــ استطاع المهندسون والفنيون الجويون من تحقيق ارقام قياسية حيث خرقوا الدقائق الزمنية المألوفة في اعداد واصــلاح وتجهيز الطائرة واعطوا الامثولة الرائعة في هذا المجال وفي اعادة الملء بالوقــود والذخيرة للطائرات .

و ــ اما الكفاءة العالية التي ظهر بها مهندسو المطــارات ووحدات انشاءات المطارات فقد اعطت الرقم القياسي الدولي في سرعة

اصلاح المهابط والممرات والمدرجات وردم الحفر وازالة القنابل فقد كان الطيار يقلع من المطار في الوقت الذي كانت القنابل المعادية تدمر المهابط ويعود الطيار ليجد كل شيء في المطار مسوى وصالحا للهبوط والاقلاع .

ز ـ وفي مجال الانزالات الجوية : فقد اعطت القوى الجوية دروسا تكتيكية عالمية في هذا المجال . فالانزال الجوي الذي تم في اليوم الاول من حرب تشرين على المرصد المعادي المحصن في جبل الشيخ يعتبر قمة الاعمال التكتيكية في مجالات الانزال الجوي من حيث الاعداد والتنفيذ ـ وكذا الامر في الانزال على تل الفرس وكفر نفاخ ومزرعة بيت جن .

ح ـ وفي مجال نقل العتاد والافراد والمؤن ومهمات البحث والانقاذ طوال ايام الحرب فقد كان في قمة النجاح التكتيكي من حيث الدقة في الامداد والتنفيذ والسيطرة والوقت والمرونة

ب ـ في مجال الدفاع الجوي

ـ في الحقيقة وانطلاقا من الوقائع التي قدمتها معارك تشرين ، وادلى بها الكثيرون من المعلقين العسكريين ولا تزال مجال بحث وتعليقات ومناقشات فان الانسان ـ اي انسان ـ لا يستطيع الا ان يقف اكبارا امام عظمة وبطولات سلاح الدفاع الجوي في سورية ويحضرني الان ما قاله احد المعلقين العسكريين واورده بالحرف الواحد « لقد اوقع سلاح الدفاع الجوي صدمة نفسية قاسية اصابت قيادة السلاح الجوي الاسرائيلي وطياريها وخلخلت واحدثت اهتزازا عنيفا في ثقتهم بأنفسهم .. »

ـ قلائل اولئك الذين يعلمون ان العتاد الحديث المتطور « الصواريخ المضادة للطائرات » لم يصل الى ايدي مقاتلي الدفاع

الجوي الا قبل الحرب بثلاثة اشهر فقط . فقد كان على قيـــادة هذا السلاح ان تخرق المراحل الزمنية ، كان عليها ان تدخل في صراع مع الوقت القصير وفي صراع اخر مع التكنولوجيا المتقدمة لهذا السلاح الجديد ، كان على ادارة هذا السلاح ان تخطط ، وأن تبرمج ، وأن تدرب ، وأن تعد الكوادر والاطقم والقيادات على كافة المستويـات .

ـ **حاجز اللهب** : لقد عكس سلاح الدفاع الجوي مخططات القادة الاسرائيليين وقلبها راسا علـى عقب . ويعتبر بحق يـوم الحادي عشر من تشرين الاول أي اليوم السادس لمعارك تشريـن مفخرة لهـــذا السلاح . ففي هذا اليوم ركز سلاح الطيــران الاسرائيلي كل جهوده على الجبهة الشمالية ليخرج الطيـــران السوري من المعركة ولكنه اصطدم بـ « حاجز اللهب » هذا التعبير ورد على لسان مراسل جريدة « لوموند » الفرنسية الذي قـال بالحرف الواحد : « ان الطائرات االاسرائيلية تصطدم بحاجـــز اللهب عندما تحاول مهاجمة القوات العربية في الجبهة الشماليـة التي تتمتع بأقوى اجهزة الدفاع والقتال الجوي وأحدثها ، وان كل ثماني طائرات اسرائيلية تحاول اختراق هذا الحاجزيعنـــي التضحية بسبع منها وهذا ما كبد الاسرائيليين افدح الخسائـر بل انهم واجهوا في كثير من الايام كوارث حقيقية . وفي احداهـا ضحوا باحدى وتسعين طائرة خلال عشر ساعات فقط . وبعد افلا يحق لهذاالسلاحأن يتخذ من اليوم الحادي عشر من تشرين يوما له يسمى « يوم الدفاع الجوي » ؟

ـ ماهو دور قوات الدفاع الجوي في حرب تشرين ؟

لقد تميزت معارك تشرين بصراعات حادة كان اعنفهـــا واشدها صراعان :

أ ـ صراع بين القوات الجوية الاسرائيلية وبين قوات الدفاع الجوي العربية .

ب ـ صراع بين القوات المدرعة الاسرائيلية وبين القوات المدرعة العربية وبخاصة في الجبهة الشمالية .

ولنعد الان الى دور قوات الدفاع الجوي وصراعها المرير والحاد والعنيف مع القوات الجوية الاسرائيلية :

١ ـ لقد استطاعت قوات الدفاع الجوي ان توفر الحماية الفعالة للقوات البرية خلال جميع مراحل القتال ، وتمكنت هذه القوات من شل فاعلية سلاح الجو الاسرائيلي في جبهة القتال وبالتالي وفرت انسب الظروف للقوات البرية للقيام بكل نجاح بعمليات الاقتحام وباقي مراحل القتال .

٢ ـ تمكنت قوات الدفاع الجوي من توفير الحماية لمعظم القواعد الجوية بتغطية دفاعية جوية ولم تسمح للطيران الاسرائيلي ان يشل اية قاعدة بل استمرت معظم المطارات والقواعد الجوية تعمل بكل فاعلية وكفاءة خلال أيام الحرب .

٣ ـ استطاعت قوات الدفاع الجوي بكل جدارة ان تكون عاملا اساسيا في رفع الروح المعنوية للجبهة الداخلية وتماسكها عندما كان المواطنون في دمشق وباقي المحافظات وفي لبنان يشهدون تساقط الطائرات الاسرائيلية بالعشرات .

٤ ـ لعبت قوات الدفاع الجوي الدور الفعال في رفع الروح المعنوية لقواتنا البرية عندما استطاعت ان تجمد سلاح الطيران الاسرائيلي وتمنعه من التدخل في المعارك البرية الدائرة فوق

ساحات القتال وتوفر بالتالي الظروف المناسبة للطيران العربي السوري في ملاقاة الطيران المعادي .

٥ ـ ان دور تنظيم التعاون بين قوات الدفاع الجوي وبين القوات الجوية الصديقة كانت له نتائجه الايجابية والفعالة في احباط دور القوات الجوية الاسرائيلية .

٦ ـ تمكنت قوات الدفاع الجوي من زعزعة الثقة في نفوس قادة سلاح الجو الاسرائيلي وبث الرعب في نفوس الطيارين الاسرائيليين واحدثت صدمة نفسية عنيفة في المجتمع الاسرائيلي الذ يكان يرى في قواته الجوية القدرة على حسم المعارك لصالح اسرائيل في ساعات معدودة .

٧ ـ وكان لقوات الدفاع الجوي الدور الاساسي والفعال في حماية العديد من الاهداف الحيوية في البلاد ووقفت حائلا امام الهجمات الشرسة للطيران الاسرائيلي .

النتائج التكتيكية لقوات الدفاع الجوي :

ان النتائج التكتيكية لهذا السلاح يمكن استخلاصها من واقع الصراع المرير الذي خاضته هذه القوات مع سلاح الجو الاسرائيلي في معارك تشرين ، وان مقارنة بسيطة بين النتائج التكتيكية التي حققتها هذه القوات مع مثيلاتها في كافة المعارك والحروب في العصر الحديث تضعنا امام حقائق تكتيكية جديدة ، وارقاما تكتيكية جديدة ، ومعطيات تكتيكية غجديدة ايضا . هذه المعطيات التكتيكية هي التي قدمها هذا السلاح على ايدي قوات الدفاع الجوي ولعل ابرز النتائج التكتيكية كانت :

١ ـ في مجال المناورة :

برهنت قيادة قوات الدفاع الجوي في كافة خططها المرسومة على مرونة فائقة لمجابهة كافة المواقف والاحتمالات خلال سير الاعمال القتالية وبخاصة ما يتعلق منها بعامل : **المناورة** . حيث استطاعت هذه القوات ان تجتاز كل الارقام القياسية التكتيكية من حيث :

أ ـ المناورة بالقوات وتحريكها بالوقت المناسب الى المكان المناسب لتنفيذ المهمة الموكولة في زمن قياسي . وكان كل مراقب يحس ان قوات الدفاع الجوي في كل مكان : فهي تقوم بتغطية كاملة للقوات البرية المهاجمة ، وهي تحمي كل مطار وكل قاعدة جوية ـ وهي تغطي كل منشأة حيوية ... الخ

ب ـ المناورة بالنيران :

ولا ادل على نجاح هذا النوع من المناورة من مرأى الطائرات المعادية وهي تتهاوى محترقة فوق ساحات القتال وفوق القرى ، وفوق المدن وفوق الاراضي اللبنانية .. كل مواطن يشعر وكأن صاروخ سام (٦) وغيره من وسائط الدفاع الجوي في يده ... النيران كانت تندلع في الجو في الوقت المناسب وكأن في كل شبر من الارض تربض قاعدة صاروخية أو مدفع مضاد للطائرات .. وكأن كل طائرة معادية كانت على موعد في الدقيقة والثانية وحتى أعشار الثانية مع قذائف رجال الدفاع الجوي .

٢ ـ من المفهوم ان هناك معدلات تكتيكية للخسائر في كل حرب ، غير أن قوات الدفاع الجوي في الجيش العربي السوري قد قلبت تلك المعدلات راسا على عقب ، وأعطت معدلات تكتيكية جديدة وقياسية عالمية جعلت معظم المدارس التكتيكية العسكرية ان صح هذا التعبير تعيد النظر في المعدلات السابقة لقد جاء في

تقارير اللجان العسكرية التي شكلتها القيادة الاسرائيلية لمعرفة اسباب تحطيم سلاح الجو الاسرائيلي في معارك تشرين : أن ٣٠٪ من الخسائر في الطيران الاسرائيلي كان بفعل الصواريخ المضادة للطائرات وان ٣٠٪ كان بفعل المدافع المضادة للطائرات عيار ٢٣مم الرباعية المواسير (الشيكا) وان ١٥ ٪ نتائج معارك واشتباكات جوية ، بينما لم تستطع تلك اللجان اعطاء تعليل واضح لخسارة ٢٥٪ الباقية .

٣ ـ استطاع رجال قوات الدفاع الجوي بفضل تدريباتهم الشاقة المضنية والمستمرة وبفضل البرمجة العلمية المتقنة والسيطرة الواعية ان يقوموا باداء رائع لم يسبق له مثيل في تاريخ الحروب لا قديما ولا حديثا من حيث :

الثقة بانفسهم .

الثقة بقيادتهم .

الثقة بالسلاح الذي بين ايديهم .

الثقة بعدالة قضيتهم .

وحطموا ما روجته الدعاية الاسرائيلية والصهيونية والامبريالية وصدقه العالم وصدقه العرب أيضا من تخلف علمي لدى الانسان العربي ،غير أن رجال الدفاع الجوي ومثلهم رجال القوى الجوية ورجال المدرعات والبحرية والمدفعية وكل صنوف الاسلحة استطاعوا أن يجتازوا ما اسموه بـ (الفجوة التكنولوجية) الهائلة التي تفصل بين التقدم الاسرائيلي والتخلف العربي . وجاءت النتائج الفعلية في ميدان القتال لتهدم تلك النظرية وتثبت انالعربي قادر على ملاحقة التطور العلمي والتكنولوجي .

٤ ـ ان التعاون المنظم والمستمر بين قوات الدفاع الجوي ـ خلال معارك تشرين وبين القوى الجوية والقوات البرية قـد اعطى دروسا تكتيكية مستفادة في كافة المجالات ويصعب حصرها في هذه الدراسة العابرة .

ـ ولا يسعني في هذه العجالة من الدراسة الا ان اقف بكل خشوع واكبار أمام عظمة رجال قواتنا المدرعة : الوية ـ وكتائب وفصائل وامام اولئك الذين اثبتوا رجولة الانسان العربي فوق قمم جبل الشيخ من القوات الخاصة وامام كتائب الاقتحام ورجـال المشاة وفي مياهنا الغاضبة والى اولئك الذين تصدوا بكل اصرار كتلة واحدة لارتال دبابات العدو ـ والى الذين حولوا بمدافعهـم الميدانية ارض الجولان الى جحيم والى كل من زرع لغما وفجـر قنبلة .. ووقف خلف جهاز اتصال .. كل اولئك اعطوا للمذاهب العسكرية دروسا جديدة في فن القتال اعطوا معدلات جديدة في فـن التكتيك .....

النتائج الاستراتيجيـة
على المستوى الاسرائيلـي

ان اول حقيقة بارزة لحرب تشرين ، انها عطلت ولاول مرة في التاريخ الحديث استراتيجية بكاملها ، وهزتها من جذورهـا وقواعدها الاساسية :

١ ـ استطاعت حرب تشرين تعطيـل وافشـال العقيدة القتالية للقوات الاسرائيلية ، بعد أن ظن واضعوها وغيرهم ايضا من الاستراتيجيين بانها عقيدة ثابتة ، ونابعة من تجارب علمية ولا يمكن النيل منها مهما كانت الظروف . وقد تجلى ذلك في :

أ ـ فقد الجيش الاسرائيلي ميزة كبرى يتمتع بها على المستوى الاستراتيجي تلك الميزة هي : سرعة الحركة :

١ ـ هبطت فاعلية سلاح الدروع ـ الدبابات ـ نتيجة لفاعلية وتطور سلاح الدرع العربي، وقد فوجئت الدبابات الاسرائيلية مفاجأة غير سارة عندما تصدى لها الجنود العرب بالصواريخ المضادة للدروع ، وقضي بذلك على سرعة الحركة الاستراتيجية لهذا السلاح الذي كانت تعتبره القيادة الاسرائيلية ـ شفرة السيف ـ التي يجب استخدامها للاجهاز على العدو بصورة تامة .

٢ ـ شلت فاعلية ذراعه الطويلة المتمثلة بقواه الجوية ، امام صلابة وفاعلية وصمود الدفاع الجوي العربي والقوى الجوية العربية . والقادة الاسرائيليون يعتبرون هذين السلاحين : ـ الدروع والطيران ـ عماد واساس كل نصر عسكري . مما ادى الى القضاء على سرعة الحركة الاستراتيجية للجيش الاسرائيلي.

ب ـ فقد الجيش الاسرائيلي مبدأ استراتيجيا هاما اخر وهو مبدأ الحشد ، فقد اضطرت القيادة الاسرائيلية في حرب تشرين أن تجابه جيشين على جبهتين مما خلق لهذه القيادة وهيئة أركان حربها موقفا استراتيجيا صعبا منعها من حشد قواتها على جبهة واحدة ثم انهاء الحرب بسرعة على اساس خاطف .

ج ـ لم يستطع الجيش الاسرائيلي احراز نصر عسكري على المستوى الاستراتيجي كما هو الحال في عدوان حزيران العام ١٩٦٧ ، ولو انه حقق بعض النجاحات على المستوى التكتيكي في حرب تشرين .

٢ ـ استطاعت حرب تشرين أن تعطل عقيدة ـ الحرب الخاطفة ـ التي تبناها الجيش الاسرائيلي نظرا لتعطيل وشل

فاعلية عنصري هذه الحرب وهذان العنصران هما : سلاح الدروع ــ والطيران . والحرب الخاطفة هي المبدا الرابع من مبادىء الاستراتيجية الاسرائيلية العسكرية بعد مبادىء : الهجوم ، والمفاجاة ، والحركة باعتبارها حرب حركية واسعة وكان الالمان اول من برع في هذا النوع من الحرب حيث بداته القوات الالمانية على بولونيا بهجوم صاعق ١٩٣٩ عندما قامت طليعة مدرعة من ست فرق مدرعة وثلاث فرق آلية ، باكتساح اراضي دولة يزيد عدد جيشها عن ثلاثة ملايين جندي باقل من اسبوع .

٣ ــ وعلى المستوى الاستراتيجي ، استطاعت حرب تشرين أن تعطل أهم مبدا من مبادىء الحرب التي تبناها الجيش الاسرائيلي وهو مبدأ المفاجاة . حيث استطاع الجيشان العربيان ــ السوري والمصري ــ من استلام زمام المبادرة في السادس من تشرين وتحقيق مبدا المفاجاة .

٤ ــ اثبتت حرب تشرين بما لا يدع مجالا للشك ان ــ الحدود الامنة ــ التي أدعتها اسرائيل ولا تزال لم تعد على المستوى الاستراتيجي آمنة امام السلاح الحديث المتطور .

٥ ــ اخفقت القيادة الاسرائيلية في مجال القدرة على الردع ، وتوجيه الضربة الوقائية المسبقة علما بانها أقامت جهاز مخابرات قوي يتعاون مع اجهزة مخابرات اجنبية صديقة لاسرائيل ، بل حليفة لها ، غير ان هذا الجهاز اخفق بالاتجاهين معا :

أ ــ اخفق في الحصول عن حقائق تثبت امكانية قيام العرب بالحرب .

ب ــ اخفق في تقييم القدرة العربية على القتال .

٦ ــ اهدرت حرب تشرين وحطمت نظرية الامن الاسرائيلي

وهذه النظرية تذكرنا بنظرية المجال الحيوي التي اعتنقها ونادى بها « ادولف هتلر » والتي كان مصيرها الاخفاق في الحرب العالمية الثانية ، والتي انتهت بمعتنقيها وبالمانيا النازية الى الدمار .

٧ ـ امتدت اثار حرب تشرين الى النخبة العسكرية في اسرائيل « صاحبة الامجاد العسكرية السابقة » فقد ادت عمليات الطعن الداخلية في الفئات العسكرية العليا وقيادات الجيش الى قيام حكومة اسرائيل بتعيين لجنة قضائية لتقصي الحقائق عرفت باسم لجنة « اغرانات » لتحديد مسؤولية ما حدث من تخبط على المستوى الاستراتيجي العسكري حيث القت اللجنة اللوم على القيادة العسكرية العليا . ونتيجة لذلك قدم الجنرال « دافيد اليعازر » رئيس اركان الجيش الاسرائيلي واخرون استقالتهم اضافة الى المظاهرات العامة التي ملات شوارع المدن الكبرى في الارض المحتلة .

٨ ـ واخيرا فان التبدلات الاستراتيجية التي احدثتها حرب تشرين عكست الاية لواقع عدوان حزيران ١٩٦٧ حيث اجبرت هذه الحرب اسرائيل ولاول مرة منذ انشائها على الانتقال من مرحلة الهجوم الاستراتيجي الى مرحلة الدفاع الاستراتيجي . وهذا ما جعل كافة المعاهد الاستراتيجية العالمية تعطي اهتماما خاصا ودراسات أوسع وتحليلا اعمق لحرب تشرين .

على المستوى التكتيكي الاسرائيلي :

ان اقل ما يقال عن حرب تشرين اضافة الى ما تقدم بانها اظهرت الجيش الاسرائيلي في حجمه الطبيعي على المستوى التكتيكي وان الجندي الاسرائيلي الذي لا يمكن قهره قد قهر ، وان الوحدات المقاتلة الصغرى في القوات العربية كانت على مستوى

التصدي للوحدات الصغرى في الجيش الاسرائيلي سواء على المستوى التكتيكي او على المستوى الفردي (المقاتل) وكذلك مجال القتال الجوي طائرة لطائرة ــ برغم التفوق التقني لطائرات اسرائيل وفي مجال البحر ــ وفي مجال القتال في البر .

١ ــ لم تعد الدبابة الاسرائيلية بعد حرب تشرين ذلك (البعبع) المخيف الذي يفر امامه الجندي العربي لمجرد رؤيته من بعيد . بل كانت خلال معارك تشرين مجرد كتلة معدنية تتحرك لتواجه مقاتلا عنيدا يتصدى لها بكل ثبات وجراة ويحيلها الى كتلة ملتهبة . ولقد اثبت رجال سلاح ال م . د على الجبهتين الشمالية والجنوبية قدرتهم على انهاء اسطورة الدبابة الاسرائيلية وحتى على مستوى المناورة التكتيكية لم تكن الوحدات الاسرائيلية اكثر براعة من الوحدات العربية . وكثيرا ما كانت الوحدات الاسرائيلية تفتش عن مخرج للهروب من امام الوحدات المقاتلة العربية .

٢ ــ اثبتت حرب تشرين أن التحصينات الاسرائيلية على المستوى التكتيكي مهما بلغت منعتها وقوتها فان بالامكان الالتفاف عليها وانهاؤها ، ولقد شهدت جبهة الجولان وجبل الشيخ والضفة الشرقية للقنال انهيار العشرات من القلاع المحصنة .

٣ ــ لقد هزت حرب تشرين الجندي الاسرائيلي الذي لا يقهر هزا عنيفا وجعلته يفقد ثقته بقيادته وبأسلحته الحديثة جدا .

٤ ــ لم يعد الجندي الاسرائيلي يتقدم الى الامام وهو واثق بأن الجندي العربي سيفر امامه تلقائيا ويلقي السلاح .

٥ ــ اظهرت حرب تشرين وعلى المستوى التكتيكي وهذا ما اثبتته كافة المعارك الدائرة على الجبهتين بأن الدباباتالاسرائيلية

كانــت تتحرك ببطء وفي الليــل تتكدس في مجموعات وحولهـــا كمية هائلة من الالغام .

٦ ـ اكدت معارك تشرين بان الوحدات الاسرائيلية والجندي الاسرائيلي لم يحقق سوى الحد الادنى من المعدلات التكتيكيـــة سواء في المجال الجوي او البحري وبخاصة في المعارك الدائرة في البر اذا ما قيست وقورنت بما حققته الوحدات المقاتلـة العربيـــة والجندي العربي من معدلات تكتيكية قياسية على مستوى الوحدات الصغرى أو على مستوى المقاتل .

لعله من المفيد جدا أن نعترف بكل صراحة ان العرب وبخاصة بعض دول المواجهة قد استسلمت لبريق المتغيرات والمعطيـــات التي نتجت عن معارك تشرين التحريرية . وادى هذا الاستسلام الى الانسياق وراء الابتزاز الامبريالي الذي استهدف بالدرجـة الاولى تجريد حركة التحرر العربية من كل الاوراق الرابحة التي حصلت عليها بعد انتصارات تشرين .

اتجاه الضربة الرئيسية

لقد قامت الامبريالية والصهيونية بهجوم معاكس علـــى انتصارات الامة العربية وخططت بذكاء اتجاه الضربة الرئيسيـة (على حد التعابير الواردة في القواميس العسكرية) هذه الضربة كان لها هدفــان :

الهدف الاول : فصم عرى التضامن والتحالف بين قـــوى المجابهة الاساسية : سورية ومصر والمقاومة الفلسطينية .

والهدف الثاني : فصم عرى العلاقات الودية بين مجمل هذه

القوى العربية الانفة الذكر وبين الدول الاشتراكية وبخاصة الاتحاد السوفييتي .

بحيث تكون محصلة هذه الضربة الرئيسية هو توفير كل الشروط الموضوعية التي تجعل مسألة التوصل الى تسوية سياسية في المنطقة العربية مرتبطة بمشيئة الولايات المتحدة الامريكية ومحصورة في اطار منظورها لهذه السياسة هذا المنظور الذي يتطلب من الامة العربية أن تعلن الرضوخ التام للابتزاز الامبريالي الصهيوني .

وللحقيقة نقول ويجب ان نعترف ان الهجوم الامبريالي الصهيوني المعاكس قد حقق خلال الاعوام الماضية نجاحات اساسية تجلت في خلق :

ـ صراعات عربية ـ عربية وخلق تحديات جديدة امام حركة التحرر العربية . دعم التحديات المستمرة التي تمثلها اسرائيل في المنطقة وتقويتها واظهارها بصورة تستحيل معها مجابهتها والتصدي لها .

ونتيجة لهذا الهجوم الامبريالي الصهيوني المعاكس فقد اهتزت الصورة الايجابية التي سادت الواقع العربي في اعقاب حرب تشرين ، واصبحت الامة العربية وبخاصة حركة التحرر العربية امام واقع جديد وتحولات جديدة وامام خلل أصاب استراتيجيتها التي خاضت حرب تشرين على ضوئها . هذا الخلل تجلى في صميم حركة التحرر العربية عندما انقاد بعض اطرافها وراء التضليل الامريكي ، الامر الذي جعل حركة التحرر العربي بامس الحاجة الى وضع استراتيجية جديدة تقف امام الاستراتيجية الامبريالية ـ الصهيونية التي افرغت في موجات متتالية من

(التكتيكات) بغية وضع حركة التحرر العربي في المتاهات والضياع . أو الوقوف على الاقل امام عملية (التفتيت الاستراتيجي)ريثما يتم وضع استراتيجية عربية موحدة تستند على معطيات موضوعية .

ان الحل العادل للقضية الفلسطينية التي هي اساس ومحور الصراع في المنطقة العربية لا يمكن التوصل اليه الا بتحقيق الشروط المبدئية التي اعلنها القطر العربي السوري وهذه الشروط تتمثل في:

١ ـ انسحاب اسرائيل من كل الاراضي التي احتلتها العام ١٩٦٧ انسحابا كاملا .

٢ ـ تامين الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني .

٣ ـ ومن ثم إنهاء حالة الحرب .

اما اسرائيل فقد تظاهرت بالاستعداد لمباحثات السلام ولكن وفق منظورها ومفاهيمها وفي جو ضبابي بحيث تستطيع استدراج العرب الى فخ محكم الاغلاق . ومع هذا كله فقد اعلنت صراحة بانها لا تزال متمسكة بما يلي :

اولا ـ عدم الاعتراف جملة وتفصيلا باي حقوق للشعب العربي الفلسطيني ، ولا حتى بوجوده .

ثانيا ـ عدم الانسحاب الكلي من الاراضي العربية المحتلة العام ١٩٦٧ وفي حال الانسحاب فانه سيكون انسحابا جزئيا مقابل ثمن غال يدفعه العرب على حساب قضيتهم القومية حتى الانسحاب الجزئي تقابله مطالب تمس بالسيادة القومية .

ثالثا ـ الاحتفاظ بكل المستعمرات التي انشاتها في الضفة

الغربية وقطاع غزة والجولان وحتى سيناء على اعتبار أن هـــذه المستعمرات تشكل اساسا من الحزام الامني لاسرائيل .

رابعا ــ عدم الموافقة على اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة .

واذا كان البعض قد اندفع في تيار التضليل الامريكـــي والدعاية الاسرائيلية حول موضوع امكانية الوصول الى تسوية سلمية عادلة فما معنى هذه التسوية اذا كانت حقوق الشعب العربي الفلسطيني غير معترف بها ، وحتى الشعب العربي الفلسطينـــي نفسه لا وجود له ولا اعتراف له في قاموس (المفاوضـــات) الاسرائيلية . بمعنى ادق واوضح فان السلام (العـادل) الـــذي تريده اسرائيل ينكر الوجود الفلسطيني لب واساس ومرتكـــز الصراع العربي الاسرائيلي . ثم ان كـل المؤشرات الماديـة وليس المؤشرات الدعائية تشـير بشكل واضح وجلي انـه لا اسرائيـل ولا الولايات المتحدة الامريكية مع منطق الوصول الى تسوية عادلة في المنطقة وانه لا اسرائيل ولا الولايات المتحدة مع تراجع وانسحاب اسرائيل من الاراضي التي تحتلها او حتى التسليم بأي حق مـــن حقوق الشعب العربي الفلسطيني .

الحـرب الخـــامسة

ــ ان كل الدلائل والمعطيات والمؤشرات تدل دلالة قاطعـة بأن حربا خامسة ستندلع في المنطقة العربية بين العرب واسرائيل اما زمان ومكان هذه الحرب فسيحددها الطرف البادىء بالحرب .

وهذه المرةمن سيكون البادىء ؟ العرب أم اسرائيل فـــاذا وضعنا احتمالا ، او افترضنا بان العرب هم الذين سيقومون بشن

خرب خامسة على اسرائيل ، وحجتهم في ذلك مبررة تجـــاه المواقف الاسرائيلية المتصلبة ، بغية استرداد حقوقهم المغتصبة ، غير ان اتخاذ قرار الحرب يتطلب جملة من المعطيات الاساسيـة وعلى المستويات الاربعة : المستوى الداخلي ـ المستوى العربي ـ المستوى الدولي ومن ثم المستوى الاسرائيلي والقوى الواقفـة الى جانبها كل هذه المعطيات يجب ان تكون اساســا لاتخاذ قرار خطير كقرار الحرب .

وعودة الى ما سبق في هذا البحث ، اوالدراسة تجعلنانقفامام الفاجعة او الكارثة اذا ماعلمنا ان معظم عناصر قرار المعركةمهزوزة. وان عناصر قرار حرب تشرين العام ١٩٧٣ قد اصابها الخلل كمـا مر ذكره هذا اذا ما اعترفنا صراحة بان السور الدفاعي الحقيقي عن العمق الاستراتيجي العربي قد اهتز بنيانه ، هذا الســـور الذي كان متمثلا وبشكل فعلي وعملي وواقعي في الجبهة العسكرية السورية المصرية . هذه القوة العسكرية هي التي كانت مصـدر واساس كل المتغيرات التي احدثتها حرب تشرين في شتـــى الميادين السياسية والعسكرية وحتى الاقتصادية اما الطرف الاخر واعني به اسرائيل فهل من مصلحتها شن الحرب الخامسة وهل هناك مؤشرات تدل على نوايا الحرب . ويأتي الجواب : نعم وعندما يكون الجواب : نعم فاننا نستند على مجموعة من المعطيات التـي تؤكد صحة الاجابة بـ ـ نعم ـ مقدما :

١ ـ ان نتائج حرب تشرين قد تركت اثارا سلبية فيالمجتمع الاسرائيلي ، ولا يمكن ازالة هذه الاثار الا بنصر عسكري اسرائيلي على العـــرب .

٢ ـ ان حرب تشرين قد اعادت الثقة بالنفس الى الجماهير

العربية ، وازالة الغطاء عن امكانيات وقدرات الامة العربية ، ولا بد من ازالة هذه النتائج الايجابية ، واعادة الانسان العربي الى وضع ما قبل السادس من تشرين العام ١٩٧٣ ولن يتأتى ذلك الا من خلال شن حرب واسعة النطاق .

٣ ـ ان هذه الحرب ستشن على القطر العربي السوري بوجه خاص ، لان سورية ظلت الدولة الوحيدة من دول المواجهة التي تتبنى بشكل مبدئي وعلني القضية الفلسطينية ، والمقاومة الفلسطينية وتقف حجر عثرة في وجه كل المخططات الرامية الى تصفية القضية الفلسطينية ، ولان جيشها يكاد يكون الجيش الوحيد المتدرب والمتمرس الذي يقض مضاجع القادة الاسرائيليين .

ولان القطر العربي السوري يمثل قمة الصمود والتصدي في كل مواقفه : قولا وعملا ، ويعتبر رمز النضال الحقيقي والفعال

٤ ـ وعودة الى الحديث الذي اجرته مجلة ـ ذي ميل ايست مع اسرائيل شاهاك ـ استاذ الكيمياء في الجامعة العبرية نقف على مجموعة من الحقائق التي تؤكد ان اسرائيل ستشن حربا خامسة على الامة العربية قال شاهاك : انه يتوقع ان تشن حكومة الليكود التي يراسها مناحيم بيغن حربا جديدة على الدول العربية :

آ ـ ان عزرا وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلي واريل شارون وزير الزراعة قد وافقا مناحيم بيغن با ن نصرا عسكريا سيعيد الثقة في الاقتصاد الاسرائيلي ، وهذا بدوره سيجلب تدفق الاموال من الخارج كما حدث بعد حرب حزيران ١٩٦٧ .

ب ـ ان هذه الحرب ستخفف الضغط ايضا على القوى البشرية في اسرائيل فالجيوش العربية ستخسر ، والاردن سيتم احتلاله ، ومن ثم لن يكون هناك ضرورة لانتشار الجيش الاحتياطي

الاسرائيلي ، لان المناطق الصحراوية المحتلة يمكن حراستها من قبل دوريات سلاح الجو ، والحدود من قبل حرس الحدود . وبعدها يتم تحويل المزارعين في الضفة الغربية الى عمال يدويين ، مفيدين لمصلحة الاقتصاد الاسرائيلي .

ج ـ يرى هذا الاستاذ أن هناك مؤامرة تتعلق باهداف الولايات المتحدة الامريكية البعيدة في المنطقة ، وانه مقتنع بان ايصال ـ الليكود ـ الى الحكم تهدف امريكا من ورائه الى تقوية اسرائيل ، ومنع استقرار الدول العربية باضعافها اجتماعيا واقتصاديا وعسكريا وضرب مثلا :

مساعدة الولايات المتحدة لمصر فقد تلقت مصر مساعدات من الحكومة الامريكية ومن مجموعة من الشركات الامريكية دون ان يكون لهذه المساعدات أ ي دور في تمتين الاقتصاد المصري ، ويقول : ان هذا (جزء من محاولة الولايات المتحدة لاحتواء الاتجاهات التقدمية في الوطن العربي .

يرى (شاهاك) أن النتيجة النهائية لسياسة (الليكود) ، حتى ولو نجحت على المدى القصير ـ هي ايقاع الهزيمة باليهود في الشرق الاوسط .

٥ ـ ان تحويل اسرائيل الى ترسانة سلاح ليس الهدف منه المحافظة على امن اسرائيل وليس الموضوع عملية ما يسمونه بتوازن القوى في المنطقة ، وانما الغاية من تكديس السلاح المتطور تعرفها الولايات المتحدة وسوف لن تستخدمه العسكرية الاسرائيلية الا في شن حرب على الامة العربية بغية تحقيق مطامعها التوسعية ، ومطامع الامبريالية العالمية ، وحماية مصالح الولايات المتحدة في المنطقة العربيــة .

هل واشنطن تريد السلام ؟

تحاول الامبريالية ان توهم الشعب العربي بان مفاتيح السلام في الشرق الاوسط في يدها، وتحاول ايضا اغراق الساحة السياسية على امتداد المنطقة والوطن العربي بمجموعة من الطروحات والممارسات اللولبية والمكوكية اللفظية منها والعملية والهدف من هذا كله الحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة العربية بوجهه السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى العسكري هذا اذا ما استثنينا تزويد اسرائيل بكافة انواع الاسلحة المتطورة ـ بغية جعل كل مايجري في هذه المنطقة تحت ـ المظلة ـ والهيمنة الامريكية ودليلنا على هذا كله مجمل الممارسات والنشاطات الامريكية التي تشهدها المنطقة العربية . ويقيننا ان واشنطن لا تريد حلا بقدر ما تريد ترتيب اوضاع ، وان عملية الخداع والتضليل والمماطلة والتسويف هذه قد لاقت بعض النجاحات في بعض الاوساط العربية المسؤولة ، وانساقت تلك الاوساط بكل غباء او ربما تحت تأثير ـ السحر ـ الامبريالي تمني نفسها بانها ستكون السباقة الى وضع نهاية المسرحية المأساوية ، والوصول الى السلام (العادل) ولم تكتف تلك الاوساط بالانسياق وحسب ، بل تحاول ان تظهر الامبريالية بمظهر (المنقذ) و (الشريف) وفي كثير من الاحيان بمظهر (المحب) وكأن تجربة الامة العربية مع الاستعمار والامبريالية وليدة اليوم ، متناسية مجموعة من الحقائق والمعطيات الاساسية التي تثبت ان الامبريالية لن تكون الى جانب الحق العربي . لن ولن تكون الا مع مصالحها واطماعها في هذه المنطقة ، لا ولن تقف حتى على الحياد . فعلاقة الولايات المتحدة الامريكية باسرائيل ليست علاقة بسيطة كما يتصور البعض ، فهناك ترابط المصالح الامبريالية مع المصالح الاسرائيلية ، وهذه علاقة كلاسيكية ، وان كل ما يذاع او

يكتب ويقال عن خلافات (جذرية) بين واشنطن واسرائيل ما هو في الحقيقة الا نوع من التمويه والاخفاء لتمرير مخطط أمبريالي ــ صهيوني جديد ، وان مجمل التكتيكات التي تشهدها المنطقة ما هي في الحقيقة الا لخدمة التحالف الاستراتيجي الامبريالي الصهيوني . ووقفة قصيرة امام بعض الحقائق والمعطيات تثبت بما لا يقبل الشك النيات الامريكية تجاه ازمة المنطقة :

١ ــ ان السياسة الامريكية تنبع من مصالحها الاستراتيجية وهذه السياسة لا ترتبط بتفكير رئيس الولايات المتحدة او وزير خارجيته ولا بمستشاره لشؤون الامن القومي ، وانما ترتبط بالمصالح الامبريالية لاعلى مستوى منطقتنا وحسب بل على المستوى العالمي ، وان وصول اي رجل الى رئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الامريكية يمر بمراحل كثيرة معقدة ومدروسة دراسة وافية من قبل اصحاب التروستات الامبريالية . ويقينا فان المصالح الامبريالية في الوطن العربي على المستوى العسكري والسياسي وبخاصة الاقتصادي كفيلة بصب معظم الجهود الامريكية للمحافظة على تلك المصالح ، ولذا كان من مصلحة الولايات المتحدة الامريكية جعل هذه المنطقة في توتر دائم ومستمر لابقاء العرب تحت (التهديد المستمر) .

٢ ــ ان الهدف الحالي للسياسة الامبريالية هو « النهب البترولي » بالدرجة الاولى . ونظرا لارتفاع ثمن النهب فانه من الضروري رفع « ثمن اسرائيل » وتجهيزها ودعمها بقدرات اكبر وذلك بغية ازالة كافة المعوقات والعقبات التي تتمثل في دول المواجهة والمقاومة الفلسطينية وما احتلال جنوب لبنان في السادس عشر من آذار ١٩٧٨ الا بعض المقدمات والمؤشرات لمخطط مدروس للقضية الفلسطينية بخاصة وللامة العربية بعامة من حلول وتصفيات على

الطريقة الامريكية. والعدوان المبيت على القطر العربي السوري غايته تدمير صموده بكل قسوة ووحشية عن طريق الاسلحة المتقدمة والمتطورة التي تقدمها الدوائر الاستعمارية في واشنطن الى العسكرية الاسرائيلية . وبهذه الطريقة يمكن بعدها فرض تسوية (تسمح لاسرائيل بالمشاركة) في الثروة النفطية وتضمن في الوقت نفسه المصالح الامبريالية ، ولا تعود اسرائيل عندئذ عبئا على الامبريالية ولا على واشنطن . بصورة خاصة فتستحق (التعايش على حساب المنطقة) وتبقى الولايات المتحدة على الحياد من الصراع العربي ـ الاسرائيلي) حتى لا تثير غضب ـ الاصدقاء ـ وتبرهن كافة المقولات والنوايا الاسرائيلية والمواقف الامريكية على صحة هذه النتائج . كما تبرهن انواع الاسلحة الممنوحة لاسرائيل واحجامها على هذه النتائج ذاتها . اذن فتدمير المقاومة المتمثلة في مواقف القطر العربي السوري الثابتة يفتح الباب على مصراعيه للتسوية المطلوبة .

٣ ـ لقد اعلنت ـ واشنطن ـ اكثر من مرة بانها ملزمة بالمحافظة على اسرائيل قوية ، بمعنى انها ستحمي اسرائيل ولو تطلب الامر التدخل المباشر وبمعنى انها ملزمة بالمحافظة على المعادلة الموضوعة اي ان قوة اسرائيل يجب ان توازي قوة الامة العربية بكاملها من مقومات بشرية ، وقدرات قتالية وامكانيات اقتصادية ، مضافا اليها كافة المعطيات الاستراتيجية مع العلم بان هذه المعادلة مهزوزة وغير صحيحة من اساسها لاسباب عديدة اهمها :

١ ـ ان الامة العربية لا تستطيع ان تزج بكل قدراتها العسكرية والقتالية في وقت واحد لاحراز التفوق لاسباب جغرافية

وسياسية واقليمية الامر الذي يستحيل معه اجراء اي حشد ضمن حدود الزمان والمكان .

ب ــ غياب الاستراتيجية العربية الواحدة ، وان الضياع الاستراتيجي يجعل العرب غير قادرين على احراز التفوق المطلوب .

ج ــ ان طاقات الامة العربية وهي العامل الاساسي في نجاح الجبهة العسكرية مشتتة ، ومهدورة ، مضافة اليها التناقضات الاصطناعية الاقليمية المعششة منذ عشرات السنين ، والتي تتوالد باستمرار كلما اراد لها الإستعمار والامبريالية ان تتكاثر وتتضخم .

٤ ــ ان المزاعم التي تدعي وجود ما اسمته (خلافات جوهرية) بين واشنطن واسرائيل ادعاء وهمي ، وما هي في الحقيقة الا نوع من التكتيكات المرحلية . وهذه التكتيكات موضوعة ومتفق عليها سلفا ، بغية تخدير الاعصاب ، ولا تتعدى تلك الخلافات عتبات المماطلة وذر الرماد في العيون بغية خلق مواقف عربية متناقضة ، لكسب الوقت وتمرير المخططات المرسومة بكل دقة وعناية في دوائر البنتاغون بمشاركة الطغمة الحاقدة في اسرائيل . واذا كانت واشنطن قد ــ عبست ــ قليلا في وجه مناحيم بيغن فانها تعرف متى ــ تعبس ــ ومتى ــ تبتسم ــ على ضوء مصالحها في المنطقة العربية .

التاريخ معلم عظيم :

مامن مطلع على سير الاحداث في المنطقة العربية يشك بان وصول ــ الليكود ــ وعلى راسها ــ مناحيم بيغن ــ الى السلطة في اسرائيل الا نتيجة غير مباشرة لحرب تشرين العام ١٩٧٣ وما اصاب

اسرائيل من هزائم سياسية وعسكرية . كما ان وصول هذه الطغمة المتطرفة الى الحكم كان تعبيرا عن رغبة المتطرفين من الصهاينة في التوسع ، ووضع المنطقة على حافة الحرب . ولقد اعلن مناحيم بيغن خطه السياسي قبل وصوله الى السلطة متجاوبا بذلك مع رغبات وطموحات المتطرفين في اسرائيل :

١ ـ التشدد والتصلب وانتهاج مواقف عدوانية .

٢ ـ ضم الاراضي بالقوة .

٣ ـ اقامة المستوطنات لتنشيط الهجرة الى اسرائيل .

٤ ـ عدم تقديم اية تنازلات .

ولذا فقد بدا منذ توليه السلطة يعمل بصورة (محمومة على وضع المخططات العسكرية واعادة النظر في الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية الهجومية ، وادخال التعديلات عليها واعادة بناء الجيش الاسرائيلي وقواته المسلحة وتزويده باحدث الاسلحة الحديثة المتطورة متبعا بذلك نفس المنهاج الذي سلكه هتلر قبيل الحرب العالمية الثانية . وكما كانت وحدة ارض الاجداد ـ المانيا والسويد والرور والمناطق الشرقية والنمسا هدفا بالنسبة للزعيم النازي هتلر فان ـ مناحيم بيغن ـ يرى ان توحيد : يهودا والسامرة اي الضفة الغربية هدف يجب على جميع اليهود الكفاح من اجل تحقيقه بكل الوسائل الممكنة . وهذا ما اكده في الخطاب الذي القاه بعد انتخابه حيث قال : « ان اليهودية والسامرة ـ الضفة الغربية ـ جزء لا يتجزأ من ارض اسرائيل وان لجميع اليهود الحق في استيطانها » . وكما ان هتلر حظي بالتأييد التام لاول عملية عدوانية قام بها ونعني بها ضم اقليم الراين فان ـ مناحيم بيغن ـ يحظى هو الاخر بالتأييد التام لضم الضفة

الغربية ومن حين لاخر يقوم ــ مناحيم بيغن ــ بتنفيذ احدى عمليات الراين الصغيرة مثل اعطاء صفة الشرعية على المستوطنات التي اقيمت في الضفة الغربية بصورة غير قانونية ، والاستيلاء اداريا على المناطق المحتلة الخ ... ويقول كتاب ــ اليهودية والنازية ــ : كيف تلتقيان وتتماثلان : « اما اعظم هذه العمليات الشبيهة بعملية اقليم ــ الراين ــ فقد نفذت . لقد قضى مناحيم بيغن والى ابد الابدين على فرصة لعقد مؤتمر جنيف . ومرة اخرى وكما فعلت من قبل اكتفت الدول الكبرى بابداء المعارضة ــ بصورة ادبية ــ دون دعم احتجاجاتها بعمل فعال من اي نوع ، تماما كما فعلت الدول العظمى بالنسبة لسياسة هتلر التوسعية ابان الحرب العالمية الثانية » ويستطرد الكتاب فيقول : « حين يقرأ المرء مؤلف ــ وليم شيرر الكاتب المعروف ــ واسمه (صعود الرايخ الثالث وسقوطه) يدرك لتوه ان مثل هذا النجاح يجلب معه على المدى البعيد ، الهلاك والكوارث انهم الحكماء فقط هم الذين يعرفون بان التاريخ معلم عظيم .. » فالوهم لا يغير الواقع ، واسرائيل تراهن على موت التاريخ ورجوع عقارب الساعة الى الوراء .

اين نحن .. ؟
وماذا في ايدينا .. ؟

ان الاحداث في المنطقة العربية تتقاطع وتتعاظم بسرعة مذهلة ومادمنا نحن اصحاب العلاقة والمصلحة الحقيقية فلابد من التساؤل : اين نحن ..؟ وماذا في ايدينا ؟ وهل بامكاننا التاثير على سير تلك الاحداث ؟ ان التحديات التي تواجه الامة العربية تحديات جسام وفي طليعتها التحدي الصهيوني المتمثل واقعيا وعمليا في اسرائيل . واذا كنا صادقين مع انفسنا يجب ان نعترف صراحة

باننا الان في وضع عربي صعب ناجم عن واقعنا العربي المهزوز الذي اعتراه الخلل والانقسام بعد ان برز كافضل واقع في حرب تشرين التحريرية . ولسنا هنا بصدد تحليل وسرد عوامل التفرقـــة والخلاف بقدر ما نحن بصدد مواجهة التحديات التي تواجهمصيرنا ووجودنا كامة بمعنى ماهو السبيلللمواجهة واثبات الوجود العربي هل نستمر بمواقفنا المتناقضة ؟ هل نظل اسرى انعكاس سلبياتنا ؟ ان التعنت القطري ، باتخاذ المواقف المنفردة والخروج على ارادة الاجماع والوقوع في الافخاخ التي رسمتها الدوائر الامبرياليـــة والصهيونية كمصايد هذه الاسباب جعلت الامة العربية فيمواقف ضعيفة ، تقف امام الاحداث المتعاظمة والمتسارعة وكانها لا حول لها ولا قوة ، ناهيك الى ان هذه المواقف قد تركت من الانعكاسات في وسط الجماهير العربية اثارها السلبية من تشرذم وتعنت معنوي، وفتحت الابواب امام بعض الفئات ذات الارتباطات المعروفة للتدليل بان الاعتراف بالامر الواقع والرضوخ لمعروضات السلم الحالية خير من لاشيء ، وهذا الاتجاه قد نشطت تحركاته بشكل ملمـوس في الاونة الاخيرة . هذا الخلل في الواقع العربي الراهن جعل حكـام اسرائيل وكان مفاتيح الخلاص في ايديهم بل جعلهم يتكلمون مـن مركز القوة ، طالما ان الكرة ليست في ملاعبهم وانما فـوق التراب العربي المحتل . ويعود السؤال اين نحن ؟ يطرح نفسه باستمرار وياتي الجواب على صيغة استفهامية : من نحن ؟ الجواب الامـة العربية ؟ ان تعبير « الامة العربية » اصبح يتردد على الشفاه وكأنه نوع من الترف الفكري النظري لاكثر العرب . كل العرب من حكام ومسؤولين والقاصي والداني يدرك تماما ان الصراع بين قوة حركة القومية العربية وقوة الحركة الصهيونية صراع اساسي وصدامي بلغ من العمق والجوهرية حدا جعل التعايش بينهما مستحيلا ولقد اكدت حركة القومية العربية المتمثلة بأولى فصائلها التقدمية المتقدمة

حزب البعث العربي الاشتراكي في كل مقرراته وادبياته وتصوراته المستقبلية هذه النوعية من الصراع المصيري والحتمي ورسمت الخطوط العريضة لاسس الاستراتيجية العربية الكفيلة بتحقيق النصر النهائي والاكيد ولسنا هنا بصدد التدليل والعرض ، بقدر مانحن ملزمون لتلمس استراتيجية عربية موحدة . ان الاستراتيجية العربية تعني الشمول في المبادىء والمواقف على مستوى معطيات الامة العربية وليس على المستوى القطري . وان تحويل المعركة من معركة دول مواجهة مع العدو الى معركة قومية هو المطلب الاساسي والملح بعيدا عن كل التناقضات القطرية الموروثة من عهود الظلم والسيطرة والاستعمار . ان (المعارك بالتقسيط) التي خاضتها الامة العربية ماهي في الحقيقة الا نوع من (النزف بالتقسيط) لطاقات الامة العربية . وعلى هذا الاساس وضعت اسرائيل استراتيجيتها بحيث يبقى الصراع محدودا ولايتجاوز الافق القطرية.

ان تجاوز عتبة السلبيات للانطلاق نحو الايجابيات ضرورة مصيرية ملحة، وان وضع استراتيجية عربية شاملة موحدة على اساس معطيات الامة العربية تحدد من نحن ــ واين نحن .. وماذا في ايدينا .. وان السلام العادل لن توقع بنوده في حدائق البيت الابيض الامريكي ، ولا في الخوض في متاهات تفسير قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ، السلام العادل الحقيقي ، واسترجاع كامل الحقوق الشرعية يكمن كله في قدرات الامة العربية عندما تزج تلك القدرات بشكلها الصحيح والسليم في معركة المصير .

الحرب العربية الأولى

تلاقت المطامع الاستعمارية والمطامح الصهيونية ونجم عن ذلك زرع دولة دخيلة في فلسطين تشطر الوطن العربي وتعرقل وحدته السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما يسهل السيطرة على اقطاره . وقد رفضت الامة العربية منذ البداية هذا الجسم الغريب فشهدت المنطقة صراعا مستمرا بين العرب اصحاب الارض وبين ادعياء الحق بها ، صراعا لم يتوقف لحظة وعلى مختلف الاصعدة بما فيها الصعيد العسكري الذي كان يخبو احيانا ليقتصر على اشتباكات محلية ويشتد اخرى ليتخذ شكل حرب واسعة النطاق. وهناك اجماع على اعتبار حرب تشرين رابع الحروب العربية ـ الاسرائيلية ، في حين نجد ان عنوان هذا البحث اعتبرها الاولى . وسأحاول فيما يلي ايضاح الاسباب التي دفعتني الى هذا التناقض.

اصبح من المسلم به بأن الحرب هي وسيلة من وسائل السياسية تعتمد العنف لبلوغ هدف اخفقت الوسائل الاخرى في تحقيقه . وهذا يعني ان خوض الحرب يتطلب قرارا سياسيا واضحا يبلغ القيادة العسكرية لتضع الخطط الملائمة ليتحقق الهدف السياسي ومن ثم تهيئة القوى والوسائط العسكرية القادرة على تنفيذ هذه الخطة لتؤمن للسياسة استثمار نتائجها في سبيل تحقيق اهدافها .

لنلق نظرة على الحروب العربية الاسرائيلية انطلاقا من هذه المتطلبات ، فقد يساعدنا ذلك على تحديد هويتها .

حرب العام ١٩٤٨

ـ الجانب الاسرائيلي

ادركت الصهيونية العالمية منذ البداية ان الدولة التي تعمل بالتعاون مع الاستعمار على انشائها في فلسطين ستكون عضوا غريبا في وسط معاد لها وبالتالي عليها فرض وجودها بالقوة ثم تدعيم هذا الوجود بالعنف المتواصل حتى يصبح وجودها امرا عاديا مألوفا مع الزمن . وعبر بن غوريون عن ذلك بقوله : ـ القوة وحدها هي السبيل والاغبياء وحدهم هم الذين يستمعون الى قوة المنطق في العلاقات الدولية وبتاريخ الثامن من ايلول العام ١٩٣٩ قال بن غوريون في كلمة موجهة لقادة الهجناه :

تمخضت الحرب العالمية الاولى عن وعد بلفور اما الثانية فلا بد وان تأتي بالدولة اليهودية واذا كانت السياسة هي السلاح الذي استخدم في الاولى فالقوة هي سلاح الثانية اي ان الصهيونية العالمية قد اتخذت قرارا سياسيا باقامة الدولة اليهودية واعتمدت القوة وسيلة .

ـ الخطوط العامة لخطة تنفيذ هذا القرار .

جاء في الفقرة الثانية من المخطط الذي اعده بن غوريون باعتباره رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية ، ليكون دليل عمله في الولايات المتحدة الاميركية ما يلي :

ـ العمل على اقامة حكم يهودي في فلسطين بواسطة :

ـ تعبئة القوى اليهودية العالمية وخاصة في بريطانيا واميركا .

ـ تكوين الجيش اليهودي باستغلال حالة الحرب تكون مهمته الاولى الدفاع عن فلسطين .

ـ تنظيم الهجرة بحيث يمكن نقل عدة ملايين من يهود أوروبا الى فلسطين بعد الحرب .

ونصت الفقرة الرابعة على : ـ تفريغ فلسطين من سكانها العرب عن طريق نقلهم الى العراق .

ـ القوى العسكرية الاسرائيلية :

مع بداية الهجرات اليهودية الى فلسطين عمل اسحق بن زفي وبن غوريون على انشاء منظمة ـ هاشومير ـ الحارس وذلك بين عامي ١٩٠٧ ـ ١٩٠٩ باسم « العمل والدفاع الذاتي » وكان شعار المنظمة « بالدم والنار سقطت اليهودية وبالدم والنار ستقوم من جديد » واوجدابذلك البذور الاولى للمقاومة المسلحة في المستعمرات اليهودية ، ثم شكلت كتائب عسكرية يهودية قاتلت الى جانب البريطانيين في نهاية الحرب العالمية الاولى ومن هاتين المنظمتين شكلت فيما بعد قوات الهجناه السرية .

وقد عملت الصهيونية العالمية بشكل محموم على تزويدها بالسلاح خاصة بعد صدوروعد بلفور والمعارضة العربية الشديدةله. أصبحت لدى الصهيونية في فلسطين قوات مسلحة سرية تتزايد عددا وتسليحا مع الايام ولكنها لم تكن كافية لتحقيق الهدف المنشود ، فحاولت الحصول على موافقة حكومة الانتداب البريطاني على تشكيل قوة مسلحة علنية ليسهل تدريبها وامدادها بالسلاح ، وقد وجه « وايزمن » اثر انعقاد المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين في جنيف اب ١٩٣٩ خطابا الى رئيس الحكومة البريطانية « تشمبر لن » يعرض فيه على بريطانيا « استعداد الوكالة اليهودية لتقديم القوى البشرية اليهودية والكفاءات الفنية للاشتراك في الصراع المقبل » . ودونما انتظار الموافقة البريطانية افتتحت

الوكالة اليهودية مكتبا لتسجيل المتطوعين « للخدمة الوطنيـة » وحثت يهود فلسطين على التطوع .

وفي ١٣ ايلول ١٩٤٠ وافقت الحكومة البريطانية على « انشاء القوة اليهودية المقاتلة » بقوام عشرة الاف رجل على أن تضم ٣ — ٤ الاف من يهود فلسطين وقد وصف « وايزمن » هذه الموافقة بقوله: « انه ليوم عظيم لا يقل عن يوم اعلان وعد بلفور » . وفي التاسـع عشر من ايلول العام ١٩٤٤ وافقت حكومـة تشرشل على انشـاء « اللواء اليهودي » للاشتراك بالعمليات الحربية الى جانب الحلفاء، هذا كله الى جانب القوات اليهودية الاخرى التي شكلت في فلسطين بموافقة سلطات الانتداب نذكر منها عـلى سبيل المثال « القـوة الضاربة النظامية » التي شكلتها قيادة الهجناه باسم « البالماخ » والتي استعانت بها بريطانيا في قتالها ضد قوات فيشي في سورية ولبنـان .

اي استغلت الصهيونية العالمية الحرب العالمية الثانية لتكوين الجيش الاسرائيلي تماما كما ورد في الفقرة الثانية من مخـطط بن غوريون الوارد اعلاه .

القرار السياسي قد اتخذ وخطة التنفيذ موضوعة والقوات المسلحة اللازمة جاهزة ولم يبق امام الصهيونية العالمية سوى اختيار الوقت المناسب فوجدته في قرار التقسيم الصادر عن مجلس الامن بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، وهي ان اعتبرت وعد بلفور غطاء شرعيا لادخال اكبر عدد ممكن من يهود العالم الى فلسـطين فانها وجدت في قرار التقسيم « دعوة شرعية لاقامة الدولة ، ولم تنتظر جلاء القوات البريطانية عن فلسطين لتبدأ عملياتها بل عمدت فورا الى تطبيق الخطة المرسومة للسيطرة على الجزء الاكبر مـن الاراضي الفلسطينية وافراغها من سكانها العرب .

وفي السادس عشر من نيسان ١٩٤٨ اتخذ المجلس الصهيوني العام قرارا ببدء الحرب السافرة واقامة الدولة اليهودية بالقـوة المسلحة واعلان التعبئة العامة وتنظيم السيطرة على البلاد وقـد تضمنت قراراته ما يلي :

١ ــ استدعاء كل قادر على حمل السـلاح او العمـل في المستعمرات الدفاعية .

٢ ــ استغلال كافة وسائل النقل البري والبحري والجـوي لجلب المزيد من الامدادات العسكرية والمتطوعين .

٣ ــ تنظيم اقتصاد الحرب وفرض السيطرة على الصناعـة والتجارة والزراعة وفرض الرقابة على المواد الغذائية والخامـات الاولية بما يحفظ للقوة العسكرية قدرتها على مواصلة القتال .

٤ ــ اقامة سلطة مركزية عليا موحدة تقوم بتنظيم وحصـر الموارد البشرية وقيادة القوات المسلحة وتوجيه القوى العاملة .

٥ ــ عدم الوقوف عند حد الدفاع بل شن الهجوم ضد كـل الجبهات المعادية وليس فقط داخل المنطقـة المخصصة للدولـة اليهودية ولا داخل حدود فلسطين بل حيثما وجد العدو .

اي ان الصهيونية قد عبأت كافة امكانياتها لخدمة المعركـة معلنة ــ كالعرب ــ رفضها لقرار التقسيم انما باسلوبهـا الخاص (الفقرة الخامسة اعلاه) . وقد بلغت القوات المسلحة النظاميـة اليهودية قبيل دخول الجيوش العربية الى فلسطين ٦٧ الف مقاتل مدرب ومسلح ، تخدمهـا كافة الموارد المتوفرة تحت قيادة عليا موحدة . . فماذا فعل العرب تجاه ذلك ؟ .

الجانب العربـي

القرار السياسي

كان اول مؤتمر يرسم خطة الكفاح المسلح في فلسطين هـو مؤتمر ـ عاليه ـ الذي عقدته جامعة الدول العربية يوم ٧ـ١١ـ١٩٤٧ اذ تقرر فيه « اتخاذ الاحتياطات العسكرية على حـدود فلسطين وتخصيص عدد من المتطوعين للحرب ونقل مراكز تدريب بعض الجيوش النظامية الى مشارف حدود فلسطين » . ولايوحي

هذا القرار بان في الافق احتمالا للتدخل في فلسطين بالقـوات النظامية . وفي الاجتماع الذي عقده رؤساء الوزارات العربية فـي القاهرة بين ١٢ـ١٨ـ١٢ـ١٩٤٧ وبعد نقاش طويل تم الاتفاق على « ضرورة العمل الحثيث على احباط مشروع تقسيم فلسطين واقامة لجنة عسكرية لهذا الغرض واعتبار فلسطين جزءا حيويا مـن الوطن العربـي » . ومع بداية العـام ١٩٤٨ تبلورت الافكـار السياسية حيال القضية الفلسطينية في الدوائر العربية المعنية في اتجاهات ثلاث :

الاتجاه الاول :

ويضم كـلا من مصر والسعودية واليمن وينادي بضرورة حل القضية عن طريق الكفاح غير الرسمي او النظامي بالمجاهـدين الفلسطينيين اساسا مع تدعيمهم بالمتطوعين العرب .

الاتجاه الثاني :

ويضم سورية ولبنان والهيئة العربية العليا والامين العـام لجامعة الدول العربية وينادي بضرورة اقامة الدولة الفلسطينية بالقوة المسلحة التي اصرت سورية ولبنان على ان تكون من الجيوش

العربية النظامية بينما استصوب المفتي ان تقتصر على المجاهدين الفلسطينيين اساسا وبعض العناصر النظامية .

الاتجاه الثالث :

ويضم الاردن والعراق ويفضل ضمنا قبول التقسيم وضم القسم العربي من فلسطين الى الاردن بالاحتلال العسكري وهو بالتالي يوافق على التدخل العسكري لهدف محدد .

هذا وكان لكل دولة عربية موقف خاص معلق او مكتوم .

في هذا الجو من التناقضات اجتمعت اللجنة السياسية لمجلس الجامعة العربية بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٤٨ في عمان وقررت :

« الاكتفاء بدخول جيوش العرب الى فلسطين دون الحاجة الى خوض قتال فعلي لان اليهود سوف يقبلون شروط العرب عندئذ»!

هذا هو القرار السياسي للعرب . واي قرار ! هل هي الحرب ؟ يقول القرار « بدون الحاجة الى خوض قتال فعلي » قرار مائع مبهم على العسكريين وضع خططهم على اساسه . كان الله بعونهم .

ـ الخطة العسكرية

هل كانت هناك فعلا خطة عسكرية للجيوش العربية . الفريق غلوب القائد العام للفيلق العربي الاردني ينكر وجود مثل هذه الخطة والفريق صالح صائب الجبوري رئيس الاركان العراقي قال بان العرب كانوا في حاجة ماسة الى خطة حقيقية اما القائد عبد الله التل فيقول : « انني لا ادري اكانت هناك خطة حقا ام لا ولكنه كان واضحا لجميع العسكريين ان فلسطين قد قسمت الى مناطق عمل اوكلت مسؤولية كل قسم منها الى احد الجيوش العربية .

نستخلص من ذلك ان الجيوش العربية النظامية دخلت فلسطين بلا خطة بل ان بعضها لم يكن يبطن للبعض الاخر ما يرجوه الصديق لصديقه من توفيق .

ورغم ذلك وعندما وافقت الدول العربية بتاريخ ١٠ ايار ١٩٤٨ على تولية الملك عبد الله القيادة العامة لجيوشها في فلسطين عمد القائد العام الى تعديل حتى اتجاه دخول الجيوش العربية لفلسطين واصدر اوامره بدخول الجيش السوري عبر سمخ بعد ان كان مقررا له ان يدخل مع الجيش اللبناني من الشمال مما خلق خللا في التوازن الاستراتيجي للقوات العربية وترك ثغرة واسعة بين الجيش السوري واللبناني ادى بهذا الاخير الى الانتقال الى الدفاع .. كما عدل اتجاه دخول الجيش العراقي ليكون عبر منطقة جسر المجامع الخ .

ـ القوات العربية .

لم يكن باستطاعة القيادات العسكرية في كافة البلاد العربية الاستعداد الكافي للمعركة . وتبعا لافادات اكثر قادة جيوش تلك الايام يتضح ان قرار الحرب لم يبلغ للعسكريين سوى قبل ايام قليلة جدا قبل يوم واحد بالنسبة لبعضهم . فمصر مثلا لم تقرر الدخول في الحرب الا يوم ١٣ـ٥ـ١٩٤٨ وابلغ القرار الى قائد القوات المصرية في فلسطين اللواء احمد علي المواوي يوم ١٤ـ٥ . ولم يشعر السياسيون بضرورة ذلك وربما كان كلام النقراشي باشا رئيس وزراء مصر انذاك يلقي ضوءا على هذه اللامبالاة فقد قال للواء المواوي : « ان المسألة سوف تسوى سياسيا وبسرعة وأن الامم المتحدة سوف تتدخل وان الاشتباكات لن تخرج في حقيقتها عن مظاهرة سياسية وليست عملا حربيا .

هكذا اذن : الصهيونية التي اعدت عدتها طيلة سنين طويلة

سترضخ للمطالب العربية فور دخول الجيوش العربية فلسطين وان الامم المتحدة التي اقرت التقسيم رغم كافة الجهود المبذولة سوف تتدخل بسرعة .. تتدخل لماذا ؟ لاية غاية ؟ لا ضرورة للفهم .

انطلاقا من هذا المفهوم زجت الدول العربية جزءا من قواتها المسلحة التي كانت بمجموعها قليلة العدد ضعيفة التدريب مفتقرة الى الوسائط ، وبلغ حجم القوات العربية على جميع الجبهات حوالي . خمسة عشر الف رجل مقابل ٦٧ الف يهودي مدرب ومسلح .

هذه هي الصورة العامة لحرب العام ١٩٤٨ فهل هي حرب عربية اسرائيلية ام انها حرب اسرائيلية حرب من جانب واحد اقتصر فيها الجانب الآخر على ردود فعل مرتجلة ؟

العدوان الثلاثي على مصر العام ١٩٥٦
او الحرب العربية ـ الاسرائيلية الثانية

دعيت حرب السويس العام ١٩٥٦ بالحرب العربية ـ الاسرائيلية الثانية وفي هذه التسمية الكثير من التجني ومجافاة الواقع . ففي ذلك العام وقع عدوان ثلاثي غادر على مصر العربية كانت اسرائيل احد اطرافه . فقد تعاونت فرنسة وبريطانيا على تحضير وتخطيط عملية عسكرية ضد مصر الثورة لاسباب متعددة خاصة بكل منهما و قد استغلتا قرار الرئيس عبد الناصر بتاميم قناة السويس شعارا لتغطية الاسباب الاخرى. وبغية خلق عذر مناسب لتدخلهما اقترحت فرنسة اشراك اسرائيل بالعملية وتم الاتفاق على ذلك .

ولكن الواقع ان فرنسة وبريطانيا لم تجرا اسرائيل الى الحرب فان هذه الاخيرة كانت تحضر لها منذ امد طويل . ويقول موشي

دايان في مذكراته عن معركة سيناء ـ صفحة ١٢ ـ انه قابل بن غوريون يوم ٢٣ تشرين اول ١٩٥٥ وفي نهاية الحديث : « اصدر لي أمرا بالاستعداد للاستيلاء على تيران لتاكيد حرية الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة والبحر الاحمر » . كما تشير وثائق بن غوريون التي اصدرها بارزوهار العام ١٩٦٨ ان دافيد بن غوريون طلب في نفس هذا الاجتماع مع دايان ان « تكون هناك خطط اضافية لاحتلال قطاع غزة وللسيطرة العسكرية الكاملة على سيناء . وهذا يدل بوضوح على وجود استعداد مسبق للحرب وكانت اسرائيل تنتظر الوقت المناسب فوجدته في الاشتراك مع فرنسة وبريطانيا .

كان هناك اذا قرار سياسي بالحرب لدى دول العدوان وخطط عسكرية موضوعة وقوات عسكرية كافية ومستعدة في حين لم يكن لدى الجانب العربي اي قرار سياسي بل على العكس استغل قرار التاميم القومي لشن العدوان . ولم تكن هناك خطة للحرب اللهم سوى الخطط الدفاعية التي تعدها كل دولة في العالم للدفاع عن نفسها . كما لم تشترك في تلك الحرب سوى القوات المصرية وحتى هذه لم تسنح لها فرصة القتال اذ سرعان ماصدرت لها الاوامر بالانسحاب من سيناء اثر التدخل العسكري الفعلي للقوات الفرنسية ـ البريطانية .

لقد اصيبت سمعة المقاتل المصري وبالتالي العربي في الصميم اثر تلك الحرب رغم ان النتائج السياسية لعدوان ١٩٥٦ لم تكن في صالح دول العدوان .

فهل يمكن اعتبار هذا العدوان الثلاثي حربا عربية اسرائيلية ؟

عدوان حزيران ١٩٦٧
او الحرب العربية ـ الاسرائيلية الثالثة

في صباح الخامس من حزيران العام ١٩٦٧ شن الطيران الاسرائيلي غارات جوية مفاجئة ومكثفة على معظم القواعد الجوية المصرية مدمرا القسم الاعظم من القوى الجوية المصرية وسيطر تماما على الاجواء العربية مما سمح للقوات البرية الاسرائيلية بالتوغل السريع داخل سيناء وبلوغ قناة السويس خلال أيام معدودات ثم تحولت الى الجبهة الاردنية فالسورية واحتلت الضفة الغربية والجولان .

حضرت اسرائيل لهذا العدوان فترة طويلة من الزمن ويقول الجنرال مردخاي هود قائد القوى الجوية انذاك « لقد حضرنا خطتنا هذه وتدربنا عليها طيلة ستة عشر عاما . وبعد ان اكملت اسرائيل استعداداتها بدات بتهيئة الظروف المناسبة للبدء بالعدوان فاستغلت اعمال الفدائيين الفلسطينيين لتطلق التصريحات التهديدية للدول العربية المجاورةمنذرة بالتدمير وحتى بقلب انظمة الحكم . منها خطاب ليفي اشكول بتاريخ ١١ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ في اجتماع لحزب الماباي انه اصبح من الضروري على اسرائيل ان تقوم بعمل ضد سورية لا يقل عنفا عن اشتباكات السابع من نيسان .

وبتاريخ ١٢ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ ذكرت وكالة يوناتدبرس انمصدرا اسرائيليا رفيعا قال : «اذا استمرت سورية في دعم عمليات التخريب داخل اسرائيل فان ذلك سيتبع بالضرورة قيام اسرائيل بعمل عسكري لقلب نظام الحكم في سورية » . وكان قد سبق هذه التصريحات اقوال مماثلة قادت بالضرورة الى قيام سورية

باتخاذ الاجراءات الدفاعية على حدودها ودخول الجيش المصري الى سيناء لارتباط مصر وسورية بمعاهدة دفاع مشترك .

اي ان الحشود العربية ردة فعل على تهديدات اسرائيل ولم تكن نتيجة لقرار سياسي عربي بالهجوم على اسرائيل .

وعملت اجهزة الدعاية الاسرائيلية ووسائل الاعلام العالمية المسيرة من قبل الصهيونية على استغلال هذه الحشود واظهارها بشكل خطر داهم يهدد بالقضاء على اسرائيل . الواقع ان العرب كانوا يتحدثون عن الحرب وهم لم يبذلوا جهدا للاستعداد لها في حين ان اسرائيل قد هيات كافة متطلبات الحرب وتتحدث عن السلام . ويقول الجنرال ميتيتياهو بيليد في السابع عشر من شهر اذار ١٩٧٢ : انني ارفض تماما القول بأن الاسرائيليين كانوا معرضين لخطر الابادة افرادا او جماعات . لقد حشد المصريون في سيناء ٨٠ الف جندي فوضعنا في مواجهتهم مئات الالوف وانني مقتنع بأن الحكومة لم تسمع قط من هيئة الاركان ان التهديد العسكري المصري كان يشكل خطرا بالنسبة لاسرائيل او انه لم يكن بامكان اسرائيل التغلب على الجيش المصري الذي عرض نفسه بنفسه وبحماقة مذهلة لضربة الجيش الاسرائيلي القاضية » .

الجنرال وايزمن وزير الدفاع الحالي يؤكد كلام بيليد فقد صرح لصحيفة هاارتس ٢٩ اذار ١٩٧٢ قائلا : « انني موافق بانه لم يكن هناك خطر ابادة بالنسبة لوجود اسرائيل ولكن ذلك لايعني انه كان بمقدورنا ضرب المصريين والاردنيين والسوريين . فلو لم نفعل ذلك لما استمرت دولة اسرائيل بالعقلية نفسها وبالطابع ذاته » .

من هذا يتضح انه لم يكن في العام ١٩٦٧ اي قرار سياسي عربي لخوض حرب هجومية ولم توضع خطط فعلية لذلك الا الخطط التي تضعها كل قيادة لتكون دليلها في التدريب والاستعداد ولم تكن القوات العسكرية مستعدة بل كانت كافة التصرفات العربية سواء السياسية او العسكرية عبارة عن ردود فعل .

حرب ١٩٦٧ ايضا كانت حربا اسرائيلية بحتة تحملت نتائجها القوات المسلحة العربية التي لم تتمكن من العمل بحرية بل اقتصرت معاركها على مناطق محدودة . في الوقت الذي كانت هذه القوات ضحية في عدوان ١٩٦٧ وليست مسببة للكارثة .

حرب تشرين التحريرية او الحرب العربية ـ الاسرائيلية « الاولى »

كان واضحا منذ البداية ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ومع ذلك امكن للدعاية الاسرائيلية ان تقنع الراي العام بانها هي الراغبة بالسلام وان العرب هم العقبة الرئيسية في سبيل حل كل القضية . فعملت الدبلوماسية العربية على كشف زيف هذا الادعاء بتعاونها الصادق مع مختلف الجهات العالمية على حل قضية الشرق الاوسط بالطرق السلمية مطالبة فقط بحقوقها المشروعة التي نصت عليها كافة مواثيق وقرارات الامم المتحدة . وثبت للراي العام العالمي ان اسرائيل هي العقبة على طريق السلام وليست الدول العربية .

وبعد ان استنفذت كل من مصر وسورية كافة الجهود اتخذتا قرارا سياسيا بخوض الحرب كان هذا اول قرار عربي من من نوعه اذ اتخذ عن ادراك كامل للواقع وانطلق من قاعدة متينة ترتكز على قوات مسلحة مدربة وعلى شعب مؤمن بحقه وقضيته .

ثم بلغ هذا القرار الى القيادة العسكرية فوضعت الخطط العسكرية اللازمة لتحقيقه اخذة بعين الاعتبار الامكانيات الفعلية المتوفرة او التي يمكن توفيرها وكذلك التدابير الضرورية لاستغلال نقاط الضعف لدى العدو وشل نقاط القوة لديه وعلى اساس هذا المخطط جرى اعداد القوى والوسائط اللازمة للتنفيذ .

لقد تم تحضير وتنفيذ حرب تشرين في ادق واصعب الظروف . دوليا العالم يعيش مرحلة استرخاء فرضته الدولتان العظميان مما يحرم الدول الاخرى من تجاوز خط معين يتعارض ومصلحة هذه السياسة الدولية . المقاتل العربي متحمس مندفع يتابع تدريبه ولكنه يعيش حالة نفسية صعبة نتيجة بقائه فترة طويلة في الدفاع . الوطن العربي لا يزال في مرحلة التفكك .

حرب تشرين هي اولى الحروب العربية . فقد اخذالعرب « المبادأة » بدل رد الفعل وانتقلوا الى الهجوم بدل الاستكانة للدفاع . خططوا ونفذوا الحرب وبنجاح ذلك لان « القرار » السياسي » كان محددا واضحا ولان « الخطط العسكرية » كانت مدروسة وواقعية وملائمة للوسائط المتوفرة وقد ساعد على ذلك وحدة القيادة السياسيةوالعسكريةمفهوماومعرفةوعقيدة .

حرب تشرين هي الحرب العربية الاولى ولكن نتائجهافاقت بكثير ما هو متوقع من تجربة فعلية أولى . فقد كانت ــ مفاجأة العصر ــ للعالم كله قبل ان تكون ــ جزئيا ــ لاسرائيل . فقد كانت القوات المسلحة العربية بأعين العالم في ادنى درجة الم تهزم خلال عدة جولات ؟ . الزعماء العرب يعدون ولا يفون . الدول العربية تزداد ابتعادا من بعضها كلما حاولت التقارب في الوقت الذي كانت اسرائيل في اعلى درجات القوة . فالجندي

الاسرائيلي افضل جندي في العالم وكذلك الطيار والقائد ولــــدى اسرائيل افضل جهاز مخابرات في العالم . اي باختصار كــــان العرب بأقتم صورة عسكريا على الاخص وكانت اسرائيل في ابهى حلة . من هنا جاءت المفاجأة كبيرة . فقد احسن العرب التخطيط وفاجأوا اقوى مخابرات العالم وحطموا كافة اسس نظريات الامن الاسرائيلية واقتحموا الخطوط الحصينة ودمروا القوات الاسرائيلية

واجبروها على الانسحاب واحسنوا استخدام الاسلحة الحديثـة وطالت مدة القتال الخ .. ودب الذعر في اسرائيل وسقطت الهالات عن رؤوس ابطال الحروب السابقة فتبادلوا الاتهامات بالتقصيـر وسوء التقدير وبدات اسرائيل تشعر بانها على وشك الانهيـــار فاستنجدت بالولايات المتحدة الامريكية فافرغت هذه ترسانات اسلحتها لتسمح لربيبتها بالصمود .

اخيرا لقد بدات حرب تشرين كما يجب ان تبدأ الحروب ولكنها لم تنته كما كان المفروض لها ان تنتهي .

بدات حرب تشرين بقوات سورية ومصرية اي بجزء مـــن القوات العربية وقد امكن لهذا الجزء تحقيق اهداف كبيرة ومـــع استمرار المعارك بدأ العرب من كافة اقطارهم يساهمون بالمعركة لاول مرة زجت الوسائط غير العسكرية في الصراع وبدات طلائع القوى العسكرية العربية تصل الى مسارح العمليات اي بـــدأ الجانب العربي يزداد قوة مع استمرار القتال والعدو الاسرائيلي يزداد ضعفا نتيجة توزع قواته على جبهتين والخسائر التي منـي بها وتطويق جزء منها في الجبهة الشمالية وعلى الضفة الغربية لقناة السويس اي اصبح مشرذما . واستعدت القوات العربية للقضاء عليه بهجوم مضاد قوي . في هذه اللحظة اي في الوقت الـــذي

اصبحت فيه الحرب « عربية » فعلا بالمعنى الشامل للكلمة في هذه اللحظة قبل الرئيس السادات وقف اطلاق النار .

ولو نظرنا الى هذا القرار بحسن نية لقلنا ان اعصابه خانته عند اول ازمة (ثغرة الدفرسوار) وان كان هو بالذات سببها بايعازه بوقف التقدم المصري الى عمق سيناء بعد العبور الرائع لقناة السويس .

ان ما يميز القائد الناجح عن سواه هو صموده في وجه الازمات مهما اشتدت ان كان يجوز لنا ان ندعو ثغرة الدفرسوار ازمة . فالحرب الحديثة حرب مناورة تتحرك قوات الطرفين في اتجاهات متعددة وليس خرق جبهة في قطاع ما حالة شاذة في مثل هذه الحروب . الشاذ هو التوقف عن متابعة القتال عندما تتوفر الامكانية لتدمير العدو . الشاذ هو الخروج عن مضمون القرار السياسي والخطط العسكرية بشكل منفرد دون اي تشاور مع اخوة السلاح .

حرب تشرين هي اولى الحروب العربية منها سننطلق الى الثانية اذا لزم الامر حاملين معنا كافة الدروس المستفادة منها لاسترداد حقنا الكامل .

حرب تشرين
والابداع المتعدد الجوانب

آ ـ دروس حزيران ١٩٦٧

لقد كان حزيران نكسة عسكرية مرة ، كما كـان ولادة لعقل عربي جديد . عقل يبحث عما خلف الظواهر ليصل الاسبـــاب فيدركها ، وهكذا بدات عملية تشريح حزيران وما قبل حزيران لان شخصية الامة تاريخها . كما بدات عملية تحليل الواقع بكـل ابعاده ، فكانت النتائج التالية دروسا حفرت بعمق في الوعــي العربي وهــي :

اولا ــ ان العالم لا يحترم الا الاقوياء .

ثانيا ــ ان ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة

ثالثا ــ يمكن ان تكون للوحدة العربية صور متعددة ولكم اهم ما يجب العمل على تحقيقه هو وحدة الهدف .

رابعا ــ ترى بعض القوى في العالم ان من مصلحتها الابقاء على حالة اللاسلم واللاحرب .

خامسا ــ الدعم الامريكي الكامل لاسرائيل في جميع المجالات ولا سيما في مجال التسليح .

سادسا ــ غرور اسرائيل وتحديها للراي العام العالمي وقرارات الامم المتحدة ومجلس الامن واصرارها على البقاء في الاراضي العربية المحتلة بالقوة ورفضها الاعتراف بالكيان الفلسطيني .

سابعا ــ يعتمد العدو على نظام التعبئة والذي يعتقد انـــه دقيق وسريع .

ثامنا ـ يتمتع العدو بتفوق جـــوي وبقدرة على تهديـــد اهدافنا في العمق .

تاسعا ـ يرتكز العدو على مانع مائي قوي اقام خلفه مباشرة خطا دفاعيا حصينا (خط بارليف) .

عاشرا ـ اقتناع العدو بكفاءة اجهزة مخابراته وبتحصيـــن مواقعه الدفاعية وبتفوق قواته .

حادي عشر ـ تشكيل القوة الرئيسية للقوات الاسرائيلية من المدرعات والعناصر الميكانيكية وتمتعها بخفة حركية عالية وقدرة كبيرة علــى المناورة .

ثاني عشر ـ قدرة اسرائيل محدودة على خوض حرب طويلة .

ثالث عشر : تحقق لاسرائيل عمق استراتيجي وفرته سيناء بعد عدوان ١٩٦٧ ، ومدى تأثير ذلك على عمليات العدو وعملياتنا.

رابع عشر ـ وجود نظام دفاع جوي عربي حديث وقوي .

خامس عشر ـ التفوق الساحق لعناصر مدفعيـــة الميـــدان العربيـــة .

سادس عشر ـ التفوق العددي للقوة العربية البشرية .

سابع عشر : ارتفاع كفاءة ونوعية المقاتل العربي بعد حرب ١٩٦٧ ، بالتدريب والتوعية .

ب ـ اسس الاستراتيجية العربية التي خلقت تشرين :

في ضوء الدروس السابقة وفي ضوء هذه الاعتبارات وغيرهـــا رسمت القيادة السياسية العربية السورية استراتيجيتها الجديدة اعتمادا على اسس ومبادىء اهمها مايلي :

أولا ــ وضع دول العالم امام مسؤولياتها .

ثانيا ــ عزل اسرائيل سياسيا .

ثالثا ــ العمل على اقناع القوى الكبرى العالمية بان مصلحتها الحقيقية مع العرب .

رابعا ــ اتخاذ سياسة اعلامية مدروسة ومتناسقة لخدمة الهدف السياسي العام .

خامسا ــ حسن استخدام كل الطاقات المتاحة في المعركة حتى يمكن ضمان تحقيق النجاح .

سادسا ــ الاستمرار بالظهور بمظهر من يلح بطلب الحل السياسي

سابعا ــ الاستفادة الى اقصى حد من نقاط ضعف العدو ولا سيما الغرور الاسرائيلي .

ثامنا ــ هدم نظرية الامن الاسرائيلي ، التي تعتمد على الحدود الآمنة .

تاسعا ــ حرمان العدو من المبادأة ولا سيما حين بدء القتال

عاشرا ــ تأكيدنا وترسيخنا لقناعة العدو اننا مسالمون مخذولون وان الوقت ما زال مبكرا جدا على اتمام الاستعداد للمعركة .

حادي عشر ــ العمل على ازالة الفتور في العلاقات العربية .

ثاني عشر : التنسيق الكامل في كل الاصعدة بين القطرين العربيين سوريا ومصر .

ج ــ اسباب قرار الحرب .

لقد خرجت القيادة السياسية العربية بنتيجة ، بعد ان

اعادت دراسة الموقف وتقييمه ، مؤداها انه لا حل ولا اتجاه نحو اي حل الا بالقيام بعمل عسكري لاسباب هي :

اولا ــ مصلحة القوى الاستعمارية الكبرى في الابقاء على الوضع كما هو ولابقاء اسرائيل ضاغطة على الدول العربية لمنعها من ملاحقة التطور وابقائها على ما هي عليه من تخلف وذلك تيسيرا لهذه القوى للاستمرار في استنزاف ثروات شعوب المنطقة واستغلال مواردها وطاقاتها لخدمة مصالحها .

ثانيا ــ لقد وصل الغرور الاسرائيلي بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ الى حدود خيالية لدرجة اسكرت اسرائيل فهي تتحدى ليس الدول المحيطة بها فقط ، او حتى الدول العربية كلها وانما تتحدى ايضا الراي العام العالمي وقرارات مجلس الامن والامم المتحدة وتصر على الاستمرار في احتلال اراضي الغير بالقوة وترفض ان تعترف ليس بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وانما بالوجود الفلسطيني ذاته ايضا .

ثالثا ــ ان اسرائيل قد اخذت تعربد بقوتها العسكرية في المنطقة بشكل جعل العالم ينظر الى سكوت العرب على انه استسلام الضعيف وليس على انه صبر القادر . من كل هذا اتخذت القيادة السياسية العربية قرارالحرب فكان قرارا تاريخيا لم يقتصر اثره على منطقتنا فحسب بل شمل العالم اجمع ، كما لم يكن هذا الاثر محدودا بوقت القتال فحسب بل انه تعداه الى اماد طويلة مقبلة ، ولم يكن اثر القرار محصورا في النواحي العسكرية ، ولكنه اثر ايضا في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ثم انتقل قرار الحرب الى القيادة العسكرية لترسم خططها بعد اجتماع هام بين الرئيسين الاسد والسادات في الاسكندرية

وتتالت الاجتماعات ونوقشت ودرست الخطط الموضوعة من كل الوجوه ، وكان التركيز على تطبيق معظم مبادىء الحرب ولاسيما المفاجأة التي سنوضحها بدراسة ما ابدعه العرب فيميادين الزمان والمكان ووسائل الصراع وطرائق استخدام وسائط الصراع .

د ـ الابداع بخطة الخداع السياسي ، والتفاعل بين الاستراتيجية والتكتيك :

قال الرسول العربي : (الحرب خدعة) وهكذا قام العرب في سورية ومصر بأروع مناورة سياسية لخدمة وتحقيق اهدافهم الحربية العادلة ، فقد اوعز لاجهزة الاعلام في الجمهورية العربية السورية ان تبرز اهمية زيارة الرئيس حافظ الاسد القادمةللمناطق الشرقية ، وهكذا ركز التلفزيون والاذاعة والصحف معظم الانباء حول الاستعدادات للترتيبات لزيارة الرئيس القائد واهداف هذه الزيـــارة .

كان ذلك قبل حرب تشرين بايام ، مما طمأن العدو الصهيوني على انشغال الدولة بكاملها بالامور الداخلية عن كل ما هو حرب او تحريـــر .

كما بدات اجهزة الاعلام العربية في القطرين العربيين مصـر وسوريا بحملة كبيرة تظهر خوف الجمهوريتين ، ولاسيما القطـر العربي السوري من هجوم اسرائيلي مباغت بحرب خاطفة وكثـرت النداءات الى دول العالم لتاخذ مسؤولياتها في حفظ الامن والسلام الدوليين من المحتلين الصهاينة ، كما اثار الاعلام العربي موضوع الحل السلمي وضرورة ايجاد حل بالطرق الدبلوماسية للوضع في المنطقة ، مـع العلم المسبق ان اسرائيل لـن تنسحب مـن أي شبر دون قتـــال .

لم تكن جولة حافظ اسماعيل مستشار رئيس جمهورية مصر انذاك العام ١٩٧٣ ، الى موسكو ولندن وواشنطن ، وحضـــوره لاجتماعات الامم المتحدة ، ثم زيارته لبون ، الا حلقة مــن حلقات الخداع الاستراتيجي ، وكذلك ذهاب وزير خارجية مصر السيد محمد حسن الزيات آنذاك الى نيودلهي وبكين ، ثم اجتماعه يوم الخامس من تشرين الاول العام ١٩٧٣ م مع الدكتور هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية ووزراء خارجية المملكـة العربية السعودية،والمملكة الاردنية الهاشمية،والجمهوريةاللبنانية.

وصرح ماكلوسكي المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية بان اجتماعات كيسنجر مع الوزراء العرب لم تات بجديد ، ولم يقدم كيسنجر مشروعا جديدا للسلام في الشرق الاوسط ، وانه اتفـق مع ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل على ان يستانف معه مناقشـة ازمة الشرق الاوسط عند عودة ايبان للولايات المتحدة الامريكية في كانون ١٩٧٣ .

للولايات المتحدة الامريكية في ايران قاعدة سرية ، وبالضبط في جنوبها قرب الخليج العربي مهمتها التقاط الرسائل الاذاعيـــة السياسية والعسكرية فيدول الشرق الاوسط الا انه عندما سالت المخابرات الاسرائيلية المخابرا تالامريكية عن نوايا مصر في الهجوم قيل لهم ان مصر تعد لمواجهة ضربة اسرائيلية متوقعة تقوم بهـا انتقاما لما حدث في معسكر (شوناو) بالنمسا وقالتجولدامائيرآنذاك: (طمنوا العرب فاننا لن نقوم بهجوم عليهم) .

وهكذا اكتملت حلقة اخرى من حلقات الخداع الاستراتيجي، رغم وجود هذه القاعدة التجسسية ، ورغــم وجــود مخابرات امريكا وغيرها في المنطقـة .

صدرت الاوامر التحذيرية للباعة والتجار بتامين حاجيات الشعب في شهر رمضان المبارك،ولاسيما المواد التموينية الاساسية، وقد تناقلته وكالات الانباء سريعا كدلالةعلىانشغال الحكومة المصرية في المشاكل الداخلية .

قامت القيادة العسكرية في القطر العربي السوري بتسريـــح مجموعات من العسكريين الموجودين فعلا في الخدمة العسكرية ، وهذا العمل كان في نظر القيادة الاسرائيلية السياسية والعسكرية، لاسيما بعد عدم الرد بالصواريخ على هجومهم الجوي قبيل حـــرب تشرين ، دليلا قاطعا على عدم استعداد العرب السوريين للحرب او لاي عمل عسكري .

في جمهورية مصر العربية اصدرت القيادة العسكرية اوامرها بالسماح للعسكريين بالذهاب في اجازات الحج ، وقد منحت القيادة عددا كبيرا من العسكريين اجازات مختلفة ، واذا بشوارع مصر تعج بالمجازين ، وهذا مظهر يدل على عدم استنفار الجيش .

كما اصدرت القيادة العسكرية المصريـــة اوامرها في صباح السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ الى مجموعات من الجنود العرب المصريين بخلع ثيابهم والسباحة الهادئة في قناة السويس كما قامت مجموعات اخرى بالجلوس على الطريقة الشرقية وتظاهرت بالكسل والتثاؤب والعبث بالمياه ، كما صدرت الاوامر لاخرين باللعـــب واللهو الظاهر بمختلف انواعه .

وهكذا نام العساكر في خنادقهم منذ الليلة السابقة للهجـوم بدون خوذات ودون ان يظهر اي منهم راسه خارج الخندق باستثناء المكلفين كمجموعات خداع ورصد .

هـ ـ الابداع في الزمـــان :

لم يكن تحديد يوم السادس من تشرين الاول العام ١٩٧٣ ، وبالضبط الساعة الثانية ظهرا ، من قبيل المصادفة ،او كيفمااتفق، وانما تحدد اليوم ، وتحددت الساعة بعد دراسات مستفيضة فقد

كان هنالك اختلاف بين طبيعة الجبهتين المصرية والسورية مـــن الناحية التضاريسية والطوبوغرافية والمناخية .

كان القادة والمختصون قد طرحوا للبحث والنقاش رايين متباينين ، ومختلفين فالمصريون لا يمكنهم العبور الا بعد دراسات علمية هائلة لطبيعة المد والجزر لبرزخ السويس ومعرفة منسوب المياه في اليوم والساعة وسرعة تيارات المياه لتحديد ارتفاع الجسور ولدراسة تأثير ذلك على مجمل العمليات الحربية .

والهجوم صباحا يعطي للعدو اثمن وقت في النهار لمدة اثنتي عشرة ساعة يستطيع خلالها تدمير رؤوس الجسور بالطيران ، كما كان المصريون بامس الحاجة لليلة مقمرة كي يتمكن المهندسون مـــن تركيب الجسور خلال الليل وكي تتمكن القوات من اتمام عبورها ليلا اضافة الى ان هجومهم صباحا يجعل الشمس في وجوههم .وفي ظهر العدو ، مما يجعل معظم عمليات الرصد والمراقبة والطيران في غير صالح القوات المصريـــة .

بينما تتناقض هذه المعطياتمع ظروف الجبهـــة السوريـــة فالهجوم صباحا يجعل الشمس خلف ظهر القوات السورية ، وفي وجوه العدو .

كما ان طبيعة الجولان تهيء مع الفجر تمويها واخفاء جيدا بواسطة الغيوم المنخفضة ، ولا سيما في الساعات الاولى للصباح

ولا اشك ان اي مقاتل في الجولان يعرف قيمة هذه العوامل ، ولا غرو في ان هناك تباينا واضحا فيما تريده او تفرضه طبيعة كل جبهة.

وحين عرض الامر على الرئيس القائد حافظ الاسد قرر بما عرف عنه من نظرة قومية شمولية ، ان يتم الهجوم في الوقت الذي يهيء للقوات المصرية افضل الظروف ، وحتى لو كانت في غير صالح القوات العربية السورية ، لان نجاح مصر هو نجاح للعرب ونجاح سورية هو نجاح للعرب ايضا.

وهكذا وقع الاختيار على يوم السبت السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ لانه يؤمن معظم المطلوب ، كما يؤمن ليلة مقمرة تهيء جو العمل لتركيب الجسور العربية المصرية على قناة السويس .

كما حددت الساعة الثانية ظهرا لان ذلك يعطي فرصة للطيران العربي لضمان دقة القصف كما يجعل الليل كله لصالح العرب .

و ــ الابداع في المكان :

ان الهجوم الكامل الذي تم على طول الجبهتين العربيتين المصرية والسورية بطول وصل في سورية الى زهاء ثمانين كيلو مترا ، وفي الجبهة العربية المصرية زهاء ١٧٠ كيلو مترا ، لم يكن الا نتيجة دراسات علمية دقيقة ، فالمعروف ان مبادىء الحرب تتفاعل فيما بينها لدرجة كبيرة ، فقد وجد ان هجوما عربيا شاملا على طول الجبهتين يحقق مجموعة من المزايا الاساسية :

اولا ــ ان الهجوم على طول الجبهتين يعمي العدو عن اتجاه الضربة الرئيسية العربية .

ثانيا ــ ان مثل هذا الهجوم يجبر العدو على بعثرة قواته باتجاهات شتى .

ثالثا ــ الهجوم على طول الجبهتين يفسد قدرة الطـــيران الاسرائيلي ويبعثر جهوده .

رابعا ــ ان الهجوم على طول الجبهتين يحقق احتمالات اكبر لعبور الحواجز الطبيعية والصناعية التي يدافع عنها ويحتمي بها الاسرائيليون ، مثل قناة السويس وخط بارليف في الجبهة المصرية، وتلال الجولان وخط آلون في الجبهة السورية وهكذا ففي الجبهــة السورية هاجمت وبوقت واحد ثلاث فرق اضافة الى الوحدات الخاصة ، وفي الجبهة العربية المصرية تدفقت القوات عبر خمس عشرة منطقة عبور مما حقق النجاح المذهل لاختراق وعبور الجيشين الثاني والثالث ، كما حــرم العدو مــن التعــرف علــى اتجــاه المجهود الرئيســـي .

ذ ــ الابداع باستخدام وسائط جديدة للصراع :

اولا ــ لقد كانت حرب تشرين حرب المفاجآت ، فقد فاجا العرب اسرائيل كما فاجأوا العالم قاطبة ايضا ، في مجال استخدام وسائط صراع جديدة كانت اهمها الصواريخ .

ثانيا ــ على المستوى التكتيكي اقام العرب شبكة متكاملة من الصواريخ ارض ــ جو من مختلف الانواع : سام٢ ــ سام٣ ــ سام٦ ــ سام٧،اضافة الى مختلف عيارات وانواع المدفعية م\ط. وقد استطاعت هذه الصواريخ ان تحدث مجزرة في طيران العدو خــلال المعركــة .

ثالثا ــ لاتقل المفاجأة باستخدام الصواريخ ساجر وســـنابر عن استخدام الصواريخ سام ، فقد خسر الصهاينة في مطلع الحرب زهاء خمسمائة دبابة ، وهكذا قالت مجلة (التايم) في عددهـــا الصادر في ٢٢ تشرين الاول العام ١٩٧٣ ان العدو اللدود الــذي

واجهته القوات الاسرائيلية في حرب تشرين الاول هو التكنولوجيا الحديثة والتكتيكات الجديدة التي استخدمها العرب .

رابعا ــ لقد قام العرب بانشاء ملاجيء لطائراتهم في ضـوء دراستهم لحرب (١٩٦٧) مما حدا بخبراء (حلف الاطلسي)للاستفادة منها كثيرا في بناءملاجيء لطائراتهم .

خامسا : لقد كان فخرا للهندسة العسكرية العربية على مدى الايام ابداعها لطريقة (التجريف المائي) التي ابتكرها مهندس عربي مصري شاب استطاع التغلب وقهر اعجب مانع في العالم . اضافة الى سقوط اقوى خطين دفاعيين في التاريخ بـلا مبالغة همـا (خط بارليف و خط آلون) .

لقد تم تحديد ارتفاع الساتر الترابي على الضفة الشرقيـة للقناة وعلى طول مواجهة الجيش الثاني المصري باستخدام الاجهزة البصرية ، ثم تم انشاء ساتر ترابي داخل (جزيرة البلاح) لاجراء تجارب عملية داخل نطاق الجيش لتحديد معدل تجريف المياه للرمل ((ووجد ان كل متر مكعب من الرمل يحتاج الى متر مكعب من الماء لازالتـه .

وقد تمت عملية فتح الممرات في الساتر الترابي بنجاح كبير ، وكان الزمن الذي استغرقته في الجيش الثاني يتراوح من (٤ــ٦) ساعات بعد بدء الهجوم .

سادسا ــ قام المهندسون العرب بابداع خلائط اسمنتية من نوع معين وباستخدام خاص تمكنوا بواسطتها من اصلاح التخريبات التي كانت تحصل من القصف الجوي الاسرائيلي للمطارات ، وقد تجاوز العرب الزمن في اصلاح الاعطال ولا سيما في القوى الجوية ، فقد ابدعوا موادا جديدة للصق بدلا من اللحام العادي، وقد تم تجاوز

المعدلات الزمنية لبقية الجيوش . كما ابدع العرب نوعا من الخلائط الاسمنتية السائلة اي التي تشتد وتتماسك ضمن الماء ، استطاعوا بها اغلاق فوهات خزانات النابالم التي كانت تحوي (٤٦٠٠) طن من النابالم ، موزعةعلى (٢٣) نقطة بمعدل (٢٠٠) لكل خزان .

ح ـ الابداع فيطرائق القتال :

ستبقى اكاديميات العالم العسكرية ومفكروها سنين طويلة في دراسة وتقصي ما ابدعه العرب من طرائق جديدة ، في عصر العلم والتقنية وفي حرب الصواريخ والالكترون ، تعتبر ثورات في الفكر العسكـري .

لقد كان العرب امام حالة خاصة في حرب المدرعات فهم امام عدو تزوده الولايات المتحدة بآخرمبتكراتها العسكرية وبكلمايحتاجه لتحقيق التفوق على العرب وبحيث يستمر ميزان القوى لصالحه دائمـــا .

وكان لابد للعرب مـــن اعتماد وســـيلة عسكرية تحد مـــن فاعلية دبابات العدو وتسحب منه هذه الميزة وكان الصاروخ المضاد للدرع مفاجاة المعارك البرية حيث اسقط كثيرا من اهمية الدبابة في المعركة ، وقد استطاع الصاروخ م\د في يد المقاتل العربي من التصدي للدروع الاسرائيلية وتمزيقها . مما حدا بالعلوم العسكرية لان تعيد النظر فياهمية الدبابة واستخداماتها،وان تعيد النظركذلك في بنائها ومواصفاتها في ضوء نتائج حرب تشرين . .

ثانيا ـ بروز دور المشاة بشكل كبير في المعركة على الجبهتين السورية والمصرية اذ تحملوا عبء القتال على الجبهة المصرية طـوال الايام الثلاثة الاولى تقريبا .

ثالثا ـ لقد حطمت حرب تشرين مبدأ الدفاع الساكن ليسود مبدأ الحركة والهجوم فهذه المرة الاولى منذ اكثر من سبعماية سنة يخوض فيها العرب حرباهجومية وهذه هي المرة الاولى في تاريخ العسكرية العربية تطبق مبادىء الهجوم والمفاجأة والحركية العالية .

اذ من المعروف ان المنظرين العسكريين الاسرائيليين قد بنوا استراتيجيتهم على الاطمئنان لاقوى مانع في العالم قناة السويس ، وخط بارليف في الجبهة الغربية وخط آلون وتلال الجولان في الجبهة العربية السورية . حتى اطلق على هذه النظرية العسكرية (نظرية الحدود الامنة) اي شكل الارض او صنع شكل فيها يعطي الامان لمن يستثمرها .

وبعد ان سقط خط بارليف وآلون سقطت هذه النظرية الباطلة .

رابعا ـ لقد انقلبت نظريات الحرب الالية ، فلاول مرة يشترك مثل هذا العدد الضخم من الدبابات والاليات في مثل هذا المسرح العملياتي الضيق والمحدد المسالك في مثل هذ الوقت دون احراز نتائج فاصلة ...

فقد قرر الخبراء ان جبهة الجولان قد استوعبت زهاء ٢٣٠٠ دبابة وهو رقم قياسي لا مثيل له في اكبر معارك الدبابات التي حدثت في التاريخ مثل معركة العلمين او معركة ستالينغراد . ففي العلمين زج البريطانيون ١٤٤٠ دبابة مقابل ٥٥٠ دبابة المانية وايطالية ، وفي ستالينغراد كانت هناك ٨٩٤ دبابة روسية مقابل ٦٧٥ دبابة المانية .

خامسا ـ سجلت حرب تشرين اعلى وتيرة حربية لمعارك الدبابات في العالم ، من حيث الكثافة والسرعة والحركية العالية . وفي استنباط طرق قتال جديدة تتلاءم مع اغرب مسرح عمليات في

العالم وهو الجولان ففيهالجبال والتلال والوديان والسهول والانهار والمجاري والصخور ... في بقعة ضيقة مما جعل مثل هذا المسرح يخلق تكتيكيا جديدا .

سادسا ـ سقوط كل النظريات السابقة حول عمل السلاح المدرع مع سلاح المشاة فقد كانت اسرائيل تقدم الدبابات اولا تليها المشاة للتطهير وهذا ما تقره كثير من النظريات العسكرية ذات الاولويات في الفكر العسكري قبل حرب تشرين . ولكن هذه النظريات سقطت على الجبهتين ففي جبهة الجولان هاجم الاسرائيليون تل شمس بالدبابات ويصف حاييم هرستوغ ذلك السقوط الذريع بقوله ؟

(انا اريد ان استشهد على جهل قوادنا العسكريين باهمية قوات الكوماندو في الحرب الحديثة بمعركة تل الشمس في سورية .

ففي حرب ١٩٧٣ اراد قواد اسرائيل اقتحام موقع تل الشمس في سورية فماذا نراهم فعلوا ؟ لقد ارسل اولئك القواد الكتيبة السابعة المدرعة لاقتحام تل الشمس مواجهة .

ولما بدات المدرعات الاسرائيلية تزحف مواجهة ـ على التل قابلها السوريونبنيران حاميةدمرت المدرعاتوقتلت وجرحتمن فيها واخفق الهجوم المواجه اخفاقا مروعا . وهذا الاخفاق الذريع اصاب قوادنا بنكسة جعلتهم يقدرون مبلغ جهلهم .)

سابعا ـ سقوط نظرية السيطرة الجوية بالطائرات ، التي سيطرت على التفكير العسكري قبلحرب تشرين التحريرية، وظهور نظرية التكامل في الدفاع الجوي والقوى الجوية فقد كانت الاراء في الفكر العسكري انه لا توجد طريقة تتيح الحرية لعمل القوات البرية الا بالحصول على اكبر قوة وعدد من الطائرات الحديثة ولكن النظرية

العربية الجديدة ونظرية التكامل بين القوى الجوية والدفاع الجوي جعلت النظرية السابقة تسقط كما سقط الكثير من النظريات الاخرى فالتطبيق الدقيق لمبدأ التكامل في الدفاع الجوي بين الصواريخ وبين المدافع المضادة قد جعل السيطرة الجوية حلما بعيد المنال ، وهكذا تهيأت الظروف للمقاتل العربي لاخذ دوره وبيان كفاءاته وقدراته .

ولم يقف العرب عندتطبيقهم الدقيق لمبدأ التكامل في الدفاع الجوي بل كانوا يناورون في صواريخهم مابين مواضع تبادلية واحتياطية وثانوية ، اضافة الى بنائهم قواعد صواريخ هيكلية مما جعل معظم القدرة النارية الاسرائيلية تذهب هباء .

ثامنا ـ بروز اهمية تنظيم تعاون مختلف صنوف الاسلحة ففي حين كانت الطائرات الاسرائيلية تقع فريسة الصواريخ العربية كانت الطائرات العربية غالبا ما تعمل ضمن حماية الصواريخ العربية ، كذلك في حين كانت الدبابات الاسرائيلية تقع بسهولة امام المقاتل العربي بصاروخه كان المشاة في معظم الاحيان يتعاونون مع الدبابات في القوى العربية .

تاسعا ـ لقد اظهرت حرب تشرين اخفاق نظريةالتأمينالاداري والفني وغيرها ومن الامثلة على ذلك تصريح موشيه دايان التالي .

لقد نفذت . . . ذخائرنا ودمرت طائراتنا ودباباتنا ، ولولا تدفق المعونات الحربية الامريكية من الجو والبحر علينا لضاعت اسرائيل ، وقد علق حاييم هرتسوغ على تصريح موشيه دايان قائلا : ان تصريح دايان هذا كان اكبر نكسة لاسرائيل وسمعة اسرائيل في العالم .

كما ظهر ان الدبابات الاسرائيلية في جبهة السويس لم تكن

تحمل سوى قنابل خارقة اي مضادة للدبابات ، بينما لم تكن تحمل قنابل متفجـرة .

وقد جرى بعد حرب تشرين ظهور نظريات في الفكر العسكري جديدة لكيفية اعداد القوائم التي كان يجري على اساسها تخزين المعدات والذخائر ، وقد اعترف دايان بان الجيش الاسرائيلي يعاني من نفـاذ الذخائـر ...

ويكفي التنويه هنا الى ان الولايات المتحدة الامريكية قدارسلت لاسرائيل ١٥٠ الف طن شرائط معدنية للتشويش ضد الصواريخ وقد استخدمت بسرعة ،وكان ذلك في اليوم ١١ تشرين الاول اليوم السادس من القتال.

حتى ان الخبراء يقدرون ان اسرائيل لم يبق لديها في اليوم الثامن ما يكفيها للقتال الا اربعة ايام فقط ، رغم ان طلائع الامداد الامريكي قد بدأ في اليوم الثالث ، ولكن ما ان حل اليوم الرابع عشر اي اليوم التاسع من القتال حتى اصبح الامداد الامريكي بلا حدود .

ويجب ان ننوه الى ان هذه السرعة الهائلة في نفاذ الذخيرة وسببها الكثافة الكبرى في الاستخدام بما فـاق معدلات استخدام وخسائر ايـة حرب سابقـة .

عاشرا ــ سقوط نظريات المعدلات الزمنية ، اذ انه من المعروف ان كل دولة تقوم بتجارب على المعدلات الزمنية المثالية لمعظم الاعمال العسكريـة كتركيب جزء من جسر دمر اثناء القتـال وعمليـة التركيب تجري في جو المعركة الحقيقي ، فقدلا تكتمل عملية التركيب الا بعد ساعات في معظم جيوش العالم في حيـن استطاع العرب ان يعيدوا الجسور سليمة كما كانت بعد (٣٠) دقيقة من تدميرها .

حادي عشر ــ لقد قلبت حرب تشرين نظريات النقل والامداد الجوي العسكري . فهي قد احدثت شروخا كبرى في مجال النقل الجوي ، اذ دارت مختلف الاسئلة حـــول حجم طائرات النقـــل الاستراتيجية وحمولتها وسرعتها وكيفية استخدامها ، لان حـرب تشرين قد اظهرت اهمية وصول اكبر كمية من المعدات والاسلحة باسرع وقت فحتى الثانية لها كل القيمة في الحرب الحديثة .

وهكذا اتخذت القيادة الامريكية ، وهيئة الاركان في البنتاغون مجموعة مـــن الاجراءات والتدابير لتعديل نمـــوذج الطائـــرات المستخدمة حاليا في القوات المسلحة وهما (البوينغ ٧٤٧ ود.س ١٠ــ٣٠ــ٤٠) وذلك بهدف (اجراء تطور كبير في مجال النقل الجوي العسكري) وكان الحافز لاجراء التعديلات المطلوبة هو الرغبة فـــي الزيادة وتطوير قدرة الطائرة لحمل عدد اكبر من الرجال ومزيد من الاسلحة والعتاد وتحقيق هذه الزيادة عن طريق الافادة من زيادة طول الجوف في الطائرة (ج ١٤١) بحيث يتم اكتساب ما يقارب الثلاثين بالمائة في رفع قدرة الطائرة على الحمل .

ولقد وضعت القيادة الامريكية في تقديرها ، وهي تطلب تعديل الطائرات ان اسطولها الحالي للنقل الجوي والمكرس لنقل القوات العسكرية ، يضم نماذج رئيسية هي : (لوكهيد ٧٩وج ــ ٥.C و٢٧٥ لوكهيد ، و ج ١٤١ ــ) وان هذه النماذج غير قادرة على نقل فرقة من القوات المتمركزة فوق ارض الولايات المتحدة والوصول بها الـــى اوروبا خلال فترة تقل عن تسعة عشر يومـــا .

وهكذا يوضح قناعة القيادة الامريكية بعجز اسطولها وقد عبر وزير الدفاع الامريكي (جيمس شليسنجر) عن هذه الحاجة بقوله: (انني لا ارى سبيلا لتطوير استراتيجية الردع نحو الافضل لاحباط كل هجوم يشن على دول حلف شمال الاطلسي الا اذا امكن اجـراء

التجارب الناجحة ، للبرهان على أن باستطاعة الولايات المتحدة الامريكية نقل فرق كاملة الى اوروبا مع ماتتطلبه هذه الفرق من اسلحة ومركبات واعتدة لتستطيع هذه الفرق من الدخول في المعركة مباشرة ومعها قوات الدعم الضرورية ــ وتنفيذ ذلك خلال ايام قليلة فقط).

ثاني عشر ــ لقد كانت حرب تشرين صراعا بين خطين فالقيادة العربية تحاول خلال الحرب الرابعة استغلال هامش العمل الصغير المتوفر لديها واطالة امد الحرب الى اطول مدة ممكنة تسمح بها الظروف واحباط الخطة الاسرائيلية الرامية الى تحقيق الحسم في اقصر وقت ممكن ولكن محاولاتها هذه كانت محكومة بحدود لا تستطيع تجاوزها طالما انها كانت تخوض حربا تقليدية بأسلحة مستوردة .

ثالث عشر ــ ان الغرض العسكري محدد بالغرض السياسي ، وهذا ما اثبتته حرب تشرين التحريرية فعلى الجبهة المصرية ، كان الهدف واضحا وهو زحزحة موقف الجمود الدولي مما دفع اسرائيل الى تركيز جهودها على الجبهة السورية في المراحل الاولى للحرب.

كما كان للغرض السياسي المحدود اثره على الخطة العسكرية وادارة العمليات وعمقها واثره على مستوى العنف بحيث لم يتم اللجوء الى العنف الاقصى كما حصل على الجبهة المصرية بحيث اوقف الهجوم وتطويره بعد عبور القناة .

رابع عشر ــ لقد سطر العرب في حرب تشرين التحريرية فكرا عسكريا جديدا ولا سيما على صعيد الحرب الجوية فقد ابتكر العرب وطبقوا نظرية الدفاع عن المطارات ضد الطيران المنخفض اضافة الى تكامل وسائط الدفاع الجوي واستخدام البالونات كوسيلة دفاع سلبية .

كما أستحدث العرب استخدام (طائرات اعادة الاذاعة) ، لنقل المعلومات الى الطائرات اثناء الطيران المنخفض ، حيث يصعب بلوغ الموجات ذات الترددات العالية جدا الى الطائرات ذات الارتفاع المنخفض ، كما ابدع العرب طريقة لاستخدام وسائط الصراع الجوية (الطائرات) اذ اتخذت تدابير فنية تحقق الاستقلال الذاتي لكل مجموعة من الطائرات . في اعادة التزود بالوقود والتحمل بالقنابل والصواريخ في زمن بلغ في قصره نسبة قياسية .

ولسوف يذكر التاريخ انه قد حطم الطيارون العرب الرقم القياسي العالمي وهو (٣ــ٤) طلعات اذ حقق معظمهم (٦ــ٧) طلعات في اليوم الواحد مثلما اخترقوا الزمن التقليدي للاشتباك الجوي وهو (٧ــ١٠) دقائق اذ دامت بعض المعارك زهاء ٥٠ دقيقة .

كما ابدعوا نظريات وطرقا جديدة طبقت بشكل رائع في الحرب الرابعة .

لقد تشدق العدو كثيرا بانه يستطيع اعادة ملء الطائرة بالوقود والذخيرة خلال ٨ دقائق فاذا بالعرب يحطمون هذا الرقم وينجزون ذلك خلال ٦ دقائق . كما كانت جداول الرمي النظرية المرسومة من خبرات الحرب العالمية الثانية وحرب ١٩٦٧ وغيرهما تستلزم ٢ــ٣ هجمة طائرة لتدمير دبابة واحدة فيما استطاع النسور العرب تدمير اكثر من دبابة بهجمة واحدة .

الخصائص الاساسية لحرب تشرين

سمات الحروب العربية عبر التاريخ

لقد تميزت حروب العرب بصورة عامة بميزتين اثنتين هما :

١ ـ انها كانت حروبا لتوحيد العرب .

٢ ـ انها كانت حروبا للتحرير .

لقد وحدت حروب الرسول العربي العرب في الجزيرة العربية وفي الشام والعراق ، وخاض العرب معارك مظفرة من المحيط الى الخليج في حروب التحرير خلال تاريخهم الطويل . بالرغم من تتابع قوى جبارة عليهم ، فقد كانت الغلبة لهم في النهاية بفضل صمودهم البطولي وايمانهم الذي لا يتزعزع بعدالة قضيتهم مثل الحروب الصليبية والحروب المغولية وغيرها .

ولكن حرب تشرين التحريرية بالاضافة الى السمتين السابقتين تتصف ايضا بثلاث سمات اخرى :

١ ـ هي حرب سمتها الاساسية الشمول .

٢ ـ هي حرب ثورية .

٣ ـ هي حرب من اجل تحقيق السلام العادل .

هي حرب سمتها الاساسية الشمول :

تتصف الحرب الحديثة بالشمول ، فهي تنيخ بكلكلها على كل مواطن وليس على القوات المسلحة وحدها ، وتؤثر في كل خلية

من خلايا المجتمع ، وتتطلب تعبئة كل طاقة من طاقات البـــلاد ، واستخدام كمون الدولة الحربي (١) بكامله . وعندما يحين الصراع المسلح بين القوات المسلحة للجانبين المتحاربين تكون التعبئة قـد بلغت ذروتها . فيأخذ كل مواطن مكانه فيها ، وتتلاقى هذه الروافد كلها ضمن ارادة جماعية جبارة تسير بخطى حثيثة نحو النصـــر حسب الاهداف الاستراتيجية الموضوعة ، وحسب دراسة متأنية لموازين القوى العالمية والمحلية .

حرب تشرين رغم محليتها فهي حرب شاملة ورغم انها لايمكن ان توصف بالعالمية . فقد عبأ العدو كل قواه العسكرية النظاميـة والاحتياطية وما بعد الاحتياطية ، والعمالية ، وطـــلاب المدارس والفتيات والنساء وعبأ المتطوعين من ابناء الجاليات الصهيونية في انحاء العالم كله .

ونحن وان كانت تعبئتنا في سورية العربية جزئية اذ اننا لم نستدع كامل قواتنا الاحتياطية ولم نستخدم النساء ولا طـــلاب المدارس ولم نستقدم من الخارج المتطوعين . اقول رغم ان تعبئتنا كانت جزئية فقد كانت الحرب شاملة وقد دمرت العديد من مرافقنا الاقتصادية في الحرب . الا ان الجميـع كانوا في خدمة المعركـــة وشملتهم الحرب بشكل او باخـــر واثرت على حياتهم الماديـــة والمعاشية .

ونقصد بالشمول ايضا انها حرب استراتيجية ـ رغم انهــا محلية ولكن لا مجـــال للاعتراض هنا فلكل حرب محليـــة استراتيجيتها الخاصة بها ولا تتناقض الاستراتيجية مع المحليـة من هنا تبدو اهمية وضوح الهدف وامتلاك استراتيجية كاملة في اي صراع محتمل مع العدو .

وهذا لم يكن واضحا لدى العرب في الحروب الثلاثة التي خاضوها ضد العدو الصهيوني فقد كانت استراتيجيتهم ناقصة وتعبئتهم جزئية جدا ولا تتكافأ باي حال من الاحوال مع وضع اصغر جيش عربي في ايامنا هذه .

وعندما امتلكنا نحن في سورية العربية استراتيجية كاملة استطعنا ان نخوض حربا ضروسا مثل حرب تشرين التحريرية .

نقصد بالشمولية ايضا انها حرب اجتماعية فالحرب ظاهرة اجتماعية وتخضع لقوانين التطور الاجتماعي والسياسي فهي كما قال كلاوزفتيز وهو من اكبر الكتاب والمنظرين العسكريين في مسائل الحرب « ان الحرب مجرد استمرار للسياسة بوسائل اخرى » وقد كان رايه هذا وصياغته لنظرية الحرب باعتبارها استمرارا للسياسة بوسائل العنف من اكبر النظريات التي تطور على اساسها العلم العسكري الحديث .

ومن هنا فنحن لا نعتبر حرب تشرين التحريرية مجرد صراع بين القوات المسلحة العربية والصهيونية بل هي ايضا حرب اقتصادية بين الاقتصادين وحرب سياسية بين السياستين وحرب ايديولوجية بين الايديولوجيتين فاقتصادنا اشتراكي واقتصادهم راسمالي،وسياستنا تحررية وسياستهم استعمارية وايديولوجيتهم عنصرية توسعية استعبادية وتقوم على تفوق عنصري . وهذه كلها امور اجتماعية او سوسيولوجية وقديما قال كلاوزفيتز :

« ان تعلق الحرب بالسياسة يجعلها تاخذ بالضرورة صفتها فاذا كانت السياسة عظيمة قوية كانت الحرب كذلك .

ان محلية حرب تشرين لا تمنع تمتعها بصفات الشمول بالقول انها تملك اطارا دوليا استراتيجيا عالميا لانها وقعت في ظروف

الانفراج الدولي ، بما يخالف فكرة وقع فيها الكثيرون هو ان الانفراج الدولي كان مقايضة وتوزيعا لمناطق النفوذ فالجسران الجويان ، الامريكي والسوفييتي خيرا دليل على عدم صحة هذه الادعاءات . كما ان القول بعدم اهمية هذا الوفاق على مجريات المناخ العالمي الذي جرى في حرب تشرين وما بعدها خطأ في الحساب وفي التقدير .

كما ان هزيمة اسرائيل او نصف الهزيمة التي اصابت اسرائيل نتيجة لحرب تشرين التحريرية كما يحلو للبعض ان يقول خير برهان على ان الهزيمة وقعت ايضا في صفوف الامبريالية العالمية بشكل عام والامبريالية الامريكية بشكل خاص ، وعلى تعزيز مركز الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث وتتالي الانهيارات بعدها .في فييتنام ولاوس ، وكمبوديا ، وفي البرتغال وانغولا . وكأن حرب تشرين التحريرية كانت اشارة الانطلاق لهذه الثورات لتحقق انتصارها هي ايضا (*)

كما اوجدت حرب تشرين التحريرية تناقضا بين مصالح الدول الغربية ، والامريكية وساعدت على نهوض مجدد في حركة التحرر الوطني العالمية وسعرت قضية النضال ضد العنصرية والعرقية المتمثلة في اسرائيل وجنوب افريقيا وروديسيا ومن هنا سعرت الامبريالية قضية لبنان لتطفىء روح الانبعاث التي أشعلتها حرب تشرين التحريرية في الدول العربية المتحررة .

وتحاول اسرائيل استبعاد الاحكام الشمولية التي اخذت تنصب من كل جانب بعد حرب تشرين فهي تحاول استبعاد السابقة الصليبية بمحاولة البرهنة على ان السابقة الصليبية لن تتكرر في تاريخ العرب وان هناك فارقا بين الصليبيين والصهاينة لقد توصل (شارل عيساوي) الى اثبات التشابه الدقيق بين الغزوتين

الصليبية والصهيونية وتشابه المعطيـــات والعوامل الجغرافيـــة والبشرية والمؤثرات المختلفة الثقافية والدينية والبرهنة على ذلك .

وشاركه في ذلك الفيلسوف الحضاري توينبي بقوله : « ان اليهود سيضطرون في النهاية الى الخروج من فلسطين ولو طـال الصراع مع العرب الى عشرات السنين » ويشاركهما الراي بالدوين بقوله « أن اسرائيل لايمكنها البقاء لمدة طويلة وسط بحر من العرب »

ومن هنا استطيع القول ان حرب تشرين التحريرية هي بداية الزوال او بداية النهاية للدولة العنصرية الصهيونية وان مصيرها حتما مصير الفاشية والنازية .

ان الظروف الموضوعية تتكامل الى جانبنا وتتناقض من حول اسرائيل فانتصارنا حتمي في صراعنا مع الصهيونية العنصرية لاننـا نؤمن بحتمية التاريخ .

هي حروب ثورية :

لقد كانت ثورة حزب البعث العربي الاشتراكي ومازالت ثورة وطنية تقدمية ليس منذ قيامها في الثامن من اذار فحسب بل منذ اوائل الاستقلال وجلاء القوات الاجنبية . فقد اثر حزب البعـث العربي الاشتراكي ثوريا طيلة الفترة وكان لنضاله منجزات كبيرة : منها تاسيس الجيش العربي السوري من ابناء الطبقة الكادحـــة وتخليصه من ابناء العائلات الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة . ولذلك بقي هذا الجيش الذي تحول بعد ثورة الثامن من اذار الـى جيش عقائدي ثوري بكل مافي هذه الكلمة من معنى واصبح لايضم الا ابناء الجماهير الكادحة في هذا الوطن .

من هنا جاءت ثورة هذا الجيش ، وتحسسه المتواصل بامال الجماهير في الوحدة والحرية والاشتراكية ، وفي المحافظة عـــلى

الثورة . وبعد الحركة التصحيحية نشبت ثورة جديدة في صفوف الجيش هي « الثورة العلمية التقنية العسكرية » كان من نتائجها ادخال اكثر الاسلحة والاعتدة القتالية تقنية وتعقيدا كالصواريخ والاسلحة الالكترونية ، واجهزة الاتصال المتقدمة ، واساليب الاتمتة والمكننة وهذا ما بينه العماد الركن مصطفى طلاس بصورة وافية في كتابه « الثورة العلمية التقنية في العمل العسكري » وقد نوه فيه بالدور الكبير الذي قام به الرئيس حافظ الاسد القائد العام للجيش والقوات المسلحة بعد الحركة التصحيحية في اشعال شرارة هذه الثورة العلمية العارمة .

وقد استطاع الجيش العربي السوري اتقان استخدام احدث اساليب التكنولوجيا العصرية بسرعة مذهلة .

فالجيش العربي السوري ثوري في منبته في عقائديته ، ثوري في تقنيته .

ولم يكن الجيش العربي المصري اقل ثورية من الجيش العربي السوري فهو ايضا تربى على مبادىء ثورة تموز والتزم بثورة التحرر الوطني .

من هنا جاءت ثورية حرب تشرين .

وهنا ايضا ظهرت ضرورة واهمية عنصر الوحدة والتوحيد قبل بدء اعمال القتال في حرب رمضان فاعلن قيام اتحاد الجمهوريات العربية وكان ذلك تنفيذا لمبدأ توحيد العرب لصفوفهم قبل خوض اية حرب فكان في ذلك الرفيق المناضل حافظ الاسد منفذا امينا لهذا المبدأ العظيم « التوحيد قبل الحرب » ولم تكن كلمة التضامن العربي تترك شفاه الرفيق القائد طيلة يومه . وهذا ايضا بحد ذاته ثورة وروح ثورية .

كان هذا الجيش يحافظ على منجزات الجماهير وكانت الجماهير تنظر الى هذا الجيش بعين الامل الواسع الذي لا يدخله الشك .

وهذا كله هو من جملة الشروط الموضوعية التي كان يقيمها الرفيق حافظ الاسد ليدخل حرب تشرين وقد اكتملت هذه الظروف الموضوعية وهي :

الثورة العقائدية ، والثورة العلمية التقنية ، والتحام الشعب مع الجيش ، والتضامن العربي واقامة اتحاد الجمهوريات العربية.

ليس هذا فقط فحرب تشرين التحريرية ثورية ايضا بمعان اخرى :

١ ـ فهي حرب في نفس الوقت ضد الامبريالية العالمية وهذا وضع سورية دائما في الصف الاول المناضل ضد الامبريالية الامريكية وصنيعتها اسرائيل .

٢ ـ حرب تشرين التحريرية قفزة ثورية في نضال شعوب اسيا وافريقيا ضد الاستعمار والتخلف .

٣ ـ حرب تشرين التحريرية نكسة للامبريالية وانتصار لدول العالم الثالث والدول الاشتراكية بصورة غير مباشرة .

٤ ـ حرب تشرين التحريرية ثورة على الاضطهاد العنصري وثورة تحريرية للارض المغتصبة .

وهكذا فان حرب تشرين التحريرية قد دخلت التاريخ من باب الحروب الثورية العريضة التي عرفها تاريخ العالم كالحرب الثورية الفييتنامية والحرب الثورية الكورية ، والحرب

الثورية التحريرية الصينية ، والحرب التحررية الانغولية ، وغيرها من الحروب الثورية .

هي حرب من اجل تحقيق السلام العادل :

تزداد الحروب تعقيدا مع تطور التكنولوجيا الحديثة وتزداد تكاليفها ، ولكل حرب من الحروب القديمة والحديثة على حد سواء مضمونها السياسي والاجتماعي والطبقي وظروفها التاريخية التي تتم فيها .

والحروب اما ان تكون توسعية عدوانية فتدعى بالحروب الجائرة او ان تكون تحريرية تستهدف التقدم الاجتماعي والتحرر من الاستغلال والاضطهاد القومي او الدفاع عن الاستقلال الوطني وسيادة الدولة فتدعى بالحروب العادلة .

وهكذا فان الحروب التي تخوضها اسرائيل ضدنا هي حروب جائرة لانها حروب استهدفت طرد غالبية سكان فلسطين واحلال العنصريين ، محلهم ، وهدفت الى العدوان على شعب امن في ارضه واغتصاب اراضيه عنوة وتشريده بالاضافة الى الاراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧ من الدول العربية المتاخمة لفلسطين فحربنا في تشرين عادلة وشرعيةلقد عبرعن ذلكالرئيسالقائدحافظ الاسد في خطابه للقطعات العسكرية في خطوط المواجهة يوم الاربعاء ١٤-٩-١٩٧٧ .

ـ لقد قلنا نحن فعلا نريد السلام ونحن في عمق تاريخنا امة السلام وهذه حقيقة تاريخية . نحن مع الحرب العادلة من اجل القضية العادلة وضد الحرب من اجل استعباد الاخرين ـ .

والدليل على كل ذلك ايضا ان الولايات المتحدة الامريكية الدولة الامبريالية الكبيرة هي التي تساند اسرائيل وتدعمها .

فشرعية حرب تشرين وعدالتها واضحة لكل العالم ، وقد أيدنا العالم في اصداره حكما مبرما على الصهيونية بانها حركة عنصرية .

من هنا جاء خطاب الرئيس حافظ الاسد في اول يوم من ايام حرب تشرين التحريرية المجيدة الذي وجهه الى الامة العربية والعالم كله مثبتا شرعية وسلمية مقاصدنا من هذه الحرب اذ قال : « لسنا هواة قتل وتدمير انما نحن ندفع عن انفسنا القتل والتدمير . لسنا معتدين ولم نكن قط معتدين كنا ولا نزال ندفع عن انفسنا العدوان . نحن لا نريد الموت لاحد انما ندفع الموت عن شعبنا . اننا نعشق الحرية ونريدها لنا ولغيرنا وندافع اليوم كي ينعم شعبنا بحريته . نحن دعاة سلام ونعمل من اجل السلام لشعبنا ولكل شعوب العالم ، وندافع اليوم من اجل ان نعيش بسلام » .

انه من اروع الخطابات في العالم التي يلقيها قائد على شعبه وهو يخوض غمار حرب تحريرية عظيمة . وقد لاقى هذا الخطاب العظيم صدى في كافة انحاء العالم فتعاطفت معنا امم كثيرة .

من هنا جاء البرهان الناصع ان حرب تشرين التحريرية هي حرب مشروعة وعادلة ومن اجل تحقيق السلام لنا ولغيرنا .

ومن هنا نحن في هذا البلد لا نؤمن بحتمية الحروب بل نؤمن بانه سيجيء اليوم الذي تنتفي فيه الحروب يوم تتغلب ارادة الخير على الشر وتأخذ كل الشعوب حقها في الحياة وفي تقرير المصير .

القائد والقرار وحرب تشرين

قائد الحرب اهم عنصر في الحرب وقديما قال كلوزفيتز « تكون الحرب كما يكون القائد الذي يقودها وكما تكون النظرية التي تحكمها » .

من هنا تجيء أهمية القائد ، لقد كان قائد حرب تشرين الفريق حافظ الاسد رئيسا للدولة ، وقائدا عاما فحمل على كتفيه كل مسؤولية الحرب وكانت مسؤولية عظيمة وكان جديرا بها .

فما هي متطلبات قائد الحرب ؟ يمكننا القول ان هذه المتطلبات تندرج في البنود التالية :

- المعرفة العسكرية العميقة .
- القدرة على قيادة الحرب .
- الخبرة .
- عدم التردد امام الخطر .
- عظم الشعور بالمسؤولية .
- تمتعه باحترام شعبه ، وقواته .
- الايمان والثقة بالهدف والواجب .

لابد لنا من التنويه هنا الى ان هذه المتطلبات التي عددناها هي على سبيل التعداد وليست على سبيل الحصر . فان قائد الحرب والقائد السياسي اذا اجتمعا في شخص واحد كانت القيادة اكثر اكتمالا ونضوجا .

اما من ناحية المعرفة العسكرية العميقة فان الفريق الجوي حافظ الاسد تخرج من اعلى المؤسسات العلمية العسكرية في قطرنا ومر بكافة مراحلها سواء في الكلية الجوية ، أو في دورة قائد سرب جوي وكذلك في دورة ركن جوي ثم في دورة الاركان العليا التي توجت دراساته العسكرية العليا التي شملت القوى البرية والبحرية والجوية على حد سواء . فمعرفته العسكرية عميقة وشاملة .

لقد وضع السيد الرئيس حافظ الأسد نصب عينيه هدفا هو

تجاوز واقع النكسة التي احاقت بامتنا العربية في حرب العام ١٩٦٧ والتغلب على اثارها فقام بالحركة التصحيحية التي ادى انتصاره فيها الى وضع الحزب والثورة والقطر في طريق التحرير .

فخطط لحرب تشرين والتخطيط نصف النصر ، كما يقـول ف . ي سكوبين .

وكانت قدرته على قيادة الحرب تتمثل في ذكائه الهـــادىء المفرط فكان يقف امام الخريطة المجسمة بعد ان توضع عليها اخر معطيات الموقف صامتا متأملا فترة من الزمن ثم يعطي القـــرار النهائي .

كان يهتم كثيرا بتضاريس الارض في الجولان اهتماما كبـيرا لعلمه باهمية هذه التضاريس في الحرب لذلك كان يدقق معلومات الخريطة دوما ويطلب احدث الخرائط وعندما وقعت خرائط قـادة تشكيلات العدو في يديه اخذ يتأملهـــا وسر لما فيهـا من نقص في المعلومات وزادت ثقته بتفاهة مايعرفه العدو عن قواتنا .

كانت فروسية الطيار الجريء تطبع عمل ادارته للحرب بطابع متميز دوما . فقد كان من الدقة بحيث انه كان في غرفة العمليات كمن ينظر في كافة العدادات في لوحة القيادة في طائرته الميغ التي كان يقودها فكان يستوعب كل شيء بسرعة هائلة .

ولقد عرف الرئيس الاسد في حياته كزعيم طلابي . وكان في دراسته في الكلية الجوية وفي الدورات الاخرى التي قام بها خـارج البلاد يجمع بين المعرفة النظرية والعلمية على حد سواء .

ونحن مهما تحدثنا عن خبرة السيد الرئيس حافظ الاسد فلن نقول افضل مما قاله هو نفسه يصف خبرته في خطابه التاريخـي

بمناسبة الذكرى الثانية لحرب تشرين التحريرية حيث قال : قبل الحرب وبعد الحرب ، وخلال الحرب ما اعرفـــه كثير ودقيق ، والقادة العرب جميعا يعرفون انني ان لم اكن اكثر من يعـــرف الحرب ، فانا من اكثر من يعرفون اسرار الحرب .

لقد قاد حرب تشرين وحرب الاستنزاف بخبرة وحنكـــة عظيمتين .

اما عدم تردده امام الخطر في حرب تشرين التحريرية فقـد كانت هناك شوهد عظيمة . فهو عندما فكر في التخطيط لحرب تشرين كان يعلم مقدار ماسيترتب على هذا القرار من نتائج على البـــلاد كلها ، وعلى قضية العرب ، وعلى نضـــال دول العالم الثالـث ، والتحرر الوطني كله وعلى دول العالم الاشتراكي وعلى خطر نشوب حرب عالمية جديدة .

ان اتخاذ قرار اللجوء الى القوة لحسم الوضع المرير الذي نشأ بعد حرب ١٩٦٧ ولوضع حد لاحتلال الاراضي العربية بحـد ذاته يحتاج الى قوة سيكولوجية وقوة في الشخصية ، والحســم والاقدام والمقدرة والعزيمة .

تتبدى شخصية قائد الحرب الفذة في المواقف التاريخية ، وقدراته خلال مراحل تاريخية من تاريخ أمته . فحين قرر الرئيس حافظ الاسد خوض حرب تشرين كان قراره في البدء نتيجة لتحليل موضـــوعي للظروف والامكانيـــات والقدرات الفيزيولوجيـــة والسيكولوجية ليخرج القرار سليما وليكـــون له من القوة وشدة المفعول ما كان لحرب تشرين التي هزت العالم .

ويتجلى عظم شعور القائد بالمسؤولية في عظمة القرار الذي يتخذه ومقدار خطورته .

ان كون الرئيس حافظ الاسد رئيسا للجمهورية وقائدا عاما للقوات المسلحة العربية السورية يجعل قراره سياسيا وعسكريا في وقت واحد .

يمثل القرار باعتباره فعلا للارادة ، فهو لايفسر بمسبباته فحسب بل وكذلك بنتائجه . وقرار حرب تشرين هو فعل من افعال الارادة الحرة المسؤولة ويرتكز الى اسباب موضوعية هي احتلال الاراضي العربية اثر حرب العام ١٩٦٧ وهذا سبب مباشر .

ان ارادة الرئيس الحرة تجلت في شعوره بالمسؤولية عن ازالة الاوضاع السيئة التي كانت تعيشها الامة من قهر قومي وعذاب ماساوي فاقدم على الخطوة التي لابد منها ليحرر الارض العربية من ذل الاحتلال العنصري البغيض . لقد قال الرئيس في خطابه للقوات المسلحة يوم ١٤-٩-١٩٧٧ : « انني عندما اتحرك دائما واواجه كل ما اواجهه ، وكل قرار اتخذه تكونون انتم وجماهير شعبنا ماثلين امامي لهذا اتحرك واثقا ان النصر حليفي في كل حركة » .

قرار الحرب هو حصيلة مجموعة من المعطيات الشديدة التعقيد وان كانت الاسباب والمسببات تبدو بسيطة سهلة شديدة الوضوح .

فهل قدر الرئيس حافظ الاسد الموقف تقديرا صحيحا ، لقد وصلت سمعة العرب الى الحضيض بعد حرب حزيران ١٩٦٧ .

وكان الجو الدولي باردا ولم يكن لقرارات الامم المتحدة في حيز التنفيذ في الزمان والمكان موضع بل كانت القضية مسترسلة الى مالانهاية .

وكانت الاوضاع الاقتصادية تضغط بشدة .

كان الجيش والشعب يتحرق للثأر ولكن المعنويات اخذت بالانحدار لولا الحركة التصحيحية التي احيت الامال .

كان من جملة اهداف هذه الحرب ان تكون عربية التخطيط والقيادة فحافظ الرئيس على هذا الهدف محافظة كلية . وقد كانت كذلك اذ لم تتعرض اي من الجبهات او المراجع لهذا الموضوع لثقتهم التامة بذلك .. حتى لقد اعترف العدو نفسه ووسائل اعلامه بصورة اكيدة انها كانت عربية بتخطيطها ، عربية بقيادتها ، عربية بدماء شهدائها ، عربية بمقاتليها . لقد خططت في البدء في عقل الرفيق المناضل حافظ الاسد الذي كان يرى بما يملك من دقة الحس التاريخي ، وبما يمتلك من روح قومية ، وما يعرفه من شجاعة المقاتل العربي ان العرب يجب ان يخوضوا حربا ليبداوا عملية التحرير وكان توفير الشروط الموضوعية لتحقيق النصر المؤزر في الحرب هي كل ما يشغله . لذلك فقد عمل على تهيئة ما استطاع من هذه الشروط واضعا نصب عينيه استراتيجية هدفها تحرير الارض . ولابد من الاشارة هنا الى ان اشتراك القوى العربية فيما عدا مصر وسورية كان رمزيا .

لم يكن الرئيس القائد الاسد يعتبر حرب تشرين التحريرية مجرد قتال بين القوات المسلحة العربية والصهيونية فحسب بل كان يعرف انها حرب اقتصادية وحرب سياسية وحرب أيديولوجية اننا نحارب الايديولوجية الصهيونية العرقية العنصرية ، ايديولوجية وئدت في الحرب العالمية الثانية مع واد الفاشية والنازية - . ولقد كسبنا هذه المعركة في المحافل الدولية . ان ايديولوجيتنا تقوم على حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وعلى حق الشعب العربي في ارضه ووطنه ، كان الرئيس الاسد يرى ان ايديولوجيتنا ايديولوجية

الحياة وان ايديولوجية الصهيونية هي ايديولوجية الموت . وكان الرئيس يؤمن بحتمية التاريخ ولهذا فقد كان على يقين من تحقق الهدف الذي وضعه لتشرين ومن انتصارنا الحتمي في صراعنا مع الصهيونية العنصرية في نهاية المطاف .

لقد كان من جملة الاهداف التي ركز عليها الرفيق القائد في حرب تشرين الغاء الوهم القائل بان الجندي الاسرائيلي لا يغلب وان القوات المسلحة الاسرائيلية لاتقهر . فوضع امام القوات المسلحة العربية هدفا اساسيا هو التدريب المتواصل ، واستيعاب الاسلحة المعقدة الجديدة ، واجتياز الحواجز الاصطناعية والطبيعية مثل خط الون الذي لم يكن يقل عن خط بارليف اهمية وتعقيدا واتباع الهدف الموضوع باصرار وعزيمة ليتمكن الجندي العربي من الوصول الى تحقيق كل ما يريد .

تاثيرات حرب تشرين التحريرية على العلم العسكري الحديث

شهد تاريخ العالم عددا هائلا من الاصطدامات المسلحة والحروب خلال تاريخ الانسانية الطويل . ان اخر احصاء لعدد الحروب التي مرت بها الانسانية منذ خمسة الاف سنة يشير الى ١٤٠٠٠ حرب .

ويشكل الصراع المسلح السمة الحاسمة في الحرب . لقد خاضت القوات المسلحة للجمهورية العربية السورية وجمهورية مصر العربية صراعا حادا من اجل تنفيذ المهام الاستراتيجية التي اسندت اليهما . لقد استمرت حرب تشرين التحريرية وحرب الاستنزاف بعدها ما يعادل ربع سنة كاملة . كان زمام الامر معظم الوقت في يد القوات العربية .

لقد كانت لحرب تشرين التحريرية نتائج جذرية عميقة على مجمل تطور العلم العسكري في العالم كله .

رغم ان ما كتب عن حرب تشرين لم ينشر منه الا القليل فلا تزال خفايا هذه الحرب ونتائجها طي الكتمان لان الصراع لم ينته بعد ، ولم يقل العرب بعد كلمتهم الاخيرة فيها .

لقد كانت هذه الحرب موضع دراسة عميقة من قبل كافة مراكز البحوث الاستراتيجية ، ومؤتمرات البحث العلمي العسكري في كافة انحاء العالم . كما انها ادخلت في صلب برامج التدريس في الاكاديميات العسكرية العالمية ، فهي في سلسلة الحروب المحلية اخرها وهي بين حروب العرب بداية الانعطاف الحاسم نحو النصر .

لقد قال الرفيق القائد حافظ الاسد في ذكرى تشرين الثانية مقيما الاهمية العسكرية لحرب تشرين المجيدة :

ـ يوم السادس من تشرين تبرز خلاله اعظم الاحداث التاريخية في العالم ـ

ولكن لم تصدر عن دور النشر العربية والاسرائيلية الكتب التي يمكن اعتمادها كدراسة جادة لهذه الحرب ولن تظهر في الامد القريب .

لقد ظهر حتى الان ما يقارب الـ ٥٥ كتابا في العالم سواء باللغة العربية والعبرية والانكليزية والفرنسية عن حرب تشرين ويغلب على معظمها الطابع الصحفي والاعلامي . واغلب ماصدر في الغرب هو من اجل صالح اسرائيل رغم اعترافها ببعض الحقائق التي فرضتها حرب تشرين .

الا ان الصحف العالمية ، وخاصة المجلات والنشرات التي تصدر عن مراكز البحوث الاستراتيجية الامريكية والانكليزية والفرنسية قد اصدرت دراسات جادة عنها .

لقد استخدمت في حرب تشرين التحريرية اعداد من الاسلحة والاعتدة يفوق ما استخدم في اكبر معارك الحرب العالمية الثانية ، ويفوق ما أستخدم في الحرب الهندية والباكستانية ، ولم تعرف حرب فييتنام حشدا للدبابات بمثل هذا الشكل الذي ظهر في حرب تشرين التحريرية .

من هنا اتت اهمية حرب تشرين التحريرية فهي اهم الحروب المحلية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الان . لقد كان مجموع ميزان التسليح في مسرح الاعمال الحربية يعادل ماتم حشده في اكبر معارك التاريخ الحاسمة . علما بأن القدرة التدميرية للمدفع والدبابة والطائرة ، ودقة الاصابة تفوق بكثير ما كان مستخدما في الحروب المذكورة . ان الجسر الجوي الذي اقيم من قبل امريكا خلال حرب تشرين العام ١٩٧٣ لدعم اسرائيل استنزف طاقة كبيرة من قوة امريكا الحربية ومن كمونها الحربي (١)

ان الهدف المباشر لكل علم هو الوصول الى الحقيقة والهدف النهائي للعلم هو التطبيق . ويدرس العلم العسكري شروط تحضير وخوض الحرب . لقد غيرت الثورة التي احدثتها الثورة العلمية التقنية في العلم العسكري طابع هذا العلم وطابع تطوره . ولم يعد العلم العسكري يستند في دراساته الى هذه الحروب الماضية وخبراتها الكثيرة فقط والى شيء من توقعات المستقبل القريب غير البعيد فحسب ، بل اصبح يستخدم طرائق البحثالعلمي العسكري والمشاريع التجريبية ونتائج المناورات وجاءت حرب تشرين التحريرية لتصبح خير محك لاحدث انواع الاسلحة والصواريخ

الكمون الحربي : هو مجموع موارد وطاقات الدولة الكامنة لتعبأ في حالة نشوب الحرب او في مرحلة توقع نشوبها وفي تعريف اخر في معجم المصطلحات العسكرية الامريكية هي مقدرة واستطاعة البلاد على التحضير للحرب مع اعتبار العوامل السياسية و الاقتصادية والصناعية والاجتماعية والنفسية العسكرية .

والطائرات والتجهيزات الالكترونيـــة التي لم تجرب في المعارك الحقيقية التي اخترعها المعسكران الغربي والشرقي على حد سواء ولاختبار قدرة الانسان العربي على الامساك بزمام التكنولوجيـــا واصبح التكهن بالمستقبل وبشكل الحرب المقبلة (محلية كانت او عالمية) اقرب للصواب لان حرب تشرين اعطت الجواب عن كثير من الاسئلة الحيرى ، وجعلت حلف الاطلسي يعيد النظر بتقنية تسليحه من رمتها ، وجعلت الولايات المتحدة تعـيد النظـر في تنظيمـــات جيشها وتتخذ تشكيلات جديدة .

هذا بالاضافة الى التغييرات الجذرية التي جرت في اسرائيـل وقلبت الكثير من مفاهيمها في العلم العسكري ـ وفي فن الحرب وفي نظريات القتال وفي تشكيل القوات مما لا نستطيع البحث فيـــه تفصـــيلا .

ومست رياح التغيير فيما مست جانبا لا باس به من العقيدة الشرقية دلت عليها التغييرات التي ادخلت في حلف وارسو .

انني من اجل اعطاء القارىء فكرة عن التغييرات التي احدثتها حرب تشرين التحريرية في العلم العسكري وفن الحرب سأعمد في السطور التالية الى ذكر مجمـــل هذه التغييرات حســـب اخر التقديرات .

١ ـ لقد استفاد العلم العسكري في الشرق والغرب على حد سواء من وسائط القتال الجدية التي استخدمت في حرب تشريـن التي تطورت بعد الحرب العالمية الثانية بسرعة وكان استخدامهاالاول مرة في حرب تشرين مجالا للتحقيق من صلاحيتها ،وقد انعكس ذلك في اعادة النظر في تنظيمات انواع القوات المسلحة وصنوف القوات والنظريات المتعلقة باساليب ومناهج استخدامها القتالي ،

فقد ادخلت تعديلات كثيرة على انظمة القتال ، وخدمة الاركان ، والمراجع والمرشدات الرئيسية للقتال في معظم دول العالم ومنها من الغى انظمة قتاله واستعاض عنها بانظمة جديدة .

٢ ـ اتسم القتال الحديث بعد تشرين بالمناورة العاليةبالقوى والوسائط على حد سواء مع استخدام مختلف طرائق الصراعالمسلح

٣ ـ القوة تخلق القوة المضادة ، والتحدي يخلق التحديات الاكبر خاصة اذا توفرت القدرات والامكانات والظروف الموضوعية.

٤ ـ المهاجم يجب ان يكون قادرا على التحول الـى الدفـــاع الديناميكي الفعال الاستراتيجي والعملياتي .

٥ ـ الحرب المحلية غير الحاسمة يجـبان تتحول الى حـرب طويلـة الامـد .

٦ ـ لا يتوقف اختيار طرائق خوض الصراع المسلح على المهام الاستراتيجية المتولدة عن الاهداف السياسية للحرب فحسب ، بل ايضا من تلك الامكانات الحقيقية التي تملكها القـوات المسلحـــة للدولة او لتحالف الدول .

٧ ـ اعلنت حرب تشرين سقوط نظرية الحرب الخاطفـة بليتزكريغ التي كانت تعتمد عليها العقيدة العسكرية الاسرائيلية بعد احيائها في حرب العام ١٩٦٧ رغم انها وئدت مع واد النازية والفاشية في العالم لانها الاستراتيجية الملائمة للحرب العنصرية وعليها ترتبت فصائل الجيش الاسرائيلي .

٨ ـ التفوق المعنوي على العدو يلعب دورا كبيرا في العمليات القتالية وفي تنفيذ القوات للمهام القتالية. كما ان النجاحالاستراتيجي يؤثر على معنويات الخصم فتنهار بسرعة .

٩ ـ التغير التكنولوجي قادر على رفع مستوى الاداءالعسكري بسرعة ورباطة جاش اذا احسن التدريب ، وعززت تدابير الامـن والسريـــة .

١٠ ـ في اي حرب محلية لا وجود لحدود آمنة وكل نظرية تقول بوجود حدودآمنةنظرية مصطنعة لا تقوم على اساس حقيقي.

١١ ـ في العمليات الهجومية يكون النجاح حليف التشكيلات والقطعات التي عملت بروح حاسمة دون التقيد الدقيق بالنظريات التقليدية ، وكذلك للتشكيلات والقطعات التي استخدمت المناورة والتي تجنبت الهجمات الجبهية ، والتي استخدمـت مجموعـــات التخريب في مؤخرات العدو ولزعزعة قيادته .

١٢ ـ النجاح في اجتياز الموانع المائية الضخمة يمكن فقط في حالة القيام بتخطيط شامل ودقيق ، وكذلك بسرعة وحسمية عمل القوات كما ان اجتياز الخطوط الدفاعية ممكن مهماكانت قويـة فقد اجتازت القوات المصرية خط بارليف والقوات السورية خط آلون الذ يلا يقل خطورة ومناعة عن الاول والذي يشبه الخطوط الدفاعية الت ياقامها حلف الاطلسي في مواجهة الدول الشرقية . اقول اجتازت القوات المصرية والسورية هذين الخطين بسرعةكبيرة وباعمال قتالية ليلية مذهلة .

١٣ ـ اعادة اعتماد اهمية المشاة واعطائها دورا كبيرا فـــي العمليات القتالية في المستقبل .

١٤ ـ الخلاف لا يزال مستعرا بين المنظرين العسكريين وبين مفكري مراكز البحوث العسكرية في اهمية الدبابات ،لانها لم تسيطر سيطرة كبيرة على ارض المعركة .ومطالبة البعض الاخر باعادة النظر باستخدام الدبابات لان اسلحة م ـ د اصبحت ملكة المعركة .حتى

ان احد قادةالحلف الاطلسي العسكريين قال : « لو ان قوات حلف الاطلسي وقعت فيهامثل هذه الخسائر الفادحةالتيوقعت في صفوف القوات الاسرائيلية المدرعة فستصبح هذه القوات غير قادرة على القتال خلال ٤٨ ساعة » .

ولكن قيادةالجيش الامريكي كانت اسرع في الاستفادة من هذه النظرية فقامت بدراسات عميقة لخبرات حرب تشرين واعتمدت تنظيما جديدا لفرقها دعي باسم التري كاب أي فرق الامكانات الثلاث بحيث تضم هذه الفرق الدبابات ، المشاة الميكانيكية وحوامات هيليو كوبتر) الدعم الناري ثم عدلت عنه .

١٥ ـ حتى نهاية الحرب العالمية الاولى كانت العملية تتصف بالاتساع . وفي الحرب العالميةالثانية اتصفت العملية بالعمق الى جانب الاتساع . وبعد حرب فييتنام وحرب تشرين التحريرية اكتسبت العملية بعدا جديدا هو البعد الشاقولي أو العمودي واصبح في الجو نسق يوازي النسق الارضي ويدخل في النسق الجوي ، الجسر الجوي للامداد الذي تقوم به الدولة أو الدول الصديقة للدول المتحاربة عبر القارات. والانزالات الكثيفة في مؤخرة العدو بذلك اصبح للعملية ابعاد ثلاثة : (العرض والطول والارتفاع) اي اصبحت العملية الهجومية الحديثة بعد تشرين تتصف بالحجمية ويعتبر علماء البحث العلمي العسكري ذلك كله انعطافا جذريا في العلم العسكري، وفن الحرب على حد سواء .

١٦ ـ اعادت حرب تشرين للمدفعية الارضية اهميتها التقليدية فقد استخدمتها القوات العربية بكفاءة في حرب تشرين وفي حرب الاستنزاف التي تلتها مما جعل المنظرين العسكريين يشيدون باهميتها في الزمان والمكان .

١٧ ـ اهمية استخدام مختلف انظمة الصواريخ في وقت واحد ضد الاهداف الجوية والارضية على حد سواء بسبب ما اكتسبته الاجهزة الالكترونية من قدرة على التشويش .

١٨ ـ استحالت السيطرة الجوية الكاملة على ارض المعركة بسبب التوزيع المدروس للمطارات والمناورات بها وحمايتها بشكل ناجع والدفاع عنها .

١٩ ـ اهمية وضعية اللاسلم واللاحرب ووقف اطلاق النار في الحروب المحلية لاتقل عن اهمية الحروب نفسها: حيث يجب ان تتابع فيها القوات المسلحة التخطيط والتنفيذ كأن الحرب واقعة غدا فحرب الاستنزاف التي قام بها القطر العربي السوري بعد حرب تشرين طالت اكثر من ستة اضعاف حرب تشرين نفسها .

٢٠ ـ اثبتت حرب تشرين هشاشة وضعف الكيان الاجتماعي والعسكري العنصري بمجموعه الكامل في اسرائيل رغم الترسانة الهائلة ، ورغم الجسر الجوي الامريكي الذي لم يقم مثيله في العالم.

٢١ ـ ان اية حرب محلية في المنطقة « لا بد ان تؤثر على الدول الكبرى، ولا بد ان تؤثر على الوضع الاستراتيجي لدول اوربا بصورة مباشرة » .

٢٢ ـ اي نوع من انواع القوات المسلحة « القوى البرية والجوية والبحرية » لا يمكن ان يشكل عاملا حاسما بمفرده في العمليات القتالية وفي الحسم الاستراتيجي اذ لا بد من تضافر صنوف الاسلحة وانواع القوى لتحقيق الاهداف العملياتية والاستراتيجية.

٢٢ ـ ألانسان هو العامل في تقرير مصير اية حرب وعلى معنوياته العالية يتوقف النصر .

٢٤ ـ للمخابرات العسكرية والاستطلاع الاستراتيجي والعملياتي اهمية كبيرة في الحرب ولكن لا يمكن الاعتماد عليها كلية عند اتخاذ القرارات الخطيرة .

٢٥ ـ سقوط نظرية الاسلحة الهجومية والاسلحة الدفاعية .



المنعكسات الاقتصادية لحرب تشرين

لم تقتصر اثار حرب تشرين التحريرية بحكم تكاملية عناصر الاسلحة المستخدمة فيها على ميدان معين او منطقة محدودة من العالم،وكان طبيعيا انتشار اثار الحرب على نطاق واسع نظرا لاهمية الاسلحة المستخدمة وفاعليتها من جهة وخطورة طبيعة الصراع القائم من جهة اخرى لذا فان حرب تشرين تخرج عن نطاق الحروب الاقليمية المحلية وتدخل في نطاق الحروب التاريخية الهامة التـي انهت مرحلة ووضعت بداية مرحلة جديدة في حياة العالم ويبـدو ذلك واضحا على الاصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية .

لقد افرزت حرب تشرين حربا اقتصادية شاملة امتدت الى جميع انحاء العالم وتتمثل هذه الحرب الان في ذلك الصراع المرير القائم حاليا بين الدول النامية والدول المتقدمة من اجل اقامة علاقات اقتصادية عادلة ومتكافئة وبناء نظام اقتصادي جديد يمنع الاستغلال ويحقق الرفاهية لجميع شعوب العالم .

ويمكن القول انه بدأ بعد حرب تشرين عصر جديد هو عصر الثورة الاقتصادية هذه الثورة التي طغت على جميع الثورات السابقة وفاقتها من حيث الشمول وعمق التأثير انها ثورة اصحاب المواد الاولية ضد اصحاب الصناعة والتقنية الحديثة في الغرب فقد كان الغـرب يعتقـد ان المواد الاوليـة شبه مشاعـة يطالهـا مـن يريـد الـى ان جـاءت حـرب تشريـن واطلقـت الشـرارة الاولى في معركـة التحرر الاقتصـادي وابرزت مـن جديـد المعادلة التاريخية التي يتوقف عليها مصير العالم وهذه المعادلـة

تقول : ان حضارتنا الحالية قائمة على العلم والتقنية والصناعة وان العلم والتقنية والصناعة قائم على المواد الاولية قبل تشرين كانت الدول الصناعية الغربية مطمئنة الى سيطرتها على المواد الخام الضرورية لصناعتها اي لاستمرار نموها وازدهارها على حساب الشعوب التي تملك المواد الخام وتعيش في الفاقة والحرمان ولما استخدم العرب لاول مرة سلاح النفط اتضحت حقائق كانت مغمورة وادركت شعوب العالم الثالث التي تملك المواد الاولية انها تستطيع هي الاخرى استعمال ثرواتها الطبيعية في سبيل تنمية ورفاهية شعوبها . وفي سبيل استقلالها السياسي والاقتصادي وكان تحرير النفط العربي بداية الحرب الاقتصادية التي فجرتها حرب تشرين التحريرية العام (١٩٧٣) .

الآثار الاقتصادية لحرب تشرين على الصعيد المحلي :

استطاعت الحرب ان تخلق ظروفا جديدة على الصعيد السياسي والاقتصادي العربي والاسرائيلي والدولي اما على الصعيد الاقتصادي المحلي فقد استطاعت حرب تشرين ان تثير قضية التنمية وعلاقتها بالاقتصاد الحربي وعلى الصعيد العربي فجرت مسألة النفط وعودة ملكية وحقوق العرب على هذا المورد الهام وعلى الصعيد العالمي استطاعت ان تساهم في تسريع تفجر الازمة الراسمالية العالمية وان تظهر على السطح من جديد ازمة الراسمالية العالمية وتجعل الدول الراسمالية الصناعية تبادر او تقبل باجراء حوار بينها وبين الدول النامية واخذ هذا الحوار اشكالا مختلفة كالحوار بين الشمال والجنوب حينا وحينا آخر مناقشة موضوع العلاقات بين الدول النامية والدول الراسمالية الصناعية المتقدمة في مجالات وندوات الامم المتحدة .

قبل حرب تشرين كما هو معروف كان الوطن العربي كله تحت تأثير هزيمة حزيران فكان طبيعيا ان تتركز الجهود المستمرة من قبلنا لربط السياسة الاقتصادية بمتطلبات الدفاع وهي ان لم تكن تنعكس مباشرة في كل مشروع من مشاريع الخطة الخمسية الثالثة او في كل اجراء من اجراءاتنا الاقتصادية الا انها كانت على الصعيد الاستراتيجي والسياسي مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا محكما والكثير من جهودنا الاقتصادية كانت موجهة لتقوية القدرة الدفاعية للجيش العربي السوري وبالفعل كان ينعكس هذا في نسبة الانفاق العسكري في ميزانيتنا مثلا سواء في حصة الاجراءات والمنشآت الدفاعية او ما انعكس في التدابير التي كانت تتخذ حول كل مشروع انمائي كبير مثل المصفاة وسد الفرات وغيرهما من المشاريع ايجاز ما يمكن قوله اننا كنا نحضر للحرب بشكل او بآخر حتى في الميدان الاقتصادي وليس فقط في الميدان العسكري والسياسي وكان طبيعيا ان نكون كذلك لنرتفع الى مستوى مهماتنا والتحديات التي كانت تواجهنا خاصة وان ارادتنا الوطنية كانت تفرض علينا رفض هزيمة حزيران والانتصار على ارادة العدو وتحرير الاراضي المحتلة واسترجاع الحقوق المغتصبة وكان وعي قطرنا ايضا بان العدو لايمكن ان يتراجع عن مواقفه وعدوانه الا بمقدار ما يلمس فينا القوة والاستعداد ومن هنا يجب ان نشيد بما اتخذ وتحقق قبل الحرب من اجراءات وربط الكثير من الجهد الاقتصادي في تقوية الجيش العربي السوري وجعله مستعدا لخوض المعركة عندما تحين الساعة ورغم ان الحرب كانت معركة عسكرية وسياسية كبرى لكنها اثبتت ايضا بانها كانت معركة حقيقية على الصعيد الاقتصادي .

جميعنا نتذكر بفخر الحماس الشعبي والجماهيري لهذه

المعركة وبالدرجة الاولى استجابة للانتصارات التي تحققت في الميدان العسكري والسياسي وانعكاسات تلك الاستجابة على الوضع التمويني بالدرجة الاولى لكن تجدر الاشارة هنا الى ناحية هامة جدا فاذا رجعنا الى الانتاج والقطاع الانتاجي في تلك الفترة فنرى الاستجابة على اشدها وذلك في المعامل والمؤسسات الانتاجية بصورة خاصة المؤسسات التي كانت هدفا للعدو فقد كان الحماس شديدا جدا وكان الاندفاع والتطوع شبه مطلق بين كل العاملين والاخصائيين والمهندسين لمواصلة العمل مهما كانت الظروف ومواصلة الانتاج رغم القصف المدفعي او الطيران. على هذا الاساس لا بد ان يأخذنا الحماس عندما نرجع بالذكرى خمس سنوات الى الوراء ونستعيد ذكرى ايام الحرب ذاتها حيث كانت المعنويات مرتفعة الى اقصى الحدود وليس بين الناس في الشوارع فقط وانما في مؤسسات الانتاج وفي مراكز العمل وفي كل مجالات حياة الشعب العربي السوري وبمختلف قطاعاته وهذا كله يؤكد بما لا يدع مجالا للشك اننا قد خضنا في تشرين حربا حديثة جداوكانت ولا تزال احدث حرب تكتيكية واستراتيجية خيضت حتى الان اذ ان قضية الامن التمويني خلال الحرب تعكس دلالات ايجابية كبيرة وهامة ولا بد من التركيز على ان هذا الامن التمويني الذي تحقق خلال الحرب كان نتيجة عاملين اساسيين :

الاول : الشعور الوطني الذي كان سائدا خلال الحرب .

الثاني : مجموعة اجراءات لقيت التجاوب من قبل مجموع الشعب والعاملين في المؤسسات التموينية والمسؤولين اذ ساهم في خلق الامن التمويني خلال الحرب شعور وطني عام اذ التفت الجماهير حول مسالة اعتبرتها مسالة مصيرية، واجراءات تمت على

صعيد التطبيق كانت تلقى اندفاعا كاملا وكانت تلقى ايضا التشجيع والدعم من المسؤولين لكن في الحقيقة لا بد لنا من عودة الى واقع التموين والتجارة الداخلية والاجراءات التي تمت بشكل سابق للحرب فموضوع توفير المواد والسلع باسعار وكميات وجودة مناسبة كان من اول الامور الهامة التي تصدى لها الحزب منذ العام ١٩٦٣ وجاءت مقررات الحزب تباعا تشير الى اهمية هذا الموضوع وتعتبر ان مسألة توفير المواد والسلع بالكميات والمواصفات والاسعار المناسبة قضية حيوية لا بد ان تتصدى لها الدولة .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان وزارة التموين كانت اول الجهات الرسمية في الدولة التي عملت في سبيل وضع ما يسمى بخطة عمليات واستطاعت ان تستفيد من التجربة ومن الدروس التي استخلصتها خلال حرب العام ١٩٦٧ ولذلك كان التركيز على أن هنالك احتياجات أساسية لا بد من وضع خطة لتأمينها سواء من الانتاج المحلي او من الاستيراد .

شيء آخر لوحظ أثناء حرب تشرين هو ان العدو الصهيوني كان يوجه ضربات قاسية ضربات عدوانية غادرة الى منشآتنا الاقتصادية والحيوية وخاصة الى قطاعين اساسيين هما :

القطاعان الاكثر تطورا في سورية اصلا ـ قطاع الكهرباء وقطاع النفط بقصد تدميرهما تماما نظرا لاهميتهما الاستراتيجية في المعركة كما تركزت ضربات العدو على قطاع المواصلات نظرا لاهميته الاقتصادية والعسكرية والتعبوية المعروفة الان يمكن لاحدنا ان يفكر لماذا لم يحدث نفس الشيء في مصر ولماذا لم يتركز القصف على مثل هذه المنشآت وبنفس هذا المستوى ؟ الان بعد اتفاقية (كامب ديفيد) يجب ان يستعيد المرء ذكريات تلك الايام ويقول لماذا كانت حصة سوريا من الطيران والتدمير والقصف الاسرائيلي كبيرة ؟ على اي حال

سيكتب المؤرخون الكثير حول هذا الموضوع .وفي الواقع فان سورية التي واجهت تسعين يوما من الحرب بمفردها بعد توقف جبهة مصر واجهت ايضا بالاضافة الى ذلك قصفا شديدا ومركزا على المنشآت الحيوية في الميدان الاقتصادي . هذا يعني ان الجيش العربي السوري والاقتصاد السوري والصمود كان مستهدفا بشكل خاص وكل ذلك كان عبارة عن نوع من الانتقام من سورية بالذات. ومع هذا فان سورية لم تكن اقل من المهمة التي تصدت لها في تلك الحرب وجيشها لم يكن اقل وكذلك شعبها وقيادتها السياسية بل كانت سورية بكاملها وبجدارة بمستوى تلك المهمات الكبرى . فقد صمدت سورية وواصلت الحرب تسعين يوما ،ولم تقبل بالتوقف عن القتال الا عند استجابة العدو بالذات والراي العام العالمي لشروطها العادلة ، وكلنا نتذكر بدقة حجم وضخامة المعركتين العسكرية والسياسية اللتين كانت تخوضهما سورية في تلك الايام

حرب تشرين واسعار النفط والآثار الاقتصادية على المستوى العربي :

اظهرت حرب تشرين مدى اتساع هامش المناورة التي تملكها الدول المنتجة للنفط في تقرير السياسات النفطية كما قدمت الفرصة الذهبية المناسبة لهذه الدول كي تستفيد من هذا الهامش وتؤكد دورها ووجودها في تكوين النظام المالي والتجاري ولم يكن بالامكان قبل حرب تشرين احراز مثل هذا النصر الاقتصادي ومن المفيد هنا العودة الى الخطاب الذي القاه الرئيس حافظ الاسد في جلسة خاصة لمؤتمر القمة العربي في الرباط العام ١٩٧٤ ، حيث قال : « أنا أرى ان حرب تشرين وهي تجربة نضالية كبيرة دفعنا ثمنها دماء غزيرة هي السبب في كل انتصار آخر معنوي اوسياسي او اقتصادي او اي شيء آخر حرب تشرين هي التي جعلت العالم يقف الى جانبنا وهي التي جعلتنا نستطيع رفع اسعار النفط ومثل

هذا الراي ليس بحاجة الى كثير مـن الجدل اذ ان دول افريقيا قطعت علاقاتها باسرائيل قبل اجراءات النفط كما ان دول اوربا منعت الطائرات الامريكية التي كانت تحمل العتاد الى اسرائيل من الهبوط في مطاراتها قبل اجراءات النفط ايضا .. وامثلة اخـرى كثيرة » ويمضي السيد الرئيس قائلا : « طبعا النفط من قدراتنا والسياسة من قدراتنا والقتال من قدراتنا وهذه الامكانات بمجموعها تشكل بطبيعة الحال القدرة العربية ولكن الاساس والاهم في الماضي وعبر تاريخ المستقبل سيكون القتال وليس اي سلاح آخر وهذا لا يقلل من قيمة الاسلحة الاخرى فهي اسلحة كبيرة لكن لا نستطيع ان نستخدم هذه الاسلحة اذا لم نكن أقوياء عسكريا بالدرجة الاولى وهذا ما حدث في تشرين الاقتصاد كان موجودا لدينا قبل تشريـن لماذا لم ياخذ مكانه الذي اخذه بعد تشرين يجب ان نخلق المناخ الملائم العمل السياسي والاقتصادي لكي تكون هذه الاسلحة فعالة وهذا ما حدث بعد تشرين خلقنا المناخ الملائم للاقتصاد لكي يكون مفيدا ومثمرا وخلقنا المناخ الملائم للسياسة لكي تكون مفيدة ... »

فقد كانت اسعار النفط قبل حرب تشرين موضوعا تنفرد بتحديده الشركات النفطية العالمية او موضوعا يكون التفاوض بشأنه بين الدول المنتجة والشركات النفطية في احسن الاحوال وذلك حرصا مـن الدول الغربية الصناعية في ان لاتختلط الاوراق في المنطقة ولكي يبقى النفط بعيدا عن السياسة حتى ان هذه الشركات عمدت في الماضي الى تخفيض سعر النفط اكثر من مرة بحجة زيادة العرض علـى الطلب وهذا ما دفع الدول المنتجة العام ١٩٦٠ الـى انشاء منظمة الاوبيك بهدف الوقوف في وجه الشركات ضد اجراء اي تخفيض جديد في الاسعار ولكن لم تستطع المنظمة منذ انشائها وحتى حرب ١٩٦٧ ان تحرك سعر برميل النفط سنتا واحدا . وكان منتهى امل الدول

المنتجة للنفط ان تضيف لدخلها(٨) سنتات عن كل برميل وكـان متوسط سعر البرميل في الخليج العربي في ذلك الوقت لا يتجاوز الدولار الواحد (١٨٠ سنتا بحيث كان نصيب الدولة المنتجة عـن كل برميل في حدود (٨٠) سنتا فقط بينما انقلب الوضع تماما بعد حرب تشرين وانطلقت اسعار النفط بسرعة صاروخية فقد قفز سعر البرميل الواحد من النفط بعد اشهر قليلة من الحرب الى(١٢) دولارا وبدا الخط التصاعدي لاسعار النفط واكتسبت منظمـة الاوبيك مواقع جديدة لم تكن تمتلكها من قبل واصبحت قادرة على املاء شروطها وفرض الاسعار المناسبة لثروتها بحرية كاملة ولكن كما هو معروف استطاعت الدول الصناعية الغربية امتصاص بعض هذه الزيادة عن طريق رفع اسعار منتجاتها الصناعية والزراعية التي تحتاج اليها الدول النامية بشكل خاص، اي ان الدول الصناعية الغربية نقلت العبء الناتج عن زيادة اسعار النفط الـى الـدول النامية الاخرى بحيث صار من المحتم على الدول النامية تحمل العبء مضاعفا او مزدوجا : زيادة اسعار مستورداتهم من النفط من جهة وزيادة اسعار مستورداتهم من السلع الصناعية من جهة اخرى وبما ان معظم الدول النامية بمافيها الدول العربية ودول المواجهة بشكل خاص تخوض معارك التحرير والتنمية جنبا الى جنب فقد وجدت هذه الدول نفسها امام مازق مزدوج ونتيجة لذلك ارتفع التضخم والعجز في موازينها التجارية وتفاقمت ديونها بشكل هائل مما دفعها الى التكتل في جبهة اقتصادية عالمية تقف امام جبهة الدول الصناعية الغربية واخذت هذه الجبهة تناضل عبـر اجهزة الامم المتحدة في سبيل التوصل الى اتفاق يعيد بناء العلاقات الاقتصادية العالمية على اسس جديدة اما بالنسبة للدول العربية فيجب ان نحذر هنا من ان النفط العربي ان لم يستخدم في هـذه

المرحلة سلاحا للتنمية والتحرير فانه يمكن ان يصبح بسهولة سلاحا للتفرقة وتعطيل مسيرة الوحدة وسببا لاقامة هوة بين الدول العربية المنتجة للنفط التي تنعم بزيادة اسعار النفط وبين الدول العربية التي تعاني مع الدول النامية الاخرى من وطأة هذه الزيادة وتأتي هذه المعاناة مضاعفة ثلاث مرات ،مرة من زيادة اسعار النفط نفسهاومرة اخرى من زيادة اسعار السلع الصناعية والغذائية ومرة ثالثة من التصدي لاعباء المواجهة والتحرير وافشال المخططات الانقسامية في الوطن العربي علما بان هذه الدول هي التي مكنت الدول النامية المنتجة للنفط من تقوية سيادتها الناشئة وتدعيم وجودهافي الساحة العالمية ابان حرب تشرين التحريرية ومابعدها كما انه من جهة اخرى لا يمكن لاية دولة عربيةمنتجة للنفط ان تحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة في اراضيها اذا كانت الدول العربية التي تجاورها متخلفة ومهددة بازمات واضطرابات اقتصادية وبمعنى آخر لا يمكن للنفط العربي ان يكون سلاحا للتنمية الاقتصادية داخل الحدود الاقليمية لكل دولة من الدول العربية لان هذه التنمية القطرية ستكون على حساب دولة عربية اخرى ومن ثم فالنفط العربي يجب ان يكون السلاح لتنمية جميع الاقطار العربية مجتمعة لتساند بعضها بعضا في تقدمها الاقتصادي وتحمي هذا التقدم من الانتكاسات التي قد تصيبه ولا مفر في النهاية من المزاوجة بين التنمية وتحرير النفط وتحرير الاراضي العربية المحتلة .

اذن ان حرب تشرين اعطت الكثير لكن حصاد النتائج التي قادت اليها تشرين لم يؤد الى تنمية امكانات الوطن العربيفي التخلص من تبعيته الاقتصادية وهكذا اعود فأقول ان الاقتصادالعربي بمجمله ليس اقتصادا انتاجيا وان النفط رغم انه يولد القسم الاعظم من اجمالي الدخل للبلدان النفطية فهو لا يشغل اكثر من ٥٪ من

القوى العاملة في هذه الدول وان ما يتم هو اعادة استثمار هـذه الدخول النفطية لاتفاقات حكومية لا تشجع ولا تقود الى تغيير التركيب البنيوي لهذا الاقتصاد العربي .

والان اصبحنا امام مشكلة جديدة وهي كيف نستطيع ان نحرر الاموال العربية النفطية ؟ نلاحظ ان الشعار قد اختلف فبينما كان شعار الخمسينات والستينات تحرير النفط من سيطـرة الاحتكارات الراسمالية والاستعمارية الاستغلالية اصبح الشعـار الان هو ضرورة تحرير الاموال العربية النفطية وجعلها تخدم مصالح ومقتضيات التنمية في الوطن العربي باكمله ففي الوقت الذي لا يزال النفط يتدفق ويمول البلدان الراسمالية الصناعية بغزارة لا يزال هناك الملايين من المواطنين العرب يعانون من الفقر اذ ان الاموال النفطية تنساب يوميا بالملايين الى خزائن المؤسسات الاحتكارية للدول الراسمالية الصناعية وبالمقابل العديدمن البلدان العربية التي تفتقر الى الاموال التي تساعد خطط التنمية وتخلق تنمية حقيقية فيها من هنا تبدأ لعبة الدول الصناعية في تحويل هذاالانتصار الذي خلقته حرب تشرين التحريرية الـى وسيلـة بيدها لتحـاول ان تنتشل الراسمالية من مشاكلها ومن ازمتها علـى حساب الدول العربية النفطية اولا والدول النامية بشكل عام ثانيا . وقد وضحت هذه المحاولة من المؤتمرات العديدة التي عقدت تحت شعار الحوار بين الشمال والجنوب أو حتى تحت شعار الحوار بين العـرب والدول الاوربية .

آثـار حرب تشرين على الاقتصاد الاسرائيلي :

كذلك وجهت حرب تشرين التحريرية ضربة قاصمة للاقتصاد في الكيان الصهيوني نظرا للانعطاف الحاد الذي احدثته في السياسة

الاقتصادية والمالية لدولة العدو فمن الملاحظ ان النفقات العامة والعسكرية قد زادت نتيجة تلك الحرب بالاضافةالىانخفاضالانتاج وارتفاع قيمة الواردات بنسبة تفوق ضعف قيمة الصادرات وقد ادى هذا الى اتساع هوة العجز في الميزان التجاري للعدو وازدياد حجم ديونه الخارجية وانخفاض احتياطي الدولة من العملات الصعبة . وباتت جميع المؤشرات التي كانت تتصاعد في اعقاب كل حرب تشنها دولة العدو على الدول العربية تميل نحو الهبوط المنذر بالخطر فيما عدا المؤشرات التي هي دليل مرض لا دليل عافية كالبطالة والنزوح والتضخم المالي .

وقد وجد العدو نفسه مضطرا لتبني سياسة اقتصادية جديدة بعد عام من الحرب التي قدرت تكاليفها بحوالي (٣٠) مليار ليرة اسرائيلية ، اي مايعادل سنة عمل كاملة لدولة العدو باكملها وذلك رغم الاجراءات التقشفية التي فرضتها الحكومة الاسرائيلية اثناء فترة الطوارىء وخلال شهر تموز ١٩٧٤ وقد تم تطبيق هذه السياسة الاقتصادية الجديدة بتاريخ ٩-١١-١٩٧٤ واستهدفت من ضمن ما استهدفت اليه تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية وايقاف نزف العملات الصعبة وتقليص العجز في ميزان المدفوعات بالاضافة الى جعل الاقتصاد يتلاءم بصورة اكثر واقعية مع ظروف الحرب التي اجتازتها دولة العدو .

كما استهدفت الى الحيلولة دون حدوث بطالة اذ كان من المتوقع ان يصل حجم البطالة في غضون بضعة اشهر الى (١٠٠) الف شخص بسبب صعوبة الحصول على المواد الاولية اللازمة للصناعة ونظرا لانسياب الاحتياطي من العملات الاجنبية وتضاؤل الاستمثارات الخارجية .وقد تم اجراء هذه العملية الجراحية المؤلمة والحتمية علي الاقتصاد الاسرائيلي علي حد تعبير اسحق

وابيـــن بعد صدور التحذيـرات التي اطلقتهـا المصـادر المعنيـــة من ان احتياطي العملات الصعبة بات يبعث على الشك وذلك اثر الدراسات التي قام بها الاقتصاديون بعد ما تردد من ان احتياطي العدو لم يعد كافيا الا لاستيراد المواد الضرورية خلال شهرين فقط او بعد ان ناشد صندوق النقد الدولي دولة العدو بتخفيض قيمة عملتها باسرع وقت ممكن وكانت حكومة العدو قد سعت للحصول على الف مليون دولار من مصادر خارجية قبل اتخاذ هذه الخطوة ولكن يبدو انها لم تستطع ذلك في الوقت المناسب . واضطر العدو الى تبني اجراءات اقتصادية تقشفية جديدة تعتبر اقسى مامرت به دولة العدو منذ انشائها وذلك بعد انخفاض كميةالاحتياطيالذي لديها من العملات الصعبة من (١٧٠٠) مليون دولار في بداية العام ١٩٧٤ الى (٩٠٠) مليون دولار في نهاية تشرين الاول من نفس العام .

ومن المعتقد ان النقصفياحتياطي العمـلات الاجنبية والذي وصل الى مليار دولار لايرجع الى زيادةالاسعارفيالاسواقالخارجية بل الى زيادة الانفاق العسكري الاسرائيلي بحوالي مليار دولاراكثر مما كان مقدرا له. فعندما جرى اقرار الميزانية الاسرائيلية خصصت الحكومة للنفقات الحربية بالعملات الصعبة (١٦٠٠) مليون دولار و (٩٠٠) مليون ليرة الا ان واردات اسرائيل في نفس العام بلغت ما قيمته ـ ٢٧٠٠ـ مليون دولار وقد اشار وزير مالية العدو حينئذ وهو ـرابيو مينتش ـ الى ذلك بصورة غير مباشرة حين قال : « كان لنا رصيد قبل حرب يوم الغفران يقدر بحوالي مليارين و ـ ٢٥٠ ـ مليون دولار وبسبب النفقات الكبيرة التي بلغت ـ ٣ مليارات ـ و ـ٤٠٠ـ مليون دولار خلال عام ونصف منذ حرب يو مالغفران تحطم رصيدنا ووقعنا في عجز مالي يبلغ ـ٩٥ـ مليون دولار » يبدو ان حكومة العدو كانت تتوقـع ان يصـل مجموع

المساعدات الامريكية في عام ـ١٩٧٤ـ الى ـ١٥٠٠ـ مليون دولار وهذا ما طالبت به مرارا ولكن الكونغرس خصص للكيان الصهيوني ـ٦٦٥ـ مليون دولار فقط كمساعدات مالية له وهذا مادعا الى تبني العدو اجراءات اقتصادية جديدة بالاضافة الى ان الوضع الاقتصادي العالمي قد اثر على مقدرة العدو في تجنيد الاموال اللازمة من يهود العالم اما النفقات المتزايدة التي نجمت عن حرب تشرين فقد ضخمت العجز في الميزان التجاري الاسرائيلي لعام ـ١٩٧٣ـ حيث بلغ ـ٢٥٩٧ـ مليون دولار ويشكل العجز الذي حدث في الربع الاخير من تلك السنة وهي الفترة التي وقعت فيها الحرب نصف هذا المبلغ وفي العام ١٩٧٤ وصل الى ـ٣٤٠٠ـ مليون دولار .

وزعم بنحاس سابير في ذلك الوقت ان العجز في ميزان التجارة الخارجية الاسرائيلية يرجع الى انه كان يتوجب على اسرائيل انقاص ـ٢٥٠٠ـ مليون دولار من الاموال المخصصة لشراء الاسلحة والمواد الخام اللازمة للتسليح خلال كل من الاعوام الثلاثة التي تلت الحرب بالمقارنة مع ـ١٠٠٠ـ مليون دولار في السنوات الثلاث التي سبقتها وكان ـ سابير ـ وزير مالية العدو قد اعلن من اذاعة اسرائيل بتاريخ ١٧ـ٥ـ١٩٧٤ ان العدو قد اشترى خلال السنوات الاربع السابقة اسلحة بما قيمته (٧) مليارات دولار بالاضافة الى اعتدة ومواد خام اخرى بمبلغ (٢٢٠٠) مليون دولار وكان العدو يتوقع الحصول على (١ر٨) مليار دولار على الاقل كمساعدات خارجية من الولايات المتحدة والجاليات اليهودية الامريكية ومن التعويضات الالمانية وبذا كان العجز سيتقلص الى (١ر٦) مليار دولار وهذا مالم يتحقق ، اذ بلغ مجموع ماقدمته الولايات المتحدة والجالية اليهودية الامريكية ومن التعويضات الالمانية ـ١٣٥٠ـ مليون دولار . وهكذا نجد ان توقعات ـ اسرائيل ـ قد خابت حين بلغ مجموع ديونها

الخارجية بنهاية العام ١٩٧٤ــ٥٦٥٠ــ مليون دولار . وهذا يعني ان كل فرد في الكيان الصهيوني كان مدينا بمبلغ ــ١٦٦٠ــ دولار مقابل ــ٥٠٠٥ــ دولارات العام ١٩٧٣ وقد زادت ديون العدو الخارجية بالعملات الصعبة خلال النصف الاول من العام ١٩٧٤ بمقدار ــ٥٠٠ــ مليون دولار ، ووصلت في نهاية العام الى ــ٦٣٠٠ــ مليون دولار بالعملات الصعبة .

الاقتصـــاد الصهيوني ما بعد الحـــرب :

في الاشهر التسعة الاولى من العام ١٩٧٣ ازداد الانتاج بوتيرة عالية فبلغ ٥ر٧٪ . وقد نجم عن ذلك ازدياد عدد العاملين بنسبة ٤٪ وزيادة انتاج العامل بنسبة ٥ر٣٪ .

ولم يكن هناك عاطلون عن العمل ، بل لوحظ ان هناك نقصا في اليد العاملة في بعض الفروع وتعادل هذه الزيادة في النمو الزيادة التي حصلت في السنوات السابقة والتي بلغت ــ ٥ر٩ ــ سنويا. واستمر الارتفاع السريع في الاستهلاك الخاص بنحو ١٠٪ كما استمرت الزيادات السريعة للاستثمارات فبلغت ٢٠٪ على اساس سنوي وبلغ دخل الفرد في الكيان الصهيوني ــ٩٢٠٠ــ ليرة .

وجاءت حرب تشرين لتقلب الاوضاع راسا على عقب ،اذ وجد العدو نفسه عقب اندلاع القتال امام واقع جديد دفعه الى زيادة ميزانية وزارة الدفاع من ــ٣ر٦ــ مليار ليرة في الميزانيـــة الاصلية لعام ٧٣ــ٧٤ الى ــ٤ر١٦ــ مليار ليرة في الميزانية الاجمالية لنفس العام والتي بلغت ــ٣ر٣٣ مليار ليرة ، وشملت هذه الميزانية الاجمالية ميزانية اصلية وميزانيتين اضافيتين . وقد رافق ذلك انخفاض في الانتاج القومي بمقدار ــ١٢٠٠ــ مليون ليرة ، اي مايعادل ــ٢ر٣٪ــ من الانتاج . وتقلصت الاستمثارات بمقدار ــ١٩٠٠ــ

مليون ليرة .وانخفضت الصادرات بقيمة ـ١٥٠ـ مليون دولار. وقد بلغت الزيادة في الاستهلاك الخاص ٤٪ بدلا مـن ١٠ ٪ .اما العجز في الميزان التجاري الخارجي فقد بلغ ـ٢٥٩٧ـ مليون دولار ، اي ضعف ما كان متوقعا له . كما ارتفعت الاسعار خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة من العام ١٩٧٣ الى ١١ ٪ مقابل ارتفاع بلغ ١٥ ٪ خلال الاشهر التسعة الاولى من نفس العام . وبالرغم من انتهاء فتـرة الطوارىء في ١ـ٣ـ١٩٧٤ وابرام اتفاقيات فصل القوات مع سوريا ومصر ، فان مركز الثقل في المخصصات للانتاج القومي قد تحول لصالح الدفاع من اجل تغطية النفقات العسكرية الباهظة الثمن ، وللحصول على احدث الاسلحة .وهي اسلحة غالية الثمن . وهذا ما جعل التغييرات الجوهرية في الاقتصاد الاسرائيلي امرا لا بد منه .

وهكذا نجد ان حكومة العدو قد خصصت لوزارة الدفاع في العام المالي ٧٤ـ٧٥ (١٦ر٣) مليار ليرة من اصل الميزانية العامـة البالغة ـ ٦ر٤٠ ـ مليار ليرة .وهذا يعادل ضعف ميزانية الدفاع الاصلية لعام ٧٣ـ٧٤ . اي ان النفقات الحربية في العامين الماليين ٧٣ـ٧٤ و ٧٤ـ٧٥ قد استهلكت ٨ر٤٤٪ من مجموع الميزانيتين . ويعادل ما خصص للدفاع في العامين المذكورين ٣ر٣٦٪ من اجمالي الانتاج القومي بالاضافة الى استهلاك ٢٨٪ من الموارد المتاحة للدولة ـ انتاج قومي + فائض واردات ـ .

وقال بنحاس سابير ـ وزير المالية انذاك ـ وطبقا للخطة الاساسية كان ينبغي على ـ اسرائيل ـ ان تنفق على الامن بالعملة الصعبة ـ ٧١٠ ـ ملايين دولار في العام١٩٧٣ولكن الانفاق الحقيقي زاد عن هذا بمبلغ ـ١٢٠٠ـ مليون دولار ، وبذلك وصل الى ما يقارب الفي مليون دولار . وانفقت اسرائيل على الامن في العام١٩٧٤، ـ١٦٠٠ـ مليون دولار ، اي بزيادة تبلغ مليار دولار عما كان مقررا

حسب الخطة الموضوعة . اما الانفاق بالعملة المحلية فكان اكبر من ميزانية الدفاع بكاملها بالعملة المحلية والصعبة كما كان مقررا .

والجدير بالذكر ان الانفاق بالعملة المحلية على الدفاع قد ارتفع في العام ١٩٧٣ من ـ ٣٧٠٠ ـ مليون ليرة الى ـ ٧٧٠٠ ـ مليون ليرة في فترة مابعد الحرب . كما تشير الاحصائيات الى ان قيمة الاسلحة التي اشترتها دولة العدو خلال العام ٧٣ـ٧٤ قد بلغت ـ ٢٧٩٤ ـ مليون دولار ، منها مافيمته ـ ٢١١٧ ـ مليون دولار من واشنطن ـ شراء او هبة ـ . واذا ادركنا ان الميزانية الاسرائيلية العامة اصبحت تعادل تقريبا قيمة الدخل القومي لادركنا ان ميزانية العدو كانت ميزانية للحرب وليس للاعمار ، خاصة وان ديون الكيان الصهيوني الخارجية تعتبر نسبيا اضخم ديون لاية دولة في العالم .

وقد تسببت زيادة ميزانية الدفاع بهذا الشكل في زيادة التضخم المالي . وادى شطب ميزانيات الدعم على نطاق واسع ورفع الاسعار وزيادة الضرائب والعجز التجاري الى ارتفاع مستوى غلاء المعيشة منذ اوائل تشرين الاول ١٩٧٣ وحتى اوائل تشرين الاول ١٩٧٤ بما يقارب ـ ٣٨٪ ـ مقابل ـ ١٥٪ ـ في الاشهر التسعة الاولى من العام ١٩٧٣ ، اي فترة ما قبل الحرب . علما بان مجمل غلاء المعيشة قد بلغ العام١٩٧٣ـ٢٦٪ـ رغم السياسة التقشفية التي استهدفت التحكم في انفجار الاسعار من خلال الامتصاص الكبير للقوة الشرائية والتحديد الشديد لمنح القروض ، فان زيادة الاسعار ظلت مستمرة اثناء ذلك .

الا ان ماهدد العدو اقتصاديا واجتماعيا لم يكن التضخم المالي فقط ، بل هناك الانسياب السريع لاحتياطي العملات الصعبة الذي

نقص من ـ ١٦٩٧ ـ مليون دولار في اواخر كانون الاول ١٩٧٣ الى حوالي ـ ٩٠٠ ـ مليون دولار في نهاية تشرين الاول ١٩٧٤ . وقد وصل التناقص اليومي في اوائل تشرين الثاني الى ـ ٤ ـ ملايين دولار ، بحيث وصل التناقص عشية تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية الى ـ ٨٦٠ ـ مليون دولار ، ويمثل هذا المبلغ عجزا يبلغ ـ ٣٠ ـ مليون دولار بالمقارنة مع المبلغ المقبول والذي سمي بـ حد الامان ـ الذي كان يكفي للاستيراد لمدة شهرين فقط .

ويمكن تقييم الوضع الاقتصادي في الكيان الصهيوني في فترة مابعد الحرب بالقول ان العجز في الميزان التجاري قد بلغ ضعف ماكان عليه قبل فترة الحرب .وفي عام ١٩٧٤ بلغ العجز ثلاثة اضعاف ماكان عليه عام ١٩٧٢ . وبلغ العجز في حساب التجارة والخدمات ـ ٦ر١ ـ مليار دولار ابتداء من كانون الاول ١٩٧٤ وحتى حزيران منه ، اي ضعف ماكان عليه من عجز في نفس الفترة من العام السابق ١٩٧٣ . وذلك بعد ان زاد فائض الاستيراد بنسبة ٧٠٪ وبلغ ـ ٨٤٧ ـ مليون دولار في حين وصلت الواردات الحربية الى ـ ٥٨٠ ـ مليون دولار . وتم تمويل هذا العجز عن طريق تحويلات من جانب واحد بلغت قيمتها ـ ٨٥١ ـ مليون دولار وعن طريق زيادة الديون طويلة الاجل بما قيمته ـ ٢٤٨ ـ مليون دولار وعن طريق خفض الاحتياطي من العملات الاجنبية بما قيمته ـ٥٥٣ـ مليون دولار . وتم تخفيض احتياطي العملات الاجنبية رغم تجنيد القروض الخارجية .

ونتيجة لهذه القروض ازدادت ديون العدو باكثر من نصف مليار دولار في النصف الاول من عام ١٩٧٤ . وبذلك وصلت الديون الخارجية لدولة العدو الى ـ ٥٥٠٠ ـ مليون دولار ، اي بزيادة قدرها ١٠٪ عما كان مقررا لها . هذا يعني ان الديون قد زادت

بحوالي ــ ١٠٠ ــ مليون دولار شهريا عن خطة عام ١٩٧٤ . وقد وصل العجز في الميزان التجاري لدولة العدو في نهاية عام ١٩٧٤ الى ــ ٢٤٤٠ ــ مليون دولار مقابل ــ ١٥٥٦ ــ مليون دولار في نهاية عام ١٩٧٣ ، و ــ ٨٦٢ ــ مليون دولار في نهاية عام ١٩٧٢ .

وفي مجال السياحة خابت امال الصهاينة بزيادة عدد السائحين وبالتالي زيادة الدخل السياحي . فقد كان للتقارير الواردة عن حالة الامن في الكيان الصهيوني تأثير سلبي على الجهود السياحية . ففي حين كان العدو يتوقع قدوم ربع مليون سائح في عام ــ ١٩٧٤ ــ يحققون دخلا للخزانة بمبلغ ــ ٣٠٠ ــ مليون دولار ، فان عدد السائحين حتى نهاية ١٩٧٤ لم يتجاوز ــ ٦٢٥ ــ الفا مقابل ــ ٦٦٠ ــ الفا في عام ١٩٧٣ اي بنقص مقداره ٥ر٦٪ .

وفي حقل التوظيفات اصيب اقتصاد العدو بنقص في الاستثمارات الاجنبية خلال عام ١٩٧٤ بنسبة ٥٠٪ . وقد احدثت زيادة دعوة الاحتياط من جيش العدو الى ــ ٩٠ ــ يوما في العام ، بلبلة في سوق اليد العاملة . واستنادا الى البيانات التي تضمنها تقرير مركز الاستثمارات المالية لعام ١٩٧٤ فان حجم التوظيفات المالية لامريكا الشمالية في الكيان الصهيوني ــ كندا والولايات المتحدة ــ قد بلغ ٥ر٤٥ مليون دولار بالعملة الصعبة في عام ١٩٧٤ مقابل ٧ر١٥١ مليون دولار عام ١٩٧٣ .

وكذلك انخفضت التوظيفات المالية من دول امريكا اللاتينية بنسبة ٥٠٪ والتوظيفات المالية الفرنسية بنسبة ٧٦٪ والبلجيكية ٥٠٪ ، وكان دخل العدو من الجباية وبيع سندات ــ قرض الاعمار والتطوير ــ اقل مما كان متوقعا . فقد هبط مجموع ما جمعته الجباية اليهودية في مختلف انحاء العالم الى ــ ٣٨٩ ــ مليون دولار

عام ١٩٧٤ مقابل ـ ٧٩٨ ـ مليون دولار عام ١٩٧٣ . وانخفض دخل العدو من بيع سندات ـ قرض الاعمار والتطوير ـ من ـ ٥٠٠ ـ مليون دولار عام ١٩٧٣ الى ـ ٢٥٠ ـ مليون دولار عــام ١٩٧٤ . ونقص عدد المهاجرين الى الكيان الصهيوني خلال عام ١٩٧٤ بنسبة ٤١٪ مما ادى الى نقص في الاموال التي يجلبها هؤلاء المهاجــرون والتي كانت تعادل مايقارب ـ ٣٠٠ ـ مليون دولار سنويا .

وقد ادى ارتفاع الاسعار العالمية وزيادة الحاجات للكيــان الصهيوني التي تضخم قائمة الاستيراد الاسرائيلية بمبلغ ـ٣٠٠٠ـ مليون دولار وبالمقارنة مع ما انفقه العدو على الاستيراد عام ١٩٧٢ فقد زادت الواردات الحربية بمقــدار ـ ١٣٠٠ ـ مليــون دولار سنويا . وزادت الواردات الغذائية الاساسية بمقدار ـ٥٣٠ـ مليون دولار . وزادت نفقات استيراد الوقود بمقدار ـ ٦٠٠ ـ مليــون دولار ، اي مايعادل ستة اضعاف ماكانت تدفعه في السابق .

وقد انخفضت المساعدات الامريكية للعــدو من ـ ٢٥٨٥ ـ مليون دولار عام ١٩٧٣ الى ـ ٥ر٦٦٤ ـ مليون دولار عام ١٩٧٤ . وقد جمع صندوق الجباية اليهودية الموحد مبلغ ـ١١٨٧ـ مليون دولار في عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ . وبلغت التعويضات الالمانية ـ٦٠٠ـ مليون دولار ومبيعات سندات ـ البوندس ـ ـ ٧٥٠ ـمليون دولار في العامين المذكورين . ورغم تخفيض القوة الشرائية بقصد تخفيض مستوى المعيشة بنسبة ١٠٪ بالاضافة الى اجراءات التقشف التي تم اتخاذها في تموز ١٩٧٤ لتوسيع نطاق جباية ضريبة الدخــل بحوالي ـ ١٥٠٠ ـ مليون ليرة ، فــان مساعي العدو بتحديــد الاستهلاك وارجاعه الى مستوى عام ١٩٧٢ لم تتحقق . فقد باءت بالاخفاق محاولات العدو لتجديد عقود العمل آليا لمدة عام كامل ومناشدة العمال الاستغناء عن نصف علاوة غلاء المعيشة . لــذا

وجدت حكومة العدو نفسها مضطرة لتبني سياسة اقتصادية ومالية جديدة لمعالجة التدهور الاقتصادي الذي وقعت فيه .

الاثار الاقتصادية لحرب تشرين على الصعيد العالمي :

كانت هناك ملامح تازم منذ بداية ـ ١٩٧٠ ـ في الاقتصاد العالمي وكانت الازمة تنمو لتتحول الى ازمة دولية فالامريكيون متورطون في حرب فيتنام هذه الحرب التي كبدتهم خسائر كبيرة وادت الى تضخم الدولار بصورة هائلة ففي هذه الفترة كان هناك حوالي ـ ١٢٠ ـ مليار دولار باسعار ذلك الوقت تحوم في العالم بدون تغطية وكان العالم الراسمالي يناقش كيف يتخلص من هذه الدولارات انها مثل الرمال المتحركة تتجه لا على التعيين باشكال مختلفة في اقنية الاقتصاد العالمي وتنهكه وتهدده بالدمار اينما توجهت وكان الوضع الاقتصادي في ذلك الوقت موشكا على الازمة بتاثير السياسة الامريكية الرعناء العدوانية في فيتنام والانفاق العسكري الهائل من قبل كل الدول الامبريالية والتي كانت تمول بالدرجة الاولى عن طريق التضخم . قبل حرب تشرين التحريرية كان بامكان هذه الدول كبت انفجار الازمة وضبط صماماتها ومن ثم تقنين العمليات الى ان اتت حرب تشرين فكانت طلقة الزناد التي افلتت الامور من ايديهم بحيث اخذت الازمة الراسمالية للاقتصاد الامبريالي مداها طبعا الازمة الراسمالية لها اوجه عديدة ولكن باعتبارها ترافقت مع حرب تشرين ومع وجود هذه الحرب في منطقة البترول والطاقة اخذ طابعها البترولي يبرز الى السطح واراد الامبرياليون من وراء هذه المسالة ان يوجهوا الحقد والحذر وكل اسباب الازمة الى البترول وبالتالي الى العرب وهذا ماكنا نرد عليه باستمرار على اساس ان الازمة هي أزمة راسمالية وليست ازمة من صنع العرب ولا علاقة لهم بوجودها والعرب عندما حاربوا

انما حاربوا لكي يستعيدوا حقوقهم وبالتالي فان رفعهم لاسعار النفط انما كان لاستعادة حقوقهم المادية المهدورة فقد كانت اسعار النفط بخسة جدا ولم تكن توازي حتى اسعار الفحم في اوربا وعلى هذا الاساس فقد احتدم النقاش في العالم خلال تلك الفترة حول هذه المسألة بين كل الوطنيين والتقدميين ليس في العالم الغربي وحده بل في العالم كله فيما اذا كانت الازمة ازمة مستوردة من الخارج بتأثير عربي أو غيره ومعروف ان الصهيونية العالمية واجهزتها الاعلامية كانت تروج لهذا النوع بقصد تعبئة الراي العام العالمي المستاء من الازمة التي بدات تطحنه كي تعبئه ضد الدول العربية وخاصة ضد حرب تشرين التحريرية وضد نتائجها سواء التي حدثت وهي قائمة او للنتائج التي ستأتي بعدها ، وتحرم العرب من مواصلة قطف ثمارها . واخيرا فقد كانت حرب تشرين التحريرية بمثابة الشرارة او السبب المباشر لخلق قوى معينة في المنطقة سواء كان في ميدان النفط او غير النفط في البلدان النامية العربية او غير العربية حيث اعادت الكثير من الامور الاقتصادية العالمية الى نصابها ولو لمدة مؤقتة طالما ان البلدان النامية كلها تقريبا ومنها الوطن العربي جزء من السوق الراسمالية العالمية فلابد على المدى البعيد ان تفعل قوانين هذه السوق فعلها وترجع القوي الى مواقعه القوية والضعيف الى مواقعه الضعيفة وعلى هذا الاساس نستطيع ان نرى ان جزءا كبيرا من نتائج حرب تشرين قد اجهض على النطاق العالمي وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين البلدان المصدرة للمواد الاولية ومنها الطاقة والبلدان المستوردة لها ، على اساس ان البلدان الراسمالية العالمية باليتها وقدراتها الهائلة وادواتها ونفوذها السياسي والعسكري ايضا استطاعت ان تفرض على البلدان النامية ومنها الوطن العربي مصالحها الى حد بعيد .

حرب تشرين
والدروس العسكرية المستفادة

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تم انتاج هائل وعلى نطـاق واسع من السلاح كداس بشكل خاص في دول اوروبا الوسطى من قبل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحـدة الامريكية (ولـدى حلفائهما) وهاتان الدولتان العظميان هما القوتان الوحيدتان اللتان ما زالتا قادرتين على املاء ترسانات الاسلحة على اوسع نطاق وعدا الولايات المتحدة الامريكية ، لم تنخرط اية دولة من دول حلف الاطلسي او حلف الناتو باية حرب على نطاق واسع خلال الربـع الاخير من هذا القرن . بل وحتى الممارسات القتالية الامريكيـة في فيتنام كانت مقصورة على عمليات حرب العصابات ولكن على مقياس واسع من الصراعات القتالية بالوسائط الحديثة . هنـاك بعض الاستثناء الجزئي مما ذكرناه . ففي الحرب الكـورية (١٩٥٠ — ١٩٥٣) كان القتال على نطاق واسع تقريبا ، الا انه ليس بضخامة الحرب العالمية الثانية في حجم الاسلحة والوسائط القتالية المختلفة التي استعملت . كما وان حرب السويس العام ١٩٥٦ كانت تدريبية الى حد كبير في طابعها . والان قد مضى عليها قرابة ٢٢ عاما ، اما الحرب الباكستانية ـ الهندية التي نشبت في عامي ١٩٦٥ ــ ١٩٧١ فقد حدثت فوق ارض محفوفة بمصاعب مخيفة بحيث لم تقدم سوى المزيد من التطبيق العام الخطر . اما بقية الحروب الاخرى فكانت صراعات صغيرة بين شعوب او ضد شعوب غير مهياة لحرب حديثة .

من نتاج هذه الخبرة الناقصة ان الدول المنتجة للسـلاح المتطور قد صممت اسلحتها وانتجتها على اساس نظري افتراضي ،

كما وان المناقشات الاستراتيجية في تطبيقات هذه الاسلحة كانت تعوزها الخبرات الميدانية الحقيقية التي تقيم امكانات الاسلحة على المستوى العملي بحيث ان المعنى العميق التجريبي للحرب الحديثة حتى ولو كان الصراع على مستوى الاسلحة التقليدية لم يكن مدركا.

امام هذه التصورات فان حرب حزيران التي نشبت العام ١٩٦٧. قدمت معلومات ميدانية تطبيقية لاتنكر من خلال الدروس المستفادة، فقد نشبت بين الدول وعلى الاقل استخدمت فيها الاسلحة التي تنتجها البلدان الرئيسية المصنعة للسلاح على مقياس لابأس به . الا انه وعلى الرغم من ذلك ، فان حرب حزيران لم تثلج صدر الاستراتيجية وخبراء السلاح في اختبار السلاح الحديث المتطور لانها كانت حربا ليست حديثة بالمفهوم الجديد . اذ على الرغم من استخدام الدبابة الروسية الحديثة طراز ت ـ ٥٥ و ت ٥٤ من قبل المصريين الا ان الدبابة القديمة طراز ت ٣٤ والدبابة طراز ١١١ دل كانت كثيرة العدد . اما القوات السورية فكان لديها اعداد من الدبابات الالمانية (صنع ١٩٣٦) بالاضافة الى الدبابة طراز ت ٣٤ وت٥٤. اما بالنسبة للاسرائيليين فقد استخدموا الدبابة (سوبر شرمان بمحركها المحسن ومدفعها عيار ٩٠ ملم) بالاضافة الى دبابات اكثر حداثة طراز م ـ ٤٨ والسانتوريون . فالدبابة طراز سانتوريون والاليات النصف مجنزرة ، والبازوكا ، والبندقية العديمة الارتداد هي جميعها من مخلفات الحرب العالمية الثانية .

هذا وعلى الرغم من استخدام اسرائيل والعرب اسلحة الحرب العالمية الثانية في حرب حزيران فانهما ايضا طبقا اساليب قتال الحرب العالمية الثانية، فاسرائيل اعتمدت في حرب حزيران على الحرب الخاطفة المستوحاة من القائد الالماني هانز غودريان وقد ذكرتنا الحرب بالفرق الالمانية القليلة التي كانت تسحق بلدا بعد

اخر بسرعة الحركة والمناورة ، وحتى في الحرب العالمية الثانية فان تكتيك الحرب الخاطفة طبق في مواقف ميدانية قليلة .. ولا نغالي ان قلنا ان تكتيك حرب حزيران الذي طبقته اسرائيل كان متيقنا تجاوزه الزمن .

في حرب تشرين كان الموقف كليا مختلفا بالموازنة مع حرب حزيران والحروب السابقة الاخرى التي فجرها الصراع العربي ـ الاسرائيلي . ففي هذه الحرب كان الصراع بالمعنى الحقيقي الواقعي يقترب الى حد كبير من مفهوم الحرب الحديثة . وعلى الرغم ايضا من استخدام السلاح الامريكي القديم من قبل الاسرائيليين مثل العربات النصف مجنزرة مثلا ، الا انه بالمقابل ،استخدم العرب السلاح الحديث المتطور (الصواريخ م-م د-ط الموجهة التي ظهرت لاول مرة في الساحات القتالية . فالطرفان المتحاربان في تلك الحرب امتلكا الاسلحة الحديثة على مقياس كبير بحيث لم تشهدها اكبر المعارك في الحرب العالمية الثانية كثرة وكثافة . فحرب تشرين بهذا المعنى هي الحرب التي تستحق معاينتها واستخلاص الدروس منها لانها قدمت الكثير للاستراتيجيين العسكريين وخبراء الاسلحة في الدول المنتجة للسلاح وخاصة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية على مستوى التقنية العسكرية والتكنيك والعقيدة القتالية

ترى ، وهذا سؤال مطروح ، كم من الدروس امكن استخلاصها من تلك الحرب ، الجواب هو ان المسألة صعبة من الناحية العلمية المنهجية ..

من الواضح ان اية محاولة ترمي الى الاستفادة من حوادث تاريخية لابد وان تبدأ بجهود تتوخى فصل القمحة عن قشرتها ، والعابر المؤقت عن الدائم لناخذ مثلا حرب حزيران وحرب تشرين ونطرح السؤال التالي : هل الفروق بينهما ناجمة عن اسباب طارئة

عرضية كضعف وسائط المخابرات او عدم التكافؤ في القتال او في نوعية السلاح المستخدم الخ . . ؟ فاذا كان الامر كذلك فالتاريخ اذن يجب ان يحصر نفسه بسرد الحوادث . اما اذا كانت هنـــاك عوامل اعمق وهي السبب في الفروق حينئذ لابد من سبرها وتقييمها. واذا كانت الطريقة التاريخية جاهزة وقادرة على تقديم العون لسبر هذه العوامل وتحديد هويتها ففي التاريخ اذن من الدروس الهامة الممكن ان يقدمها لنا ، وتبقى المشكلة هنا في القدرة على ان نرسـم الخط الفاصل بين ماهو عارض مؤقت ودائم ، وحيث ان الدراسة التي نحن بصددها تستهدف على نحو مارسم الصورة للجولـــة التالية من الصراع العربي ــ الاسرائيلي اكثر من تقييم الاهميــة ، وعلى المدى البعيد لحرب تشرين ، فاننا سنفترض ان العامـــل المشترك في جميع مسارح الحروب هي التكنولوجيا العسكرية . وبالطبع فان وجود او غياب هذا السلاح او ذاك عن اية معركة هو عامل عارض مؤقت ومع ذلك ، فان الافتراض يمكن تبريره عـــلى اساس ان جميع الحروب في عصرنا هذا قد صممت اسلحتها لمسارح العمليات الممكن ان تدور في اوروبا الوسطى ، كذلك فســنفترض وجود اكثر من اي عامل آخر وهو تكنولوجيا السلاح التي تقــرر خصائص ليس هذه الحرب او غيرها ولكن الحرب بصورة عامة . وهنا فان الدروس المستفادة ستكون في تطبيقاتها على نطـــــاق اوسع . وعلى اية حال ، ان مجرد تحديد التطورات التكنولوجية الماضية والحاضرة والمستقبلية يكون كافيا . وان الاستعلام المفصل لهذا النوع قد يتجاوز طاقة اي استراتيجي او خبير عسكري .

واذا كان التاريخ العسكري يتعدى حدود سرد الصراعـــات الماضية ، فان العمل يجب ان يحوي اولا على تحديد المرجـــع او المستند الذي من خلاله يتم وصف الحرب ، وثانيا وصف الحرب

النوعية موضوع البحث ومحاولة توضيح لماذا كان الطابع الخاص للحرب عاديا في ذلك الوقت والمكان ، وكيف اختلفت عما كانت عليه في الماضي ؟ ثم ماهي الاسباب التي سببتها ؟ وبالتالي التمييز بين العوامل المؤقتة والاخرى الثابتة الاساسية . ذلك هو المنهج العلمي في معاينة حرب تشرين واستخلاص الدروس منها التي تفيد في الحروب المقبلة .

الدروس المستفادة من حرب تشرين

بصرف النظر عن مبدأ المفاجأة ، ربح جنرالات اسرائيل حرب حزيران (الايام الستة) بفضل السوقية المتفوقة على المستوى التكتيكي ، والاستراتيجي معا ، اما في حرب تشرين فقد كان الامر مختلفا تماما رغم الغوث العسكري الامريكي السريع . ففي حرب حزيران جاء النصر السريع بفضل الدفع الخاطف ، والاختراق ، وتهديد المجنبات واخيرا الاماطة والحصار . اما في حرب تشرين فكان النجاح الجزئي الاسرائيلي ممزوجا بالدماء ومنقوصا . وفي الوقت نفسه ، كانت الصدمة ضد القوة النارية ، والمناورة ضد الاستنزاف والنوعية ضد الكمية ونتاج كل هذا كان ليس في حرب مختلفة عن سابقاتها ، ولكن في نمط جديد من الحرب .

والحق يقال ، اذا ما اردنا ان نتكلم عن مضامين حرب تشرين بشكل موسع ، فلابد لنا من الافتراض ، كما نوهنا في مقدمة هذا البحث ، انه في الوقت الذي نجد العوامل المؤقتة ترتبط بالمكان والزمان كيما تصيغ بروفيل كل صراع نوعي ، فان مكانها في التاريخ العام للحرب يتحدد بطبيعة الوسائط التكنيكية المستخدمة ، فالاسلحة تفرض التكتيك اي خصائص المعركة . والتكتيك بدوره يفرض الاستراتيجية اي بروفيل الحرب وخصائصها . وعلى هذا

فبحثنا هنا يبدأ بالاسلحة التي استخدمت ، ومن ثم ننتقل الى التكتيك ومن التكتيك الى الاستراتيجية . وبالطبع انهذا التسلسل في الشرح قد لايكون مثاليا ، ذلك لان العناصر الثلاثة قد تتداخل فتشوش الرؤيا واكثر من ذلك فبما ان العوامل « العارضة » الاضافية لابد لها من ان تقحم في صورة كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة ، فان النقاش حينئذ يأخذ صفة العمومية ، وهنا لابد من الاستعانة بالتخيل كيما يلعب دوره في التمييز بين هذه الشفافيات المتداخلة ، ثم انه في الوقت الذييكون الوصف الدقيق لما تكونعليه الحرب المقبلة من الصعب التنبؤ به فانه في امكاننا على الاقل ان نخمن صورة الحرب المقبلة وخطوطها العامة مستندين الى ارضية موضوعية في التخمين .

آ ـ الاسلحة :

ان اي نقاش حول الدروس المستفادة من حرب تشرين فيما يخص التطور المستقبلي للاسلحة يجب ان يبدأ بمعاينة ودراسة حرب تشرين (انموذج المعركة الحديثة) من خلال سلاح المدرعات . « ان افضل رجال مدرعات في العالم » كما يسمي الاسرائيليون رجالهم « قدافل نجمهم في حرب تشرين وباعتراف المراقبين العسكريين نظرا لفقدان قيمة الدبابة وتضاؤل وزنها التكتيكي (سمارت ١٩٧٣) فمعارك يوم ٨ تشرين الاول العام ١٩٧٣ يمكن مشابهتها مع معركة « كريسي » عام ١٣٤٦ حينما تمكن القوس الطويل الانكليزي من الانتصار على الفارس المدرع . فالصاروخ المضاد للدرع قد اضعف اهمية الدبابة في مسارح العمليات وبذلك فتح عصرا جديدا في الحرب لقد اخترعت الدبابة منذ ٦٢ سنة من اجل ان تتعامل مع المشكلة الجوهرية في القتال وهي استمرار البقاء وسط جحيم الحرب . والدبابة هي الوحيدة من بين الاسلحة

في ذلك الوقت التي تستطيع ان تصمد امام نيران الحرب ، وعلى هذا كانت الدبابات قادرة على تحقيق الصدمة وردها معا ، الميزة التي مكنتها من ان تلعب دورا هاما في السنين الاخيرة من الحرب العالمية الاولى . كانت الدبابات في باكورة عهدها بطيئة السرعة ، ثقيلة الحركة . الاانه مع تقدم التكنولوجيا اضحت اكثر قدرة على المناورة السريعة ، وذات نيران قوية ، ثم ان الاسلحة المضادة للدرع تم اختراعها بعد نزول الدبابة الى مسارح العمليات الا انها كانت اقل من الدبابة في الحركة والحماية . وفضلا عن ذلك لما كانت قدرة الاسلحة مـد لخرق الدبابة تتوقف على استخدام ذخائر ذات محارك شديدة التوتر وذات قدرة خرق كبيرة ، فلم تكن هـذه الاسلحة المضادة للدرع تتمتع بمزايا المرونة وسهولة النقل فيالسابق نظرا لكبر حجمها (مدافع) لذا لم تكن تهدد الدبابة بالصورة التي استخدمت في حرب تشرين وهي تحمل من قبل الجندي القادر على توجيه ضربة مميتة شالة . وهكذا ، وفي الوقت الذي ظلت الدبابة تتمتع بقوة نارية كبيرة وسرعة في الحركة ، فان حرب تشرين اظهرت عجزها عن حماية نفسها (وهي بالاصـل صممت لتحقيق هـذا الغرض) وذلك بفعل الصواريخ العربية المحمولة المضادة للدرع التي كانت بحوزة المشاة المصرية والسورية .

٢ ـ مستقبل سلاح المدرعات :

هناك اسلوبان مقترحان لحل هذه المشكلة ، الاول زيـادة تصفيح الدبابات والثاني اللجوء الى تركيز اقل في عدد الدبابات ، الا ان الصعوبة التي تبرز هنا هي ان طراز المدرعات المصممة علىاساس حمايتها من القذائف ذات الحشوة الجوفاء لا يتوفر ما يقيها مـن القذائف الثاقبة المضادة للدروع التقليدية وهذه معضلة او نقيصة في الدبابة حتى الان لم تتم معالجتها بنجاح.الا انه من جهةاخرى مهما

كانت الطرق الممكن الوصول اليها لحل هذهالمعضلة فانآية زيادة في تصفيح الدبابة ستكون على حساب سرعة الحركة ، وحتى لو تم التعويض عن ذلك بزيادة قوة المحرك فان المرونة الاستراتيجية ستتناقص بلا شك . وللاسباب التي سنشرحها فيما بعد ، فان سرعة الحركة والمرونة هما ذات اهمية كبيرة في المستقبل ، وعلى هذا فان مشكلة حماية الدبابة ستظل قائمة .

ان التقريب الذي يبدو لاول وهلة اكثر جذبا هو تمكين الدبابة من ان تتحاشى ، بدلا من ان تتجشم التهديد الذي ياتيها من نيران العدو . لتحقيق هذا الغرض لابد ان تكون الدبابة اصغر حجما بحيث تقدم للعدو هدفا اكثر صعوبة ، او ان تكون سريعة الحركة لدرجة تمكنها من القيام بمناورات تملصية واستخدام الغطاء .ان مثل هذا الاتجاه في تصميم الدبابة تبنته المصانع الحربية السويدية والذي قاد الى انتاج الدبابة نوع ١٠٣ عديمة البرج . ومن ثم الدبابة الالمانية طراز ليوبارد ، والفرنسية ام اكس ٣٠ .

ان من مزاياالغاء برج الدبابة هو ان حجم وعدد الطاقم سيقل مقابل خسارة في التسليح الثانوي الذي عادة يستخدم ضد المشاة وتهديد الطائرات (اي ربح للمشاة والطيران) وما من شك ان اهمية هذه الخسارة ستظهر في المستقبل . ثم ان الاليات الخفيفة هي اقل قدرة على توجيه نيران قوية . وهكذا فان الدبابة (الطفل) تحفها اخطار قذفها مع الماء ..

ان هذه المسالة تقودنا الى تصور تسليح دبابات المستقبل . فحرب تشرين اوضحت معضلة المدافع مقابل الصواريخ الموجهة . ولعل من اكبر مزايا الصواريخ هي دقة اصابتها ومداها المجدي الكبير ، وفوق كل هذا قدرتها على توجيه قوة صدمة كبيرة للالية الخفيفة نسبيا ، وهي اقل ثمنا من الدبابة . ثم ان حجم الدبابات

الاصغر يعني أن طاقمها سيكون اقل ، في وقت نرى أن العتـــاد الجديد والذي توجه قذائفه بالنظر الى الهدف يمنع الدبابة من اتخاذ غطاءلها لعدة ثوان بعد اطلاق النار ، فاذا مانظرنا الى تلكالصعوبات مجتمعة بالاضافة الى قدرة المدفع على اطلاق قذائف مختلفة الانواع (التموين بذخائر مختلفة) فلا يبدو ان مدافع الدبابات في طريقهاالى ساحة الاقتتال ثانية . ان افضل حل ، أن وجد ، من الصـــعب ايجاده اليوم . هناك افتراض ، أن القذيفة ذات الذيل قد تزيد من نسبة طول القذيفة ، وبذلك تقدم قدرة ثاقبة للدرع اكبر وبالتالي انقاص حجم فوهة (او عيار) مدفع الدبابة وبديل عن ذلك الدبابة الامريكية ، طراز « شيلاليغ » القادرة على اطلاق صواريخ مضـــادة للدرع بعيدة المدى وفي الوقت نفسه استخدام الذخائر الباليستيكية للاغراض الاخرى . وفي كلتا الحالتين ستكون الالية اقل وزنا ، واصغر حجما واكثر قدرة على المناورة .

والنواحي الاخرى التي سيتناولها التطوير في تسليح الدبابة (وهذا ما ابرزته حرب تشرين) هي اهمية اجهزة قياس مســـافة الاهداف والتوجيه ولعل من اسباب الاداء القتالي الجيد للمدرعات الاسرائيلية في حرب تشرين يعود بشكل رئيسي الى تزويدها باجهزة توجيه وقياس مسافة متفوقة . ودبابة المستقبل ستكون مجهزة باشعة ليزر وحاسب الكتروني وستتمكن مثل هذه الدبابـة ليس فقط من تحديد مسافة اهدافها بل تصحيح اخطاء التسديد بالاتجاه الناجم عادة عن الريح ، واهتراء جف المدفع ، والبرج . ونتيجةلهذه التطويرات ستكون الدبابات سهلة التعامل مع اهدافها في حين تكون الصيانة اكثر صعوبة وتكاليف الصنع اعلى .

آ ـ ٢ ـ مستقبل المدفعية :

اذا كانت الدبابة سلاحا ، مع الاخذ بعينالاعتبار طبيعة الارض

في استخدام هذا السلاح ، حيث استخدمت بكثافة كبيرة من قبل الطرفين المتحاربين في حرب تشرين ، فان المدفعية كانت موضـــع اهتمام العرب مقابل اهمال الاسرائيليين نسبيا لهذا السلاح ، وهذا الاهمال الاسرائيلي يمكــن فهمه مــن خلال اعتمادهم العقيـــدة القتالية القائمة على الحركة ، والحرب السريعة الخاطفة . ثم ان حجم ووزن المدفع يسمحان باستخدامه بشكل مثالي تقريبـــا في الحرب اللاحركة (الدفاعية) ومن الناحية التاريخية نرى ان اهمية المدفع برزت في حروب المحاصرة في القرن الخامس عشر ، الا انــه بعد ٤٠٠ سنة من التطوير ، اصبحت المدفعية متحركة قابلة للنقل كيما تقرر مصير الامم على حد قول نابليون بونابرت . ومع ذلك ومن خلال التطور السريع للاسلحة الصغيرة التي اخذت تهيمن عـــلى ساحات المعارك في منتصف القرن التاسع عشر وما بعد امكن لهذه الاخيرة ان تنافس المدفعية حيث تمكنت هذه الاسلحة الصغيرة من شل التحرك التكتيكي المهمة التي كانت تسند الى المدفعية . وبفعل قتال الخنادق والحصار الذي تميزت بها الحرب العالميـــة الاولـــى برزت هذه الاسلحة الصغيرة في المقدمـــة وفي الطليعة في منظـــور الاهمية ، وما ان ظهرت الدبابة ، حتى اخذت وظائف المدفعية بـــل وقللت من قيمتها بفعل القابلة الحركية التكتيكية التي تتمتع بهـــا الدبابة (النيران المتحركة ذات المرونة الكبيرة في عملية نقلها) فـــلا عجب اذن ان يكون دور المدفعية اقل اهمية في العقائد العسكرية التي تعطي الاولوية الى السرعة والقابلية والى التحـــرك في التكتيـــك القتالـــي . ونعنـــي الحـــرب الصاعقـــة الالمانيـــة ، والـــى نحـــوما العقيدة السوفياتية الحالية التي تم من خلالها استبدال المدافـــع التقليدية بالقذائف الصاروخية الباليستيكية القصيرة والبعيـــدة المدى لضرب مؤخرات العدو .

في حرب تشرين ظهرت حدود فعالية قابلية التحرك المـــدرع

(الدبابات) كما وشهدت هذه الحرب تضاؤل اهمية الطائرات المقاتلة القاذفة ومن الجائز ان يزداد وزن واهمية المدفعية في المستقبل القريب . ومع هذا فان حرب تشرين لم تقدم سوى القليل عن السؤال الخاص بمسالة نوع المدفعية الافضل فهل ياترى المدفع المركب على العجلات والمقطور بالاليات هو الاحسن والانفع كما نراه في عتاد السوفييت ؟ ام المركب على الية مجنزرة والمستقل تماما عنها كما يرى ذلك الامريكان ؟ حتى الان لايوجد الجواب الحاسم الذي لاجدال فيه في هذا الخصوص . ففي الماضي كان المدفع المركب على

عجلات من مميزاته السهولة وقلة التكاليف النسبيتين اللتين تسمحان باستخدامه بكثافة كبيرة ، بينما نجد المدفع المركب على الية مجنزرة يسمح بمرافقة الدبابات في مهامها التكتيكية وجاءت حرب تشرين لتدخل تبديلات على مثل هذه التقديرات والاعتبارات بحيث اعطت المقولات للتفكير بان التحرك التكتيكي في معارك المستقبل سيكون اقل سرعة وليس اكثر سرعة هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى تظهر المزايا التي حصل عليها الاسرائيليون والمستقاة من قدرات مدافعهم بتغيير مرابضها بسرعة وبالتالي الهروب من نيران البطاريات المعاكسة العربية الكبيرة العدد وفي الوقت الذي نرى هذا القفز السريع « للمدافع من مربض الى اخر سيكون من اساليب تكتيك المدفعية في حروب المستقبل كما هو متوقع ، وخاصة اذا ماتم تجهيز المدفعية باجهزة اشعة ليزر ، فانه ايضا لامناص من الموازنة بين قابلية التحرك التكتيكية والاستراتيجية . ترى كيف في الامكان المناغمة بين هذه المتطلبات المتضاربة المتصارعة ؟ . . هذا سؤال مازال مطروحا بدون حل . ولكن اذا ما اخذنا الوضع على ماهو عليه وبما اظهرته حرب تشرين من دروس ، هناك ظلال قليلة من الشك حول تالق نجم المدفعية من جديد وحول دورها الهام الذي ستلعبه في

المستقبل والذي سيكون أقوى من أي وقت منذ انتهاء الحـــرب العالمية الثانية .

آ ـ ٣ ـ حاملات الجنود المصفحة

اصلا ، كانت مهمة المصفحة نقل الجنود والسلاح الى ساحة العمليات او الى خطوط العدو فقط وليس الاشتباك مع مثيـلاتها العدوة . اما مهمة المصفحة اليوم فهي حمل الجنود الرماة الـــى الامام ، والمساعدة على تدمير التحصينات الميدانية . ولقد سلحت المصفحات في باكورة عهدها بالمدفع الرشاش للتعامل مع مشـــاة العدو . وفيما بعد اتضح ان لها عدوا خاصا بها. وان هذه الناحية بالاضافة الى الرغبة بجعل المصفحة تعمل بصورة مستقلة في الانساق الامامية مع بقية وحدات الجيش ، قادتا الى اسناد مهمات اضافية لها شبيهة بفارس العصور الوسطى ، وبالتالي الفقدان التدريجي لقدرة المصفحة على الدفاع عن ذاتها ضد المشاة جيدي التسليح .

ان اعطاء المصفحة المزيد من التخصصات جعلها وثيقة متلاحمة مدعومة مع المشاة شريطة ان تمتلك المشاة آليات قادرة علـــى عبور الضواحي مثل قدرة المصفحات بالذات .لذلك فان الاليات النصف مجنزرة قد استخدمت من قبل جيوش كثيرة في الحـرب العالمية الثانية.لا بد للمشاة ، كما نعلم من ان تنزل الى الارض لتقوم بمهامها ، وهنا تكون معرضة لنيران المدفعية ، وهنا ايضا ظهـــر ضعف اسرائيل يقابله قدرة العرب على تقديم ضحايا بشرية اكثر منها الامر الذي سمح للسوريين والمصريين خاصة بالعمل بحريـــة ومن الدروس النسبية المستفادة من حرب تشرين هو ظهور اهمية جندي المشاة المترجل شريطة ان تكون المشاة محمية بشيء ما مصفح .

للوصول الى هذا الغرض ، تم اختراع عدة اليات مختلفة منها المصفحة المسماة علبة القصدير الامريكية والانكليزية الصنع التي

صنعت لنقل وحدات المشاة الى ساحة القتال . تقابلها الاليات الالمانية والسوفيتية (الاليات المقاتلة الخاصة بالمشاة) المصممة على اساس الاسهام في القتال . وفي الوقت الذي يبدو واضحا انه من المتعذر الاشارة الى اي اسلوب بمفرده يمكن اعتباره صحيحا في جميع الظروف الا ان الذي لاشك فيه على الاطلاق ان حرب تشرين قد برهنت على مميزات الالية الناقلة للجنود والمقاتلة معا حتى ولو كانت الاليات مماثلة للالية الامريكية طراز م ـ ١١٣ والتي لم تصمم لهذا الغرض . وعلى اية حال فان الالية الجديدة طراز ابي سي والتي لم تصمم على اساس ان تشترك في القتال يجب ان تمتلك الاسلحة بغرض تقديم الدعم المباشر ذلك ان الالية (التكسي) السابقة غير المسلحة قد انتهى عهدها . هذا ما اوضحته حرب تشرين .

هذا وبما ان التعامل ضد مشاة العدو ، والدعم القريب يجب ان يكونا الواجب الاول لاليات المشاة القتالية فلابد والحالة هذه ان تجهز بالمدافع الرشاشة ، ورماة القنابل اليدوية ومن الممكن ايضا نافثات اللهب . وفي الوقت نفسه لابد من ان تجهز ايضا ببعض انواع الاسلحة المضادة لمصفحات العدو .

ولهذا الغرض فان البندقية العديمة الارتداد التي تقذف قنابل حارقة تلائم هذا الغرض . ثم من اجل ضرب اهداف بعيدة يمكن ان تحمل هذه الاليات صواريخ مضادة للدرع محدودة العدد . ان الالية الموجودة اليوم والتي تقترب في تسليحها من الوصف الذي ذكرناه هي المصفحة الروسية الصنع طراز ب.م ـ ٧٦ والممكن اعتبارها افضل الية مصفحة في العالم . واذا كانت حرب تشرين قد برهنت على شيء ، فهو حاجة الغرب الى امتلاك هذه الالية وبأسرع وقت . هذا وفي الوقت الذي تجهز اليات المشاة المقاتلة بالتسليح

القوى المتزايد فان وزنها سيزداد تبعا لذلك ، وعندما يزداد التسليح الثانوي للدبابة وتعتمد على الحركة في قتالها اكثر من زيادة سماكة التصفيح لتامين الحماية الذاتية فانها تقترب بذلك لتشبه اليات المشاة المقاتلة . ويبدو ان المعطيات الاخيرة ستكون في دمج هذين النوعين من الاسلحة ، العملية المماثلة التي اعقبت اختراع الحربة في اواخر القرن السابع عشر حيث مكنت العسكري المقاتل المترجل من ان يستعمل الصدمة والنار وبذلك ازال الحاجة الى صنفين منفصلين من الوحدات مسلحين بالرمح والبندقية .

ان مثل هذه العربة (اي التي تجمع صفات الدبابة والية المشاة المقاتلة) والتي قد تسهل الى حد كبير مشكلات التعاون التكتيكي يصعب تصورها اليوم . فمن المفترض ان تكون هذه العربة اثقل من عربة المشاة المقاتلة ،وتملك المناورة الكبيرة جدا بالاضافة الى الحجم الاصغر . والمسلحة بمدفع ذي سرعة بدئية عالية جدا ، بعيار صغير نسبيا كما وفي مقدور هذه العربة المفترضة ان تحمل كمية لا باس بها من الذخائر .

آ ـ ٤ ـ الصواريخ المضادة للدرع :

ان هذا السلاح بدوره ايضا استقطب الاهتمام الكبير حيال مستقبل تطويره ودوره في المعارك المقبلة الحديثة وهذا درس اخر استمد من نتائج حرب تشرين .

ان الصاروخ المضاد للدرع على الرغم من فعاليته وسهولة استخدامه الا انه لا يخلو من نقائض وعيوب فاكثرية الصواريخ ومن ضمنها صاروخ (ساجر) يجب ان تجتمع وتركز على الهدف . العملية التي تستوجب عدة دقائق ، واكثر من ذلك فجميع الصواريخ م\د يجب ان توجه نحو اهدافها سواء

اكان التوجيه يدويا ام بصريا ، وبذلك تعرض الرماة الى نيران العدو . وفي افضل الاحوال ، فان صاروخا واحدا مع جهاز التصويب يمكن حمله من قبل عسكري ، كما وانه في كثير من الاحوال تكون الحاجة الى صاروخين أو ثلاثة لضرب هدف ، فهذه العوامل جميعها تجعل الصاروخ سلاحا مبددا جدا للذخيرة (كان حامل الصاروخ في حرب تشرين يستهلك ما يقارب ٩ ــ ١٢ صاروخا كيما يخرج دبابة واحدة من ساحة المعركة) بالاضافة الى كثرة الاصابات بفعل تعرض الرامي الى نيران العدو . ومن الناحية النظرية بالامكان التغلب على هذه العيوب والصعوبات وذلك عن طريق انتاج صواريخ م/د قادرة على كشف الهدف وملاحقته بشكل آلي (كما هو الحال في الصواريخ المتطورة جو ــ جو او ارض جو) الا ان تكاليف صنع هذا الصاروخ غالية . ومن الجائز ان افضل تطور لصاروخ المستقبل هو الصاروخ البريطاني طراز (سويغفاير) الذي يسمح للرامي بان يوجه القذيفة الصاروخية وهو في مستره وعلى بعد ٥٠ مترا من الهدف وبذلك تزداد نسبة سلامة الرامي . وحاليا ، فان الصواريخ م/د تعتمد على الحيلة في مهاجمة اهدافها ، لذلك فهي تلائم الدفاع اكثر من الهجوم ومن المحتمل ان تظل كذلك في افضلية استخدامها لبعض الوقت . وعلى الرغم من ان هذه الصواريخ يمكن تركيبها على الاليات ، فهي بهذه الحالة تكمل وظيفة المدفع المركب على اليات المشاة الهجومية اكثر من ان تحل محله . هناك مركبة تبدو مثالية لاستخدام الصواريخ م/د ونعني الحوامة (الهيلوكبتر) والتي تجهز مثلا (كما هو الحال بالحوامة الامريكية المعروفة باسم ذات الصاروخين) بحيث تصبح صالحة لمهاجمة الدبابات (قاتلة الدبابة) ففي حرب تشرين لم يمتلك احد الطرفين المتحاربين مثل هذا النوع من التقنية ، ويبدو انهما سيستخدمانها في الحرب المقبلة :

وان التجربة هي التي تحكم على صلاحية هذه التقنية . فالدروس المستفادة من حرب فييتنام بالاضافة الى معطيات مناورات حلف الاطلسي قد اظهرتا بصورة واضحة تفوق الحوامات على الدبابات والاليات المدرعة . واذا اخذنا بعين الاعتبار الصواريخ المتطورة الفعالية المضادة للطائرات الحديثة الصنع ، وخاصة التي تحمل على كتف الجندي الخفيفة مثل سام٧والقادرة على الحاق عطب كبير في الطائرات التقليدية ، والخطرة جدا ضد الحوامات ، فانه من المشكوك فيه ان الحوامات في مقدورها استمرار دورها الفعال في الحرب الحديثة . وهذه الحوامات تضطر الى اللجوء الى الطيران المنخفض جدا لتحاشي اصطيادها من قبل الطائرات المقاتلة ، وكيما تستخدم استخداما جيدا العوائق الطبيعية والمساتر التي تحميها . ومع ذلك فان تعرضها للمخاطر يظل مشكلة لا توجد لها حلول الان . وعلى الرغم من كل هذه المشكلات التي تحد من دور الحوامات في المستقبل فان استخدامها سيستمر في مهاجمة الدبابات التي تنجح في خرق الحد الامامي والوصول الى المؤخرات . وهذا الدور هو هام جدا بل انه تهديد مميت للدبابة .

آ ـ ٥ ـ الدفاعات الجوية

يبدو من غير الضروري الاسهاب في ذكر عظم دور الدفاعات الجوية الذي لعبته ابان حرب تشرين لان هذا الدور اضحى معروفا، ونعني الصواريخ العربية المضادة لطائرات العدو المتطورة . ومع انه في حرب حزيران العام ١٩٦٧ قام سلاح الجو الاسرائيلي بضربة جوية ساحقة للطيران العربي ، ودمرت المدرعات المصرية بمعارك ضارية لا رحمة فيها ، وعلى الرغم من انه قبل نشوب حرب تشرين كان الاعتقاد سائدا طاغيا انه لا توجد عملية

تقليدية ـ يقوم بها خصم لوحده على مستوى هجوم على نطاق واسع في ارض مفتوحة ـ يمكن ان تنجح في وجه طيران عـدو متفوق ، فان هذا الاعتقاد قد تمزق وانهار خلال الساعات الاولى من حرب تشرين بفعل الهجوم السوري والمصري .

فالمصريون ركزوا في دفاعاتهم الجوية بحيث استخدموا ثلاثة اضعاف من الرجال (٧٥الفا) ومثل ذلك في الطيرن . اما خسائر الاسرائيليين فكانت مرتفعة جدا خلال الايام الثلاثة الا انها انخفضت فيما بعد ، لاسيما وأن ادخال القنبلة الذكية في الخدمة قد يعطي ملامحا جديدة في صراعات المستقبل . هذا ومهما كان نتاج الصراع بين الطائرة والصاروخ المضاد ، فانه ليس من قبيل المبالغة القول ان حرب تشرين قد بدلت علاقة هذا الصراع الى حد كبير فالطائرة اخذت بعد الحرب تتطور لتتحدى الصاروخ ، والصاروخ المضاد بدوره اخذ يتطور ليستمر في تحديه وتفوقه فمثلا هناك اجهزة الاجراءات المضادة الالكترونية ، تقابلها الاجراءات ضد المضادة الالكترونية والتي اخذت في الظهور والتطوير والانتاج على مقياس واسع الى جانب زيادة الميزانيات العسكرية في حلف وارسو وحلف الاطلنطي والتي ستذهب عند الاخير الى جيوب الشركات المختصة بالتقنية الالكترونية ومن ناحية اخرى ستجد القوى الجوية ان ذيلها الالكتروني قد استطال كثيرا بالمقارنة مع الصاروخ . ومن جهة اخرى فان القاذفة المقاتلة التي يقودها طيار على وشك ان ينتهي دورها في المستقبل القريب ويبدو ان استخدامها سينحصر في المستقبل كوسائل بديلة لايصال الرؤوس الحربية الى اهدافها في انتهاء هذا الدور ، يطرح سلاحان انفسهما بهذا المضمار . الاول وهو الطائرة المسماة بالنحلة الذكر بلا طيار والتي تستخدم للعمل ضد الدفاعات الجوية ولاغراض الاستطلاع

والسلاح الثاني هو الصواريخ ارض ـ ارض القصيرة والمتوسطة المدى ، الصواريخ التي ستحل المشكلات التي تصادفها الطائرات في ضرب اهدافها . وحتى الان فان هذه الصواريخ ليست دقيقة في اصابة اهدافها التكتيكية ومبددة مالم تجهز برؤوس حربية نووية ، ان شل دور الطيران المقاتل القاذف الاسرائيلي اثناء حرب تشرين الى جانب تطوير هذه الصواريخ كيما تكون اكثر دقة في اصابة اهدافها من شانه ان يعاد النظر باستخدامها من قبل اسرائيل في الحرب المقبلة وحتى الان فان المعطيات لاتشير الى الغاء دور الطائرة التي يقودها طيار ، بل على الاكثر ان تكون جزءا مكملا مع الاسلحة الاخرى وذلك ضمن مهمات متضافرة الدعم والتعاون والتنسيق .

لنعود مرة ثانية الى وسائط الدفاع الجوية الارضية ، فان فعاليتها التي ظهرت من خلال حرب تشرين هي من اهم الدروس المستقاة من تلك الحرب . ونخص هنا الصاروخ ارض ـ جو (سام ٦) والموجه بالرادار وكذلك المدفع الرباعي (اربع سبطانات) طراز ٢٣ حيث تعاون الاثنان على تقديم تغطية جيدة في جميع الارتفاعات حتى ٥٠ الف قدم . وبمقارنة ذلك مع الصاروخين سام ٢ وسام ٣ ، فان ميزاتهما الكبرى تاتي من خلال قابلية التحرك . وحاليا فان عيوب الصاروخ المضاد للطائرات تاتي من كونه ليس خطيرا على طائرات العدو بل على طائرات الصديق ايضا . ولعل ضآلة نشاط الطيران المصري النسبي اثناء حرب تشرين مرده الى ضرورة خلو سماء المعركة من طائرات الصديق لافساح المجال للصواريخ سام باصطياد الطائرات الاسرائيلية والحيلولة دون حدوث اخطاء بضرب الطائرات الصديقة . وبناء على ذلك من الضروري حل هذه المشكلة بجهاز (تمييز الصديق عن العدو)

اذا كانت الصواريخ في ساحات المعارك ستستخدم (كما حدث في حرب تشرين وحرب فيتنام) نظرا لعدم قدرة طرف واحد على السيطرة بطيرانه على الموقف العملياتي ونافلة القول من كل ماذكرناه ان اهم معطيات ظهرت في حرب تشرين ان الايام التي كانوا يطلقون على سلاح ما سواء اكان جويا أم بريا سلاح الحسم قدولت وانتهت. لقد كانت اسرائيل قبل حرب تشرين تسمي طيرانها بالذراع الطويل الذي لايقطع نعم لقد تم قطعه وتضاءلت اهميته . فلا يوجد سلاح واحد قادر لوحده على ربح الحرب او السيطرة على المعركة . وتاريخيا ، اذا كان صحيحا ان « السلاح السيد كان فارس القرون الوسطى : او الفيلق المكدوني الذي كان يرد على التحديات بحيث انه من خلال المهمات الاضافية والتي تجاوزت اختصاصه قد وصل في النهاية الى نقطة الانهيار ، فان نقطة الانهيار هذه بدات في الافق في حرب تشرين لكل من الدبابات والطيران القاذف المقاتل ، بمعنى ان هذين السلاحين سوف لن يكونا سلاحي المستقبل .

وخلافا لما كتب مباشرة بعد حرب تشرين ، فان اي واحد منهما ليس في مقدوره ان يقف لوحده في المعركة فكلا السلاحين فقد جزءا كبيرا من قدرته على الهيمنة والسيطرة الوحيدة الجانب وان استمرار وجودهما في حروب المستقبل يعتمد اعتمادا كليا على التكامل القريب مع الاسلحة الاخرى ، واذا نظرنا نظرة عامة الى دروس حرب تشرين ، فاننا نجد في سياقها الانتقال من انظمة الاسلحة الغالية الثمن والكبيرة الحجم الى الاسلحة الاصغر والاقل كلفة والتي يستعملها الفرد المقاتل اكثر من الاستعمال الجماعي . واذا كانت هذه المقولة او ذلك الاستنتاج صحيحا ، فان تبدلا واسع النطاق في حروب المستقبل سيحدث بفعل هذا الاستنتاج وتلك الدروس .

ب ـ ١ ـ التكتيكات او خصائص المعركة

ان تطور السلاح تفرضه الى حد كبير الامكانات التكنولوجية لذلك فان هذا التطور يسير متوازيا مع درجة تحضر الدولة ومستوى رقيها الحضاري . وكمقولة عسكرية عملياتية ان طبيعة الارض والعمل الممكن تحقيقه ، ونوايا وقدرة العدو ، هذه الاشياء هي عوامل « عارضة مؤقتة طارئة تفرض التكتيكات المطبقة في وقت معين ومكان محدد . لهذا السبب ان ماسنذكره هو في اطار العموميات ، ويتحدد بتلك النواحي العملياتية القابلة للتطبيق في كل مكان وعلى نطاق واسع في الحرب التقليدية ذلك لانها تخضع الى خصائص و صفات الحرب الحديثة .

تعرف التكتيكات بخليط او مزيج من الطرق او الوسائل تقوم بعملية الهجوم والتحرك والحماية . وحرب تشرين قد شهدت تحركا في هذا النوع المختلط . وعلى العموم ان اي نقاش حول التكتيك يجب ان يبدابالدروس الاكثر اهمية والمستقاة من حرب تشرين ، ونعني عجز الدبابات عن الصمود ليس بوجه نيران الدبابات الخصم او هجوم الطائرات ، ولكن بفعل اسلحة المشاة الخفيفة السهلة الاستعمال والرخيصة نسبيا ، والتي استخدمت باعداد كثيفة جدا من قبل العرب في تلك الحرب .

وعلى افتراض ان سلاح المدرعات ليس في مقدوره ان يستعيد قوته الوقائية للاسباب التي ذكرناها في الفصل السابق مالم تبتكر تقنية جديدة تسمح له بتحقيق وقايته الذاتية التي هزتها دروس حرب تشرين فان هذا يعني انالا ساليب المستخدمة لتحقيق الصدمة والتحرك ستتأثر بدورها تبعا لتأثر سلاح المدرعات . وفي شرحنا الذي سنأتي عليه سنحاول فهم مضامين هذه التبدلات .

ومن حسن حظنا أن مثل هذا الاجراء ليس فريدا في التأريخ ، اذ حدث مايماثل ذلكفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ومـن خلال هذه الرجعة التاريخية للمقارنة يمكن استلهام الخطـوط العامة لهذه التبدلات .

ان انهزام الفارس المدرع امام القوس الطويل الانكليزي ، ومن ثم من قبل الاسلحة النارية البدائية هذا الانهزام تبعه افول اهمية الخيالة بالنسبة للمشاة . وبديهيا ، فان الخيالة الثقيلةاضحتاكثر ثقلا الا انه تم التعويض عن هذا الثقل والبطء بظهور صنف جديد من الخيالة الخفيفة ،

اما المدفعية والتي فيها ما يمكن القول خاصة فيما يخصعمليات المحاصرة فان اهميتها اخذت تتزايد بالتدريج عندما اصبحت ذات قدرة على الحركة . واذا مانظرنا الى جميع هذه الاسلحة الجديدة نجد ان التنسيق فيما بينها لم يكن موجودا من الناحية العملية في حقبة كانت الخيالة الثقيلة في مقدورها ان تقرر نتائج المعـارك لوحدها . وعلى هذا بدا هذا التنسيق عاملا ملحا وهاما في النصر

لقد كانت ضربة الخلاص القاتلة تأتي من جانب الخيالة الثقيلة حيث يحتفظ بها من المراحل الاولـى من القتال حتى اللحظـة الحاسمة . اما الملاحقة واستثمار النصر فقد كانا يتركان الى الخيول الرشيقة الخفيفة نظرا لان الخيالة الثقيلة كانت ثمينة تصعـب التضحية بها . وعندما اخذت المساتر والتحصـينات الميدانيـة تكتسب الاهمية ، اخذت ساحات المعارك تتعاظم والجبهات تتسع تبعا لذلك . وهنا فان التحرك العملياتي (التكتيكي) عموما أضحى اكثر بطئا واميل الىالحذر الاجراء الذي ظل على ماهو عليه حتى ايام كرمويل وغوستاف ادولف .

ولنفترض الان ان مثل هذا التقلص في الاهمية تناول المدرعات اليوم ، فأي من تلك التطورات يمكن اعتبارها مماثلة لما حدث في حرب تشرين ؟

ان انقسام الخيالة الى فرعين ثقيل وخفيف ــ الدبابة والعربات المصفحة ــ يمثل هذه التطورات التي شوهدت بالاعين في تلك الحرب ، وبصورة مماثلة فان العلاقة بين المشاة و « الخيالة » قد تبدلت ، فمنذ ان تسلح المشاة المترجلين بالصواريخ الموجهة سبقوا الدبابات للاختفاء وراء ستر او تحت اية حفرة في الارض ، فان الدبابات والحالة هذه اما ان تصبح اقل تخصصا او يحتفظ بها لظروف خاصة وعلى الرغم من ان التسليح الثانوي للدبابة سيركز عليه وستبرز اهميته ازاء هذا التطور الجديد وبالصورة المماثلة التي كانت عليه الخيالة في القرن السادس عشر عندما سلحت بالمسدس بالاضافة الى الرمح ، الا ان الدبابة لايمكنها ان تصل الى حرية الحركة التي كانت تتمتع بها الخيالة وقتئذ . ومن خلال التحرك البطيء والحذر كيما تتحاشى الدبابة المشاة المسلحين بالصواريخ م ـ د ولتبقى مسافة مناسبة بينها وبينهم ، فان هذا من شانه ان يفقدها استخدام قوة الصدمة ، وفي احسن الاحوال فان هذا الاستخدام لتلك القوة يمكن تحقيقه فقط ضد عدو امكن تدمير اكثر من نصفه بالوسائط القتالية الاخرى . ان حرب الدبابة ضد الدبابة ايضاقدطرا عليه تبدل . صحيح ان الدبابة لايمكن ان تحظى بحماية كافية ضد ضربة مباشرة فان اجهزة قياس المسافة والتوجيه المتطورة التي تزود بها الدبابة الحديثة تعني ان الدبابات ستصبح غير قادرة على ان تتقابل ضد بعضها بعضا بدون وجود مساتر (اي في الارض المكشوفة) ، وبناء على ذلك فان المواقع المحضرة ، والمتاريس ، والمساتر ووسائل التغطية

ستكون اكثر استخداما من اليوم ، ثم ان التقــدم والانســـحاب سيتمان بسرعة وبنفس قصير . كما سترمي الدبابة وغطاء البرج مغلق ، وتنسحب عن الانظار بعد ان ترمي طلقة او طلقتين ومن ثم تفتش عن مواقع بديلة بسرعة . وتبدو هنا تغطية المدفعية الضرورية لتأمين حمايتها في كل الاوقات . ثم ان الانتشار ، والمرونة التكتيكية القصوى يجب ان يكونا نظام القتال في ايامنا هذه ، فتحت هـــذه الشروط تبرز صعوبة السيطرة والقيادة ، وبذلك تتفتت المعـارك لتصبح سلسلة من الاعمال الفردية ، وحيث ان الدبابة لم تعد فـي مقدورها تقديم الحماية الكافية ضد الضربات المباشرة ، فان كـل شـــيء اضحـــى يعتمد علـــى قدرة مـــن يرمـــي اولا وبسرعـة وبدقة . ان هذا يعطي الافضلية « للحرب الحذرة » يتم فيهـــا الهجوم بصورة مباغتة ومن ثم الانسحاب .

وعلى اية حال ، فان المدرعات لن تكون لوحدها تقاتل في أي صراع قتالي مستقبلي . فالمدفع الذ ياخترع لاغراض الحصار في الماضي وتم تحويله الى خيالة ميكانيكية (أي الدبابة) قد اخفق . وان اليوم الذي كانت فيه المدرعات تقاتل منفصلة بعيدة عن الاسلحة الاخرى البرية قد انتهى . كما وانه لم يعد ضروريا ان تصبـح الدبابات النسق الاول للتقدم التكتيكي . وعلى الاغلب ، مثل ما كان عليه الامر عند الخيالة الثقيلة في القرنيـــن الخامس والسادس عشر ، فان على المدرعات ان تبدل من طريقة نظام تقربها القتالـــي الكلاسيكي السائد اليوم فتأخذ تشكيلة المحور (تعاون بين مفـارز متكاملة مقاتلة :) بين المدفعية والمدرعات والاسلحة المضادة للدرع والمصفحات والمشـــاة القتالية وفي بعض الحـالات الخاصـــة المشاة المترجلين وان النسق المتقدم سيكون مؤلفا من مصفحات المشاة القتالية المدعوم بالمدرعات وليس العكس كما كان في حرب تشرين

وقبلها . وفي كلا الهجوم والدفاع فان النجاح سيعتمد في القـدرة على استخدام الانواع المختلفة من الوحدات في الوظيفة القتاليـة المناسبة وفي الوقت المناسـب . ولتحقيق هذا الفرض ، فـان التبديلات التنظيمية لابد من القيام بها . فالاسلحة التقليدية مثـل المشاة والمدفعية كسلاح منفصل اضحت على وشك ان تهمل بحيث انها ستدمج في جيش متجانس ، ومن الصعب اقرار الصورة التي سيتم من خلالها تنظيم الجيش كيما تتوفر فيه اعلى درجة المرونة . وكفكرة مطروحة ، من الجائز ان يحوي على فرق ميكانيكية ومدرعة تختلف الواحدة عن الاخرى في نسبة المدرعات الى مصفحات المشاة المقاتلة ، كذلك ان الوحدات الوسيطة مثل الكتيبة واللواء لن تكونا في المستقبل في التشكيل اذ ستحوي الفرقة على كثير من الافـواج المختلفة في النوع بالاضافة الى عدد من القيادات المستقلة الجاهزة لقيادة اي خليط من تلك الافواج طبقا للمتطلبات التكتيكية . وبهذا الخصوص فان الفرقة الامريكيـة (رود) هي انموذج تشكيـل المستقبل المقترح .

ومن ناحية اخرى نجد ان تعرض المدرعات للاخطار المتزايدة ، كما ذكرنا ، يجب اضعافه بتغطية كبيرة ، وهذا امر على درجة كبيرة من الاهمية ، وان استخدام الارض يستلزم بالضرورة الانتشار ففي مقدور احد الافتراض ان ساحة المعركة (التي ستكون متسـعة) ستكون اكثر تخلخلا وافراغا مما كان عليه الامر خلال الخمسـين سنة المنصرمة . ونسبيا سيكون مايرى فيها من الاهداف قليـلا ، ولهذا نرى تشكيلات مدرعـة تتقدم لتهاجم انساقا امامية عدوة او تشتبك في مناورة قتالية واحدة ضد مثيلتها العدوة الاخرى كما لن تكون هناك مجموعات من الاليات تتحرك في غيوم الغبار ، محمية من قبل الطائرات ، وبدلا عن ذلك سيكون هناك فراغ بسبـب

تزايد المسافات الناجم عن تجهيز الدبابات باجهزة قياس المسافات والتوجيه . ان معركة المستقبل ستكون على الصورة الدراماتيكية القتالية التالية كما رسمتها معطيات حرب تشرين ودروسها :

سيرى ضياء في مكان مايتبعه عمود من الدخان .. تظهر فجأة سبطانة طويلة باتجاه السماء ومن ثم تختفي ثانية بسرعة وان الذيول الملتهبة التي تخلفها وراءها الصواريخ الموجهة تكون مصحوبة بانفجارات قنابل المدفعية التي تستهدف رجال المشاة .. وان التقدم سيكون بطيئا ومؤلما من مانع طبيعي الى اخر ، وان حقول الالغام المتصلة ، والالغام المضادة للدبابات ، وغيرها من الموانع الاصطناعية لا تستهدف بصورة رئيسية ايقاف التحرك بقدر ماترمي الى اجبار العدو في التقدم على السير في اراضي منتقاة مختارة (الاراضي الميتة) .. هنا ، وهناك تظهر بسرعة وتختفي ايضا المصفحة الحقيقية .. كما وان الحوامات تطير على ارتفاع معين جاهزة للهجوم على اي شيء يهدد القيام بتحركات تكتيكية اوسع .

هذا وبفعل تعرض الطائرات الى وسائط الدفاع الارضية الجوية المضادة فان التعاون والتنسيق بين القوى الجوية والارضية سيكونان اكثر مما هو عليه اليوم . واذا كانت القوى الجوية قد استخدمت بشكل كلاسيكي لتطهير مساحة العمليات من القوى المعادية او شلها بغرض فسح المجال امام القوى الارضية لتعمل . فان العكس اضحى اليوم هو الاكثر احتمالا . ثم ان المدفعية والصواريخ ارض ــ ارض من الجائز كثيرا ان تستخدم ضد الدفاعات الجوية ، فالاولى (المدفعية) ستتكفل بالدفاعات الجوية الخفيفة والاشكال المتحركة منها ، في حين تستخدم الثانية

(الصواريخ) لضرب القواعد الدفاعية مـط الثابتة وذات الحجم الكبير والاجهزة الحساسة .

ولما كانت القوى الجوية لم تعد بحاجة الى الاحتـفاظ ليس فقط بالمرونة التكتيكية ولكن ايضا بالمرونة الاستراتيجيـة ، أي قدرتها على الانتقال بسرعة من مسرح عمليات الى آخر . لذلك ستلقى هذه المهمات كسلاح منفصل ، وسيتم التفتيش عن طريقه مالدمج مهامه المختلفة في مهمات جيش متجانس كما سبق واشرنا الى ذلك . وكما هو اليوم ، لا يوجد حاليا مايشير الى وجود تطوير جديد يحل محل القديم في المستقبل القريب .

ومن ناحية ثانية ان مشكلة التعاون الارضي ـ الجوي يجب ان تحل من خلال تعيين المزيـد من ضباط ارتبـاط اماميين ، وبالتدريب الافضل للوحدات الارضية عن مدى امكانيات وحـدود قوة الدعم الجوية ، بالاضافة الى ضرورة وجود وسائل اتصـال متطورة بين الحد الامامي والقواعد الجوية الموجودة في الخلف . هذا ومن اجل السيطرة على كل شيء ، فان الحاجة تفرض تصـميم طائرة قادرة على تقديم الحماية لذاتها اولا . فمحيط القوى الجوية الداعمة سيكون محفوفا بالاخطار المميتة اكثر من السابق . ويبدو ان الاتجاهات اليوم هي في جعل القـوى الجوية الداعمة بمثابـة الشريك وليس السيد للقوى الارضية .

وكما يحدث عادة في الفترات عندما تكون القوة الناريـة في تصاعد ، فان الدفاع التكتيكي الذي يصمد هو الذي يكون نصيبه من الربح اكبر . واذا قيض للقوس الطويل ان يهب النجاح للانكليز في جميع المعارك الدفاعية في القرنين الرابع والخامس عشر ، واذا كان التطور الذي طرأ على القوة النارية الناتجة عن الاسلحة الصغيرة

في منتصف القرن التاسع عشر قد افشل الهجمات الجبهية المنفذة ضد خصم جيد التحضير والجاهزية وذلك منذ عام ١٨٦١ وفيما بعد ، ففي ايامنا هذه نجم عن اختراع الصاروخ المضاد للدرع تقوية الدفاع تقوية كبيرة ، واذا كانت نسبة التفوق في نهاية الحرب العالمية الثانية هي ٣ مقابل واحد بالنسبة لجميع الاعداد ،وخمسة مقابل واحد في الجهد الرئيسي للهجوم وذلك من اجل تنفيذ هجوم ناجح ضد عدو مستعد ومتساو في النوعية ، فان حرب تشرين قد اظهرت ، ان عدم التكافؤ هذا سيزداد في المستقبل .

وبالطبع ان قيادة الدفاع التكتيكي في كل حالة تعتمد على الظروف وخلافا لما كان معتقدا ، اظهرت حرب تشرين عدم قيمة الدفاعات الثابتة (خط بارليف) .اذ برهنت هذه الحرب على السرعة التي تمت خلالها السيطرة على مثل هذه الدفاعات ،اذ بعد ٣٦ ساعة من سقوط خط بارليف ، كانت الخطوط المصرية قوية بصورة كافية تستطيع صد هجمات الاسرائيليين المعاكسة لقد سقط خط بارليف بسهولة غير متوقعة ، ويبرر الاستراتيجيون الاسرائيليون اسباب هذا السقوط السهل وجود فقط نصف عدد الوحدات الضرورية للدفاع عنه وليس الى وجود ضعف في تركيب دفاعه الساكن . اما في جبهة الجولان فقد دمرت احدى عشرة نقطة استناد دفاعية اسرائيلية ولم تبق سوى نقطة واحدة امام الهجوم السوري المدرع الكثيف . وكما ابان التاريخ اذا كان الدفاع اميل الى الانتفاع اكثر من اختراع القوة النارية ، فان هذا مرده والى حد كبير ، الى السهولة الكبرى التي يجدها الجندي الذي يرمي من وراء مستره بالرشاش او بالصاروخ وهو ساكن من الجندي او الرشاش الذي يقوم بالرماية وهو متحرك بحيث يكون هدفا اكبر وغير قادر على استخدام الغطاء .

ان الدفاع المتحرك قد يكون مثاليا ، نظرا لانه يقدم بصورة جيدة الدفاع الوحيد الممكن تحت شروط الحرب ذات القدرة الكبيرة على التحرك والقائمة على الصدمة والمناورة السريعة مثل ماشاهده العالم في باكورة الحرب العالمية الثانية عندما كانت قوة النيران تسيطر على ساحة المعركة ، وبهذا فان الاعتماد على الحرب المتحركة قد يسبب للمدافع ان يخسر اكثرية مميزاته . وباعطاء هذه القوة الى المدفعية الحديثة يمكن القول ان الدفاعات الثابتة يجب ان تعتمد على العمق والانتشار اكثر من قوتها في تقديم الحماية ، وبتأكيد اكبر على التحصينات الميدانية ضد المنشآت الدائمة واذا كان الامر كذلك ، فان الحقيقة التاريخية تكمن في ان كل نمو في اهمية قوة النار كان مصحوبا بزيادة في دور المواقع الثابتة . لذا هناك كل مايبرر الايمان ان العصر الحالي سيبرهن على عدم وجود استثناء .

ان السؤال المطروح كيف يمكن ادارة القوة الجديدة للدفاع التكتيكي ، والعمليات الهجومية ؟ الجواب هو ان المشكلة استراتيجية بالدرجة الاولى ، وهذا ما سنبحثه في الفصل التالي : الا انه تجدر الاشارة هنا مرة اخرى الى الدور الاكبر الذي ستلعبه المدفعية في الهجوم التكتيكي . فيما ان المدرعات – وهي السلاح الهجومي منذ الخمسين سنة المنصرمة – لاتستطيع بسهولة اقتحام او ازالة الدفاعات الحديثة الجيدة التحصين ، فانه من الضروري حينئذ تدميرها . وهنا فالمدفعية بقدرتها على ايصال النيران الدقيقة والمستمرة يمكنها القيام بهذه المهمة . ومرة ثانية ان المقولات التاريخية تطرح نفسها ، فمنذ منتصف القرن التاسع عشر بدت المدفعية السلاح الهجومي الرئيسي ، وكان لها التفوق على نيران الاسلحة الصغيرة ، وهذا ماكمن البروسيين على شن حرب ١٨٧٠ – ١٨٧١ واذا كانت المدافع قد استخدمت لدعم الهجوم اكثر من قيادته ، فان هذا الاستخدام ستنعكس آيته في المستقبل .

لقد امكن البرهنة على مزايا الدفاع في حرب تشرين وبناء على ذلك هناك مايستوجب التفكير ان المعارك ـ ليس من الضروري ان تكون حملات ـ ستكون في السنين المقبلة اكثر قسوة وضـــراوة لحسمها وسيظهر ميل تام في تقلصها وتناقص نشاطاتها فتصـــبح صراعا كسولا ضعيفا منهوكا بحيث ان احد الطرفين المتخاصـمين ينهار بفعل الاعياء والخور . فتحت مثل هذه الشروط ، فـــان استهلاك الذخائر سيرتفع ارتفاعا كبيرا وسيهترىء الرجال والعتاد معا . ومن ناحية اخرى فان النار التي تعاكس فعل الصدمـــة ، واستعمال المساتر مقابل التحرك الحر ، والمجزرة مقابل المناورة ، هذه الامـــور ، افتراضيا ، ســـتكون خصائص التكتيكـات في المستقبل القريب .

د ـ الاستراتيجية او خصائص الحرب

في الكتاب الاول عن الحرب لكلا وزفيتز ـ ١٩٦٢ ـ اشار فيه الى انه من الاسهل بناء نظرية للتكتيكات من الاستراتيجيـــة . ان هذا بالنسبة اليه يعكس حقيقة صراع الاسلحة التي تتمخض عنها نتائج مادية بصورة رئيسية . هناك المزيد من العوامل المعنوية الهامة تصبح عوامل اقل مسؤولية في الانضمام الى انموذج نظري ففـــي المستوى الاعلى تصبح هذه العوامل معقدة جداً بحيث تســـتدعي الذكاء الخارق . وهذا هو بالدقة الشيء الاكثر عرضية من بـــين اسس الحرب بحيث ان حذفه يبدو ضروريا اذا كان من واجـــب التاريخ ان يقدم اي دروس . وحتى الان ، وبما ان التكتيكات تفرض الى حد كبير بفعل نوعية الاسلحة المستخدمة ، فمن الممكن والحالة هذه التكلم عن اسلوب المعارك التي تم خوضها في هذه الحقبــة الزمنية او تلك ، الا انه من الشكوك فيه ان الشيء نفسه يمكــن تطبيقه او الكلام عنه في الاستراتيجية .

الفكرة السائدة هي ان الاستراتيجية خالدة لاتتبـــدل او تتغير ، وبناء على هذا الاعتقاد جرت محاولات كثيرة لتجزئتها الى سلسلة من المبادىء المفترض انها ثابتة في جميع الاوقات . واذا كان صحيحا ان الاستراتيجية ثابتة خالدة ، فـــان اسس الحرب ، حسب مقولة ـ شليفن ـ ، لم تتبدل منذ غابر الازمان ، اذن فان السؤال المطروح هنا هو : كيف ان اية واقعة تاريخية نوعية اثرت على الاستراتيجية ومع ذلك تبدو لا معنى لها ، وان العلم العسكري برمته لايعدو عن كونه حفنة من الصفحات غير الهامة . تلك هـــي نتائج غير صحيحة .

الواقع ان الاستراتيجية تتأثر والـى حد كبير بالتبدلات التكتيكية ، ومما لاشك فيه ان قرار الحرب في تشرين الـــذي اتخذته كل من مصر وسوريا كان جريئا لدرجـــة ان الاهتمامات العسكرية والاستراتيجية في جميع انحاء العالم وما تمخض عن دراستها من معطيات فاقت جميع الحروب المحلية التي نشبت بعد الحرب العالمية الثانيـــة .

نعود الى القول ان المسالة الاستراتيجية تاثرت بشكل مباشر بالتغيرات التكتيكية التي شرحناها ، وهي مسالة افناء مقابل استنزاف ، فالافناء هدفه تدمير العدو في معركة واحدة حاسمة ، بينما الاستنزاف يبتغي تفتيت العدو ، واضعافه من خلال ممارسة ضغوط تدريجية بدون ظهور اية نقطة تحول في الموقف . وعلى الرغم من انه يبدو من السخف ان نجزم في موضوع يخضع الـى كثير من الاعتبارات المعقدة ، الا ان هناك شكوكا قليلة حيال المقولة ان اية زيادة في اهمية القوة النارية وما يترتب عنها من تعزيز للدفاع وتقويته تكون من صالح الاستنزاف ضد الافناء . هناك عدة معارك حاسمة لم يتم فيها حياز النصر بواسطة الدفاع التكتيكي لوحده ،

وحتـــى فـــي معركة ـ كريس ـ والتي كانـت المثـال المشهور لحماقة الجيش في القاء نفسه بعنف ضد دفاعات محضرة ، فان ضربة الخلاص قد جاءت من قبل الانكليز المسلحين .

لنفرض ان الجيوش الحديثة ـ خلافا للمحارب الافرنسي في العصور الوسطى ـ لاتحتاج الى معارك بواتيه وغيرها من اجل ان تقدر اهمية دروس حرب تشرين ، فان عدد الاسلحة الهجومية الرئيسية ـ الدبابة والطائرة ـ التي اشتركت في حرب تشرين من شانها ان تؤدي الى حرب طويلة من الاستنزاف بحيث يعجز اي طرف محارب من ان يحسم الموقف ، وهنا ايضا تستحضرنا دروس الماضي التاريخية، فالحرب الاهلية الامريكية مثلا، والحرب الصينية ـ الروسية ، والحرب العالمية الاولى جميعها اتصفت بسيطرة القوة النارية وتفوق الدفاع التكتيكي ، هذا وعلى الرغم من الحجم الكبير للمعارك التي حدثت في كل وحدة من هذه الحروب فلم تجد اية معركة تم فيها افناء جيش من اي جانب وان جميع هـذه الصراعات قد انتهت بالاعياء والخور .

ان هذا ليس صحيحا في الحروب الاخرى الرئيسيـة والتي حدثت بنفس العصر ، ونقصد الحرب البروسية ـ النمساوية ، والبروسية الفرنسية عام ١٨٦٦و١٨٧٠ اذ على الرغم من ان التفوق في الدفـاع كـان متماثـلا في تلـك الحربيـن الا ان معـارك سيدان وميتز قد حسمت بالقضاء التام والفناء . والسبب في ذلك هو ان الجيش البروسي بقيادة فونت مولتكه لم يفطن فقط الـى تفوق الدفاع ، ولكن ايضا الى التفكير بحل بدا مساويا للمشكلات المرتبطة بايامنا هذه . فعقيدة مولتكه القتالية تضمنت مقترحيـن اساسيين وعلى درجة كبيرة من البساطة : الاول هو الادراك ان مميزات الدفاع التكتيكي يمكن ان تتوازن بفعل المناورة الاستراتيجية

الاقتراح الثاني كان هو ان مثل هذه المناورة تتطلب الاحتفاظ بالمواقف التي تجبر العدو على القيام بالمبادرة التكتيكية . وان الاستراتيجية التي نجمت عن ذلك قد امكن التعويض عنها بفعل ضعف الدفاع التكتيكي عن طريق العمل على الخطوط الخارجية اكثر منه على الخطوط الداخلية ، والتي استهدفت تركيز الجيوش الالمانيةفيساحة المعركة ، وكان هذا فيذلك الوقت ابداعا قاد الى نقاش حول اي من الاستراتيجيتين متفوقة ، استراتيجية نابوليون القائمة على العمل في الخطوط الداخلية ام استراتيجية مولتكه التي تتحرك على الخطوط الخارجية .

عندما نعاين هذا النقاش حول الاستراتيجية الافضل من هاتين الاستراتيجيتين فانه يبدو لنا ان هذا النقاش من اساسه يقوم على سوء فهم جوهري ، فتفوق هذه او تلك ليس هو مقولة ثابتة في كلالاوقات ،ولكن على الاقل يتوقف بجزء منه علىالشروط التكتيكية المتغيرة ،ومرة ثانية فانه من السخف الحكم على علاقة غير ثابتة . هذا وبما ان العمليات التي تتم على الخطوط الداخلية تتوقف على قدرة الجيش على تدمير خصم بسرعة بعد الاخر ، وان مثل هذه الاستراتيجية تستوجب ان يكون الهجوم اقوى من الدفاع او على الاقل ان التباين بين الاثنين يجب الا يكون كبيرا وعندما تكون مثل هذهالشروطغير متوفرة فان اولوية الدفاع تدفع الى العمل على الخطوط الخارجية ، هذه الحقيقة يمكن توضيحها بجلاء من تاريخ القرن الماضي حيث كانت تلك الحقبة تتصف بسيطرةالقوة النارية سيطرة ظاهرة ضد الصدمة .وان استراتيجية نابليون القائمة في القتال على خطوط داخلية كانت في تلك الاوقات اكثر نجاحا في حملاته الاولى الايطالية . ومع الوقت تبدل الموقف بتبدل الشروط بصورة كافية بالنسبة للاحلاف فانتصرت على نابليون من

خلال استراتيجية القتال على الخطوط الخارجية وبعد سنة ، وعلى الرغم من بروز بعض الجنرالات اللامعين فان قتال نابليون على الخطوط الداخلية لم يسعفه من الانكسار . ومنذ ذلك الوقت فان اية معركة رئيسية قد تم ربحها من خلال العمل على الخطوط الخارجية ونعني حروب١٨٦١ــ١٨٦٥ــو ١٨٦٦ و ١٨٧٠ — ١٨٧١ و ١٨٠٤ــ١٩٠٥ واخيرا ١٩١٤ــ١٩١٨ . فيبداية الحرب العالمية الثانية ، ومع اعادة الاخذ بقوة الصدمة والتي اعقبتها زيادة قوة الهجوم ، انعكس الاتجاهعلى التو ، اي العودة من جديد الى القتال على الخطوط الداخليةفاذا كان التحليل الذي سردناه صحيحا ، فان النتائج غير الحاسمة لحرب تشرين قد تفسر بجزء منها انــه وفقا للشروط الجديدة (اتساع الاراضي التي احتلتها اسرائيــل وتعاظم قوة العرب الهجومية) اذ لم تستطع اسرائيل التي ظلت تاخذ باستراتيجية الحرب على الخطوط الداخلية (تثبيت جبهة عربية بقوة مناسبة في حين توجه قواها الرئيسية لضرب العرب في الجبهة الثانية ومن ثم بعد حسم الموقف على الجبهة الثانية تلتفت الى الاولى لتوجه كامل قواها لحسم الموقف ثانية على تلك الجبهة) ان مواجهة الموقف الجديد بالاعتماد على استراتيجية طبقتهابنجاح في حرب حزيران عندما كانت رقعتها صغيرة تسمح لها بسرعة من نقل قواها الرئيسية من جبهة الى اخرى . وان الطرف (العرب) الذي كان يقاتل فيحرب تشرين على خطوط خارجية كان لديه المزيد من الوقت لتقديم الدعم المتبادل . واذا ما اعطي الدفاع التكتيكي القوة الكبيرة فــان المناورة الاستراتيجية علــى الخطوط الخارجية قد تكون الحل الوحيد الممكن الذي يواجه الهجوماذاكانت حروب المستقبل تتوخى الحسم وليس الانتهاء فيالتوقف والجمود بدون حسم . ولانجاز ذلك لا بد من المناورة التحركية الكبــيرة كما وان اهمية قابليةالتحرك الاستراتيجية هــي بالتأكيد احــــد

الدروس الاساسية التي ظهرت في حرب تشرين . وان السؤال عن الوسائط الممكن استخدامها لتحقيق مثل هذا التحرك هو امر يتعذر الولوج فيه حاليا (هذه الدروس تتبناها اسرائيل اليوم وتبدل عقيدتها القتالية حسب نتائجها) .ومن الواضح ان الكميات الكبيرة من المؤن التي تستهلك في الصراع الناشب بين جيشين حديثين من شأنها ان تمنع اي كسب بفعل استخدام الوسائط الالية فجيوش نابليون كانت تحمل جميع المؤن التي تحتاجها لمدة ٦ــ٨ ايام على ظهور الجنود وان مثل هذه الاحتياجات تجنح نحو النمو مع جعل الاشياء الية . وبناء على ذلك هناك اتجاه ،وحتى في الحالة التي تكون فيها الجيوش الية ، نحو الاخذ بالتحرك الاستراتيجي ــ وحتى لو لم يتم التصدي له ــ لمسافة ٢٠٠ــ٣٠٠ ميلا ، فالخبرات المستقاة من الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية اظهرت ان الحملات يجب ان تحسم قبل الوصول الى هذه المسافة.

ومن خلال الاخذ بالاعتبارات الانفة الذكر قد يعتري الشك احدنا فيما اذا كان مدى التحرك الاستراتيجي يمكن ان يتزايد في الحروب القريبة المستقبلية .

ان حرب تشرين قد جذبت الانتباه الى عامل آخر يرتبط بالموضوع . فالقوى الجوية منذ عهد الحرب الاهلية الاسبانية اظهرت ان الطرف الذي يسيطر على الجو هو الذي يدمر التحرك الاستراتيجي . وان مثل هذه السيطرة التي ظلت في يد القوى الجوية لمدة طويلة قد ضعفت وقلت اهميتها في هذا المضمار وهذا ما اكدته حرب تشرين . ومهما يكن من امر فان الانظمة الحديثة (الاسلحة) التي اصبحت اليوم اكثر عملياتيا قادرة على السير مع القوى الارضية وتكون تحركاتها اكثر امنا من اي وقت مضى .

وبناء على ذلك لنفترض ان التحرك الاستراتيجي ، بهذاالمعنى، أصبح أكثر سهولة خلال السنوات المقبلة حينئذ ستطرأ عـــدة

تبدلات نتيجة لذلك في الماضي و في عدة مناسبات عندما كان احد الطرفين المتحاربين يمتلك القوى الجوية المتفوقة يجبر الطرف الاخر على اتخاذ موقف الدفاع الامامي . وان مثل هذه القضية اصبحت بحاجة الى اعادة معاينـة في ضوء الخسائـر التي لحقـت بالطائرات القاذفة المقاتلة في حرب تشرين حيث اتضح ان الاحتياط المستخدم كدفاع خلفي متحرك لديه فرص اكبر للوصول الى القطاع المهدد في الحد الامامي في الوقت المناسب اكثر مماسبق .والمعطيات نفسها نجدها في الدفاع الذي يظهر على اساس انه في الماضي كانت القوى الارضية الميكانيكية والمدرعة قادرة على القيام بضغوط ودفع رأس شبيه بالقلم او الحربة في عمق دفاعات العدو بحيث يتوقف نجاح مثل هذا الخرق ، على قدرة القوى الجوية في عزل ساحـة المعركة ومنع حدوث الهجمات المعاكسة . اذا لم يتم تحقيق هـذه الشروط ، فان التقدم المنفذ الشبيه بغودريان (نسبة الى القائـد غودريان) سيكون على درجة كبيرة من الخطورة (بصرف النظر عن الاجنحة) وهذا ما اكتشفته اسرائيل عندما وضعت نفسها بين الجيش الثاني والثالث (عندما قامت بخرق الدفرسوار وعبور الضفة الغربية) لو عرفت مصر كيف تستغل خطورة هذه الخطيئة لالحقت اكبر هزيمة في اسرائيل ولتغير موقف القتال تغيرا جذريا لصالح مصر . فالقيام بخرق في العمق وباتجاه المؤخرات ، وباجنحة مكشوفة مفتوحة هو ممكن فقط عندما لا يتوقع الطرف المهاجم هجوما معاكسا فعالا من قبل الخصم وعندما يتعذر ضمان ذلك فان العودة الى اسلوب ــ اشليفن ــ او ايزنهاور الذي ينفذ فيه التقدم جنبا الى جنب وعلى جبهة واسعة يصبح ضروريا . فاذا

ما اخذنا بالاعتبارات المذكورة فان الحرب الكلاسيكية في المتقبل افضل ما يمكن ان تواجه عند استخدام الجيوش الميكانيكيـــة هو بالعمل وفق طريقة الابواب الدوارة الكبيرة حيث كل جيش يحاول ان يهدد مجنبة الخصم بدون ان تهدد مجنبته بدوره . ومع الاخذ بعين الاعتبار قوة الدفاع الرامي الى اجبار المناورة التكتيكية على التوقف والجمود ، فان القادة سيقومون بكل ما في وسعهم لجعل مثل هذه المناورة غير ضرورية وذلك عنطريق التمركز حولها على التحرك الاستراتيجي على طول الخطوط الخارجية فيتحركونحول العدو ، ويفتحون جبهات جديدة تلك هي كلمات اليوم لاستراتيجيي المستقبل . وكطريقـــة اضافية للوصول الـــى مؤخرات العـــدو « الاحاطة العمودية » الممكن ان تستخدم كما تم ذلك على مقياس صغير اثناء حربتشرين . .

ومن ناحية اخرى ان الصعوبات التي تصادف لابقاء قـــوى كبيرة خلف خطوط العدو (عدا الحالات الاستثنائية جدا) فـــان استخدام الوحدات المحمولة جوا ستبقى على اساس قوى تكتيكية اكثر منها استراتيجية لبعض من الوقت . وفي الوقت الذي اظهرت الطائرات قدرتها علىايصال كميات كبيرة من التموين المختلف ومن مسافات بعيدة (الجسر الجو يالامريكي والسوفييتي اثنـــاء حرب تشرين) فان هذا الموقف يختلف اختلافا كبيرا عن استمرار تزويد الجيش بالمؤن ضد مقاومة فعالة .

هذا وبالنظر الى التوازن المتحرك بين الدفاع والهجوم ، فان الشكل المثالي فيولوج الحرب هو الاخذ بالهجوم على اساس استراتيجي بينما يكون الدفاع تكتيكيا ، وفي تعبير آخر ، العودة الى تكتيك مولتكه ، في الاحتفاظ بمثل هذه المواقف كيما يتم اجبار العدو على القيام بالهجوم المعاكس .

ان النتيجة من كل ما ذكرناه من حقائق هو المبادرة الى توجيه الضربة الاولى الىالعدو الذي ينوي الهجوم قبل ان يكون هـــذا العدو مستعدا لذلك . واذا ماكان الدفاع قويا ، وكان اتجاه الموقف العملياتي ينحو نحو الجمود والتوقف ، فان النجاح يجب ان يكون في القدرة على ربح الحرب او على الاقل الحصول على مكاسب كبيرة وذلك من خلال توجيه ضربةقوية واذا انقلب الموقف ، فان الربح مرة يتبعه ربح آخر في أكثر الاحتمالات ومن اجل ان تكون هناك قدرة على مواجهة هذه الشروط لابد من ان تنظم الجيوش بشكـل تكون قادرة على الاندفاع بعنف نحوالاخرمثلالصواريخالباليستيكةي فالمفاجـاة الاستراتيجيـة ، اي بمعنـى الاحتفـاظ بالمبـادرة وبكون الاول الذي يوجه الضربة ، ستكون على درجة كبـيرة مـن الاهمية . وان معاينة راجعة الى القوة المشتتة لمثل هذه الضربات والتي يذكرها التاريخ في الـ ٣٥ عاما المنصرم ـ الهجوم الالماني ضد روسيا عام ١٩٤٧ الهجوم الياباني على بيرل هاربر ،وتقدم كورياً الشماليةعام١٩٥٠،والضربة الصاعقة الاسرائيلية العام ١٩٦٧ والهجوم العربي في حرب تشرين ــ هذه المعاينة توضح تماما الفعالية الكبيرة للضربة الهجومية المفاجئة .ثم ان سرعة اسلحة الحـرب الحديثة ومداها ومركزية القيادة الممكن ان يسمح بها في حال وجود وسائط اتصالات متطورة ، والعراقيل التـي تواجهها خدمات المخابرات من حيث عدم قدرتها على التعامل بفعالية مع سيـل المعلومات التي تردها كل هذه الامور تجعل المفاجاة الاستراتيجيـة اكثر فعالية وسهلة التنفيذ (حرب تشرين) .

ونافلة القول من جميع ما تم التكلم عنه في هذا الفصل ، ان الحقيقة الاساسيةالتي تبرز هنا (في الوقت الذي كان التركيـــز منصبا على الاستراتيجية) ان المبادىء هي ذات عمومية كبـــيرة

بحيث تبدو وكأن لها صفة الدوام والاستمرار والحقيقة ان القضايا الاستراتيجية تعتمد بجزء منها على العوامل التكنولوجية والتكتيكية ، وعلى هذا فالاستراتيجية ، خاضعة للتغير . فالافناء مقابل الاستنزاف ، والهجوم مقابل الدفاع ، والعمل على الخطوط الداخلية مقابل العمل على الخطوط الخارجية جميع هذه الامور تلك هي افتراضات استراتيجية ذات مغزى ومفيد وهي رصيد من يستطيع ان يقرر خصائص اي حرب نوعية . صحيح ان العوامل العسكرية تشكل فقط كسرا صغيرا من جميع الاعتبارات المتعلقة بالموضوع والتي تخلق استراتيجية، فان هذه العوامل مع ذلك منوطة بتأكيد ذاتها خلال حقبة طويلة تقريبا وبشكل اتجاهات، وحتى الان فان هذه الاتجاهات يمكن تمييزها ـ دوما كمشكلة رئيسية في التاريخ المعاصر .

ان حرب تشرين بدت انها قادتنا بعيدا عن الحقبة الثالثة للسلاح المدرع بحيث ان الدورة اخذت تبدا الان اعتبارا من عام ١٩١٧ نحو صورة قديمة من الحروب ولكن باسلوب حديث .

ـ ثالثا ـ منظورات ـ

مع ان هذه الدراسة تنصب بصورة رئيسية على الدروس المستفادة من حرب تشرين فلا بد قبل ان نقول كلمة حول التاثيرات المحتملة لتلك الدروس على النواحي الاوسع اللاعسكرية من الحرب والسياسة . وهذا بالطبع ان كان على درجة كبيرة من الصعوبة نظرا لان عدد العوامل واهميتها تبدو نوعية في الزمان والمكان . ومع ذلك وحيث ان الاستراتيجية بمفهومها الواسع هي بجزء منها تمليها الاعتبارات العسكرية ، فانه من الممكن تبعا لذلك ان نخرج بالنتائج التالية .

ان اهم الحقائق التي ابرزتها حرب تشرين هي النسبة العالية من الاستنزاف الذي عاناه الطرفان المتحاربان ولاعطاء مثلا يمكن

من خلال توضيح الخسائر الكبيرة التي حدثت في تلك الحرب ، فان عـدد المدرعات التـي دمرت كـان بحدود ٣٠٠٠ مدرعـة بصراع دام ثلاث اسابيع . فهذا الرقم هو اكبر من اي رقم آخـر سجل في فترات متفاوتة في التاريخ، اذ يمثل ثلث ماتملكه الدول الاعضاء في حلف الناتو من الدبابات ، ومن ضمنها فرنسا وفي الوقت الذي يبدو من الصعب تقدير الخسائر في الاسلحة الاخرى الا انه على ما يبدو كانت كبيرة لدى الطرفين المتحاربين نظرا لان الذخيرة قـد استنفذت بسرعـة بعد اسبوع واحد من معركة تعذر حسمهـا .

لقد كان الطرفان المتحاربان (العرب واسرائيل) على درجة جيدة من الاعداد بحيث يمكن القول ان تسلحهما في الجو والبر يوازي تسلح القوى العظمى المصنفة في الدرجة الثانية في العالم مثل فرنسا وبريطانيا . واذا كانت هذه الحرب تهددت بالسقوط وذلك بفعـل نقص العتاد ، فان هذا لا يعكس عدم التحضير بقدر ما يعكس ان التقدم التكنولوجي جعل الانتصارات الحاسمة صعبة المنال وان نسبة الاستنزاف كانت عالية جدا ، لذا فان حرب تشرين اجبـرت العدو الاسرائيلي امام قوة الزخم العربي ان تستغني عن استراتيجية الحرب الخاطفة ، ذات النصر الرخيص الى الحرب التي كانت على غرار الحرب العالمية الثانية او حتى الاولى حيـث عانـى العدو الاسرائيلي واقع الحروب الحقيقية وويلاتها وصعوبة انتصاراتها .

واذا كانـت دول حلف الناتو قـد اعتقدت ان التكنولوجيا العسكرية الغربية قد تفوقت في آخر المطاف ، وبالتالي فتحت الباب على مصراعيه امام اهمية الدفاع الا انها ، اي حرب تشرين ، طرحت سؤال استفهام كبيرا حول قدرة دول هذا الحلف على الولوج بحروب قصيرة المدة . وبالتاكيد ان نسب الاستنزاف لا يتوقع ان تكون اقـل ارتفاعـا فـي حـرب تحـدث فـي اوروبـا ، كمـا

وقد تكون مأساة ليس فقط بالنسبة للغرب ايضا للبشرية فيما اذا كانت دول الناتو بعدان امتلكت نفسها تكتيكيا وجدت نفسها وجها لوجه امام الهزيمة او اللجوء الى التقنيةالنوويةالعسكريةبفعل نقص احتياطها . وكما هو الحال عليه الان ، هناك كل الاسباب للاعتقاد بوجود مجموعةباقية من الدول ما زالت قادرة على الولوج في حرب كلاسيكية مستمرة وعلى نطاق واسع ، وهي دول حلف وارسو .

وفي الوقت الذي تعتبر دول الناتو هي الاكثر غنى والاكثر تقدما فانها ما زالت تمتلك المصادر التي على الاقل تمكنهامن ان تحضر نفسها لاكثر من اصطدامات مسلحة قصيرة المدى . وبالنسبة لهذه الدول ان التفوق في الدفاع ونسب الاستنزاف تفرض الوسائط بحيث ان الولوج في حرب كلاسيكية قد تكون مجال خيار ممكن . وكما برهنت الحربالهندية الباكستانية والحرب الاسرائيلية العربية فان القوتين الكبيرتين ما زالتا المصدر الاساسي في الامداد للسلاح في اي صراع يحدث في العالم الثالث . واذا كانتا قد اخفقتا في حرب تشرين من منع وقوع الحرب، وقد تفشلان ايضا في بقعة اخرى من العالم الثالث الا انهما بالتاكيد قادرتان على السيطرة على مدى الصراع وشدته واتساعه .

واخيرا اذا بدا مستحيلا استخدام استراتيجية بالالتفاف حول العوائق التكتيكية الجديدة التي تواجه الدبابة والطائرة ، فان التوازن المتحرك بين الدفاع والهجوم سيؤثر على وجه الحرب في طريقة اكثر عمقا وكما هو معروف اليوم ان حشد طاقات الامة كلها على المستوى العسكري والاقتصادي والسياسي والبشري هي التي تقرر نتيجة الحرب من خسارة او ربح. وفي الوقت نفسه ان هذه النظرية هي صحيحة كل الصحة فان الحرب الاكثر تقنية هي

التي يكتب لها النجاح الاكبر .الا انه من جهة اخرى مهما ستكون عليه الحرب الخامسة بين العرب واسرائيل فان حرب تشرين قد اثبتت ان النصر من خلال قدرة محدودة ذات نفس قصير ، كما كانت عليه استراتيجيةاسرائيل في حروبها السابقة ،هذا النصر قد زال . فالحروب (وحتى الكلاسيكية منها) في المستقبل ستكون اكثر جماعية بحيث ان جميع مصادر الامة ستنخرط فيها وبالتالي ستكون على درجة كبيرة من الاستنزاف والمعاناة . واذا كانت مثل هذه الحرب الحاشدة لكل طاقات الامة تقترب من الهمجية ، فان الهمجية الحقة هي المساومة من خلال قوة المدفع وجبروت الآلة العسكرية ، والتهديد بالافناء وبسحق حقوق الشعب الفلسطيني التي اقرتها الشريعة الدولية ذلك هو جوهر الصراع العربي الاسرائيلي.

* * *

بعض مراجـع الكتاب

في اللغة العربيـة :

١ ـ خطب واقوال ومنشورات الرئيس حافظ الاسد .

٢ ـ هنري كيسنجر : مسيرة سياسية . ديفيد لندو ترجمة عبد الاله الملاح بيروت ١٩٧٥ .

٣ ـ اضواء على اسباب النكسة وعلى حرب الاستنزاف ، تاليف : امين هويدي . بيروت ١٩٧٥ .

٤ ـ الطريق الى رمضان ، تاليف : محمد حسنين هيكل بيروت ١٩٧٥ .

٥ ـ حرب رمضان . الجولة العربيـة الاسرائيلية الرابعـة تاليف : اللواء حسن البدري ، اللواء طه المجذوب ، العميد ضياء زهدي . القاهرة .

٦ ـ التقصير ـ المحدال ـ تاليف : مجموعـة من الكتـاب الاسرائيليين ، بيروت ١٩٧٤ .

٧ ـ محاضرة العماد مصطفى طلاس في المركز الثقافي العربي بدمشق اذار ١٩٧٤ .

٨ ـ البحث عن الذات ـ قصة حيـاتي . انور السـادات القاهرة ١٩٧٨ .

٩ ـ الحل والحرب . تاليف محمد حسنين هيكل ، بيروت ١٩٧٨ .

١٠ ـ حديث المشير احمد اسماعيل علي للاذاعة المصرية ، تشرين اول ١٩٧٤ .

١١ ـ ثلاث مرات لماذا ؟ تاليف : أودين ارستون ، عام ١٩٧١ .

١٢ ـ ملف صحيفة النهار عن حرب تشرين .

١٣ ـ التاريخ الدبلوماسي تاليف : ج.ب دروزيل .

١٤ ـ حرب الشرق الاوسط والسياسات الدولية تاليف : ولترلاكور لندن ١٩٧٤ .

١٥ ـ دروس حرب تشرين العسكرية : المقدم هيثم الايوبي .

١٦ ـ الرسـول العربي وفن الحرب تاليف العماد مصطفى طلاس الادارة السياسية ١٩٧٢ .

١٧ ـ الثورة العلمية التقنية في العمل العسكري ـ تاليف : العماد مصطفى طلاس ، الادارة السياسية العام ١٩٧٥ .

١٨ ـ دراسة عسكرية في اتفاق سيناء السياسي ، تاليف : العماد مصطفى طلاس ـ مجلة الفكر العسكري عام ١٩٧٦ ..

١٩ ـ عن الحرب تأليف كلاوزفيتز ، ترجمة واصدار هيئة التدريب وزارة الدفاع ١٩٧٥ .

٢٠ ـ ٦ اكتوبر في الاستراتيجية العالمية ، تاليف الدكتـور جمال حمدان ، اصدار منشورات عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٤ .

٢١ ـ استراتيجية للغد ، تأليف : هاسون و. بالدوين مكتبة الانجلو ـ المصرية ـ ١٩٧٠ .

٢٢ ـ مدخل الى التاريخ العسكري تأليف : اريك موزيـر ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي . اصدار دار الارشاد بيروت عـام ١٩٧٥ .

٢٣ ـ مدخل الى تاريخ العلاقات الدوليـة . تأليف ج.ب دروزيل ، ترجمة فايز نقش ، مكتبة الفكر الجامعي منشـورات عويدات . لبنان .

٢٤ ـ ذكريات الحرب ، تأليف الجنرال لودندروف . ترجمة احمد مظهر ـ نشر مطبعة الياس ـ القاهرة عام ١٩٧٥ .

٢٥ ـ البحث العملياتي والقرار تأليف : الكولونيل غونـار جنيف عام ١٩٥٨ .

٢٦ ـ ابعاد المواجهة العربية ـ الاسرائيلية ـ تأليف احمـد بهاء الدين ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٥ .

٢٧ ـ الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية ، تأليف الدكتور تيسير النابلسي ـ مركز الابحاث الفلسطينية . بيروت .

٢٨ ـ فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والامويين ـ دار الفكر ـ بيروت تاليف بسام عسلي .

٢٩ ـ الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ـ مركز الابحـاث الفلسطينية ، تأليف الدكتور اسعد عبد الرحمن ، وقائع وتفاعلات.

٣٠ ـ الحرب النفسية ، تأليف صلاح نصر ، المخابـــرات المصرية عام ١٩٧٠ .

٣١ ـ حرب رمضان ، تأليف اللواء حسن البدري واللواء طه المجذوب ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

٣٢ ـ وتحطمت الاسطورة عند الظهر ـ تاليف احمد بهـــاء الدين ـ دار الشرق بيروت ١٩٧٤ .

٣٣ ـ ماذا حدث في تشرين ـ تاليف جـــان الكسان ، دار البعث ـ دمشق ١٩٧٤ .

٣٤ ـ خمسة فصول من حـــرب اكتوبر ـ تأليف السـيد الشربجي المؤسسة العربية الحربية ـ القاهرة عام ١٩٧٤ .

٣٥ ـ حرب الساعات الست تأليف عبد الســـتار طويلة ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣ .

٣٦ ـ صراع الجنرالات في اسرائيل ، تاليف محمد كعوش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٤ .

٣٧ ـ ماذا بعد تشرين ؟ تأليف كريم مـروة دار الفارابي ـ بـــيروت .

٣٨ ـ الامن الاوروبي والشرق الاوسط ، تاليف حسين فهمي، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة .

٣٩ ـ ماذا بعد حرب رمضان ، تاليف د. احمد صدقـــي الدجاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ـ ١٩٧٤ .

٤٠ ـ الاتحاد السوفياتي وحرب اكتوبر١٩٧٣تاليفد. كوهلركور هارفي ـ مركز الدراسات التقدمية ميامي ١٩٧٤ .

٤١ ـ حرب الشرق الاوسط ، تاليف مجموعة من صحفيي بحوث مجلة ساندي تايمز ـ دار نشر ساندي تايمز ١٩٧٤ .

٤٢ ـ حرب تشرين تاليف رياض الريس ، دنيا نحاس ، دار النهار ١٩٧٣ .

٤٣ ـ المواجهة في الشرق الاوسط والسياسة العالمية تاليف : وولتر لاكور ، دار نشر بانتون بوك ١٩٧٤ .

٤٤ ـ حرب الغفران الحقيقية ، تاليف وولتر لاكور نشـــر كولمان ليفي . باريس ١٩٧٤ .

٤٥ ـ الحرب العربية ـ الاسرائيلية ، تأليف الكولونيل ب . بازايان ، نيودلهي ١٩٧٤ .

٤٦ ـ ايام اسرائيل الفظيعة ، تأليف جان كلـود فيلبوند ـ باريس ١٩٧٤ .

٤٧ ـ حرب الغفران ، تأليف مراسلي مجلة الساندي تايمز دار نشر لاسيتي . باريس ١٩٧٤ .

٤٨ ـ الفلسطينيون والازمة العربية الاسرائيلية تأليف برك واخرون ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ١٩٧٤ .

٤٩ ـ سقوط الحرب الخاطفة ، تأليف ف.أ انفيلوف اصدار دار نشر العلوم ـ موسكو ـ ١٩٧٤ .

٥٠ ـ اسرائيل في مواجهة الموت ، تأليف جاك دروجي وجـان نويل جرجان ، باريس ١٩٧٦ .

٥١ ـ ازمات وحروب ، تأليف الجنرال بوفر ، نشـر بريس دولا سيتي ـباريس ١٩٧٤ .

٥٢ ـ الحرب والحضارة تأليف ارنولد توينبي ، سلسـلة الافكار غاليمار ١٩٧٥ .

٥٣ ـ الحروب العربية الاسرائيلية تأليف برنار ميشيل ـ٤ـ اجزاء دار نشرفامو فرنسا

٥٤ ـ الامن العربي في مواجهة الامن الاسرائيلي ـ تأليف امين هويدي دار نشر الطليعة ، بيروت ١٩٧٥ .

٥٥ ـ مذكرات بن غوريون ـ جويش اويزو .

٥٦ ـ الحرب في ارض السلام ، تأليف اللواء حسن البدري القاهرة ١٩٧٦ .

٥٧ ـ أوراق جديدة عن حرب الايام الستة تأليف جاك كوبار تعريب نهاد خير بيروت ١٩٧٣ .

٥٨ ـ مجلات وصحف محلية وعربية واجنبية مختلفة .

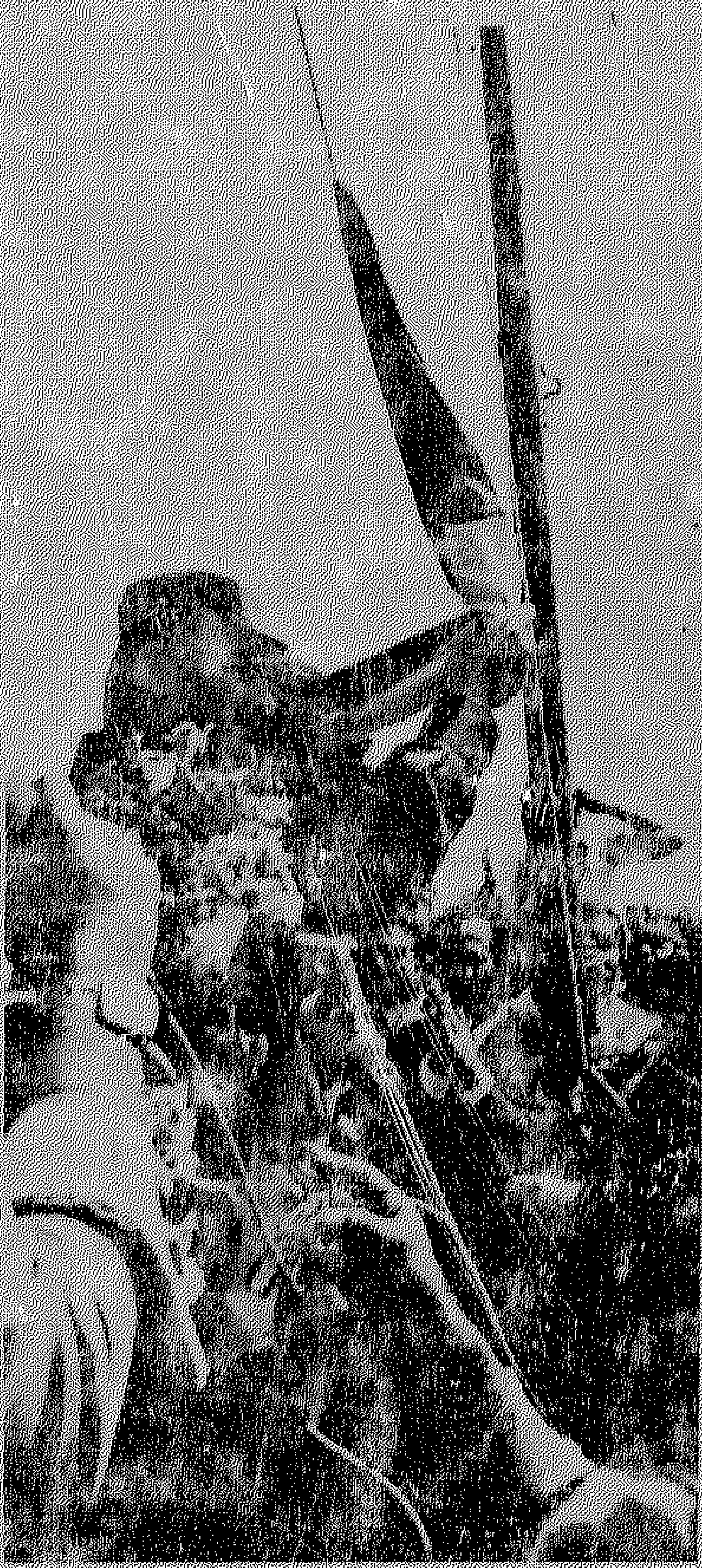
الفهرس

الخطأ والصواب

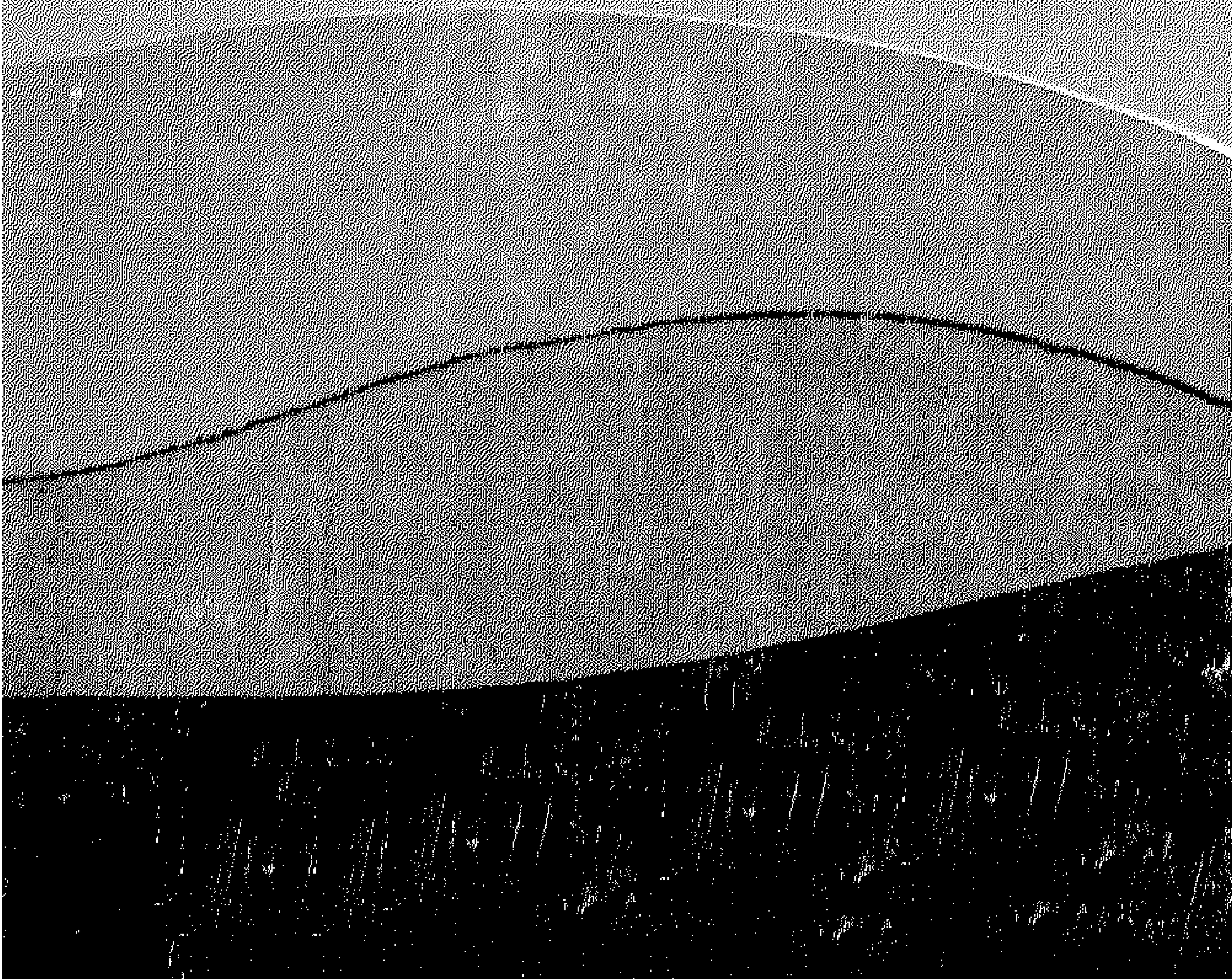
الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
١٥	١٥	١٩٦٨	١٩٦١
١٧	١٢	في	إلـى
٢٦	١٢	وكان	وكانت
٣٢	٦	وتحولت	التي تحولت
٣٧	١٥	فبراير منه ٢١	فبراير ٢١ ـ منه
٣٨	١٥	واحساس	واحساساً
٤١	١	أربـع	أربعـة
٤٢	١	ثلاث	ثلاثة
٤٥	١٠	والاستلام	والاستسلام
٥٢	٦	المجـد	الغرور
٥٦	١٠	ماكتبه	ما أكتبه
٦٣	٦	وتأثير	وتأثر
١٢٤	١٩	الليفتنات	الليفتنانت
١٥٩	١٥	القيادة	للقيادة

الغلاف والخطوط الداخلية
للفنان محمد القاضي

تصحيح وتدقيق جمال عامر



... وكان النصر



كلمات خالدة

○ إنكم أبناء أمة عُرفت على مدى التاريخ بمواقف الرجولة والفداء بمواقف البطولة والفداء. أبناء أمة حملت رسالة النور والإيمان إلى أصقاع الأرض، وشهد لها العالم قاطبة بأسمى الصفات وأنبل الأخلاق.

فيا أحفاد أبي بكر وعُمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، يا أحفاد خالد، وأبي عبيدة، وعَمرو وسعد، وصلاح الدين، إنَّ ضمير أمتنا ينادينا وأرواح شهدائنا تستحثنا أن نتمثل معاني اليرموك والقادسية، وحطين، وعين جالوت، وإن جماهير أمتنا من المحيط إلى الخليج تشخص بعيونها وأفئدتها إلى صمودنا العظيم وكلها أمل وثقة بأننا إلى النصر سائرون.

القائد الأسد
في ١٩٧٣/١٠/٦